

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

العدد الأول، السنة العشرون، صفر 1399 / يناير 1979



شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

# دعوة الحق

السنة العشرون / العدد الاول
صفر 1399 / يناير 1979

تصدرها
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

## بيانات إدارية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب : 375 ـ الرباط ـ المغرب
الهاتف : 10 ـ 632

• الاشتراك العادي عن سنة 65 درهماً للداخل و 70 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة عشرة أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• **لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر•**

# فهرس

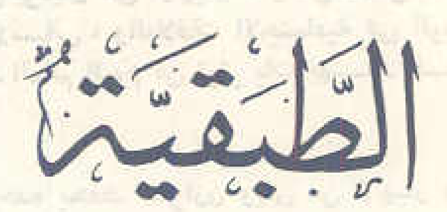
صفحة

1 ـ الافتتاحية : الطبقية — دعوة الحق
5 ـ السلفية والتحليل الماركسي — محمد العربي الناصر
11 ـ مناقشة هادئة لتقريبات واهية — محمد العربي الزكاري
17 ـ مولد النور — محمد الحلوي
22 ـ القصيدة العربية — د. عبد اللطيف الطيب
29 ـ من تاريخ قضاة الاندلس ( 2 ) — محمد محي الدين المشرفي
35 ـ الندوة الاسلامية بالقيروان — محمد التونسي
42 ـ مزايا الاسلام على الاديان — احمد البوعنادي
52 ـ حمل فرش على مروى الامام ورش ( 2 ) — د. التهامي الراجي الهاشمي
60 ـ التوبة التاريخية — محمد حمادي العزيز
64 ـ الشاعر الوزير محمد بن موسى ( 5 ) — محمد المنتصر الريسوني
71 ـ ذكرى 11 يناير 1944 — احمد بنشقرون
73 ـ نزلات في مجالات — محمد بن تاويت
76 ـ جولة تاريخية حول الدولة الفاطمية ( 2 ) — د. محمد كمال شبانة
81 ـ مطلع قرن جديد — عبد القادر العافية
84 ـ بعينيك يا شعب المسيرة صابق — وجيه فهمي صلاح
86 ـ قراءة في ادب مغربي حديث — احمد تبوكسي
90 ـ كتاب فواصل الجمان وتطور النثر المغربي — الحسن التاقيدي
96 ـ مظاهر الثقافة المغرب ما قبل المرابطين ( 4 ) — عبد الكريم الوافي
101 ـ الى الامام الغزالي — سليم الرافعي ( لبنان )
103 ـ المراصد الفلكية تعزز الرؤية المجردة — عبد العزيز بنعبد الله
105 ـ زارع الاطياف — محمد البوعنانى
108 ـ الفراش ( قصة قصيرة ) — ليلى أبو زيد
112 ـ أوليات — محمد العرائشي
121 ـ الوجادات — عبد القادر زمامة
124 ـ المغرب درع الاسلام — دعوة الحق
126 ـ شهريات الفكر والثقافة — دعوة الحق




بسم الله الرحمن الرحيم

## الافتتاحية :




●● يقف الاسلام على طرفي نقيض مع الانظمة المستبدة ، المهينة لكرامة البشر ، المتطاولة على سيادة الانسان على الارض . والانسان ، فى التصور الاسلامـي ، محور الوجود كله ، فما لم تصان شخصيته ، وتحترم ذاتيته ، فلا كان سلام ، ولا كانت حضارة ، واصبح كل عمـل باطـلا وقبـض الريـح .

والانظمة الوضعية تحتقر الانسان احتقارا بليغا ؛ تسلبه ارادته ، وعقله ووجدانه ، وتكبت فى نفسه النوازع الخيرة ، والمشاعر الطيبة ، والتطلع الى المستقبل ، بالامل والحب واليقين .

وتلك جريمـة العصر ، تواطات فى ارتكابها جميع الانظمة المتنكرة لقيم الخير ، والنبل الانساني ، والقائمة على التصور المادي العلماني ، سواء انكر الدين جملة وتفصيلا ، أو تظاهر به ، وابقى عليـه ، لمجـرد الاستهلاك المحلي أو العالمي .

وفى هذا الجو الموبوء ينمو الحقـد ، ويشتد الصراع ، وتتسـع الهوة بين فئات الشعب الواحد ، فينتج عن ذلك كله تفاوت ، وتعارض ، وتناقض ، يؤدي الى الانهيار ، فى نهاية المطاف .

والانهيار هنا محقق لا شك فيه . ولذلك تصدى كبار مفكري الشرق والغرب الى نقد أسس الحضارة العالمية المعاصرة ، واعلان افلاسهـا ، مؤكدين على ضرورة البحث عن مخرج للازمة العالمية ، لا فى الميـدان النقدي ، أو التوتر العسكري بين الدول العظمى ، أو التهديد المستمر بافلاس الاقتصاد الدولي ، او فيما يسمى بالحوار بين الشمال والجنوب ، أو نادي روما ، أو فشل التحالفات والتكتلات الاقليميـة والدوليـة فى

تحقيق رسالتها ، ولكن فى مجال الفكر والعقيدة ، وراحة الانسان وهنائه ، واستقراره ، وطمانينته ، وحريته ، وكرامته .

● والازمة قائمة سواء فى النظام الراسمالي أو فى النظام الاشتراكي. ولسنا وحدنا نقرر ذلك ، فان جميع عقلاء العالم ومفكريـــه المنصفيـــن الشجعان يصدعون بهذه الحقيقة ، باسلوب أو بآخر . ولا خير فى اخفاء الواقع العالمي ، ما دام المصير المشؤوم ينتظر البشرية ، ما لم تعدل عن خط سيرها الحالي ، وتراجع حساباتها .

كلا النظامين يؤديان الى الانهيار . ونحن نلمس مظاهر ذلك بجـــلاء تام فى السلوك الانساني ، والعلاقات الاجتماعية فى الوسط الواحـــد . وناهيك بما يسود العالم اليوم من توتر بات يهـــدد السلام العالمـــي فى الصميـــــم .

والاسلام وحده يحفظ التوازن ويقي من الانهيار والسقوط .

هكذا ، بصراحة المؤمنين ، وبالحب والاخاء ، نقدم للعالم رسالتنا ، ونحن على ابواب القرن الخامس عشر الهجري .

ولن نتناول هنا الموضوع بالشمولية التي تفرض نفسها فى سياق هذا الحديث ، فقد يجد القارىء بغيته فى صفحات هذه المجلة ، ولكننا نود التاكيد على امر ذي بال ، ألح على الرأي العام المغربي أخيرا الحاحا شديدا ، ولا يزال حديث المجالس ، وموضوع تعاليق الصحف . ويتعلق الامر بالتفاوت الطبقي ، وما يؤدي اليه من فوارق ، وما تجر اليه هـــذه الفوارق من اضطراب فى البنية الاجتماعية ، وتصدع فى الكيان الوطني . وربما ادى ذلك كلـــه الى ما وصفه جلالة الملك بالانهيار ، فى حديث صحافي ، أدلى به حفظه الله ، لمجلة افريقية .

ونحن نبادر الى طرح السؤال الثاني :

● هل للاسلام مسؤولية فى وجود الفوارق الطبقية فى المجتمعات العربيـــــة ؟

ان هذه الفوارق نتاج اختيارات واتجاهات غريبـــة عن الاســلام ، نشات واستفحل امرها فى ظل ظروف لم يكن فيها للاسلام العملي نفـــوذ وتاثيـــر وهيمنـــة .

الاسلام يرفض ــ ابتداء ــ الاستغلال ، والمحسوبية ، والاثراء غير المشروع ، كما يرفض ــ ايضا ــ الظلم ، والقهر ، والارهاب ، ايـــا كان نوع هذا الارهاب ، اقتصاديا ، او فكريا ، أو سياسيا ، او اعلاميا .

● وغني عن القول انه كلما تفشى الانحراف ، والفساد ، كان ذلك ايذانا بخلق الفوارق الطبقية ، وغلبة الحقد على الحب ، والاضطراب على

الامن ، والخوف على الاطمئنان ، والسخط والتذمر والقلق على الرضا والقبول والتعاون والتعايش .

ولم تعرف مجتمعاتنا العربية والاسلامية فى تاريخها الطويل هـذا النوع من الطبقية ، الا فى ظل الانحراف عن جادة الاسلام ، فكلما طبقت الشريعة ، وساد العدل الالهي ، اختفت هذه الفوارق ، او لنقل ـ بتعبير اقرب الى الواقع ومنطق الاشياء ـ ضعف تاثيرها فى خـراب النفوس والضمائر ، واضطراب الاوضاع . نقول : ضعف تاثيرها ، لان « محو » الفوارق الاجتماعية ، ضرب من الخيال ، والمثالية المغرقة فى البعد عن الواقع ، والا فهل يستوي الطبيب فى المستشفى ـ مثلا ـ والمـريض وعامل النظافة بنفس المستشفى ؟ ولذلك فانه من قبيل الاستهتار بعقول الناس القول « بمحو » الفوارق « محوا شاملا » ، لان هذا يتنافى وطبيعة الحياة ، وانما ينبغي العمل ـ وليس مجرد القول ـ على التقليل منها ، وتهذيبها ، وتقليصها ، والحد من خطورتها ، بل انتفاء هذه الخطورة ، بان نجعل هناك حدا أدنى من مستوى العيش الطيب ، يتمتع به جميع افراد المجتمـع .

وتلك هي واقعية هذا الدين ؛ انه لا يدغدغ عواطف الجماهير ، ولا يعزف اللحن المحرك للهيجان ، ولكنه يضمن العدل للجميـع ، والخبـز للجميع ، والحرية للجميع ، والكرامة والشرف للجميع . فلا استغلال ، ولا احتكار ، ولا استبداد ، ولا ظلم ، ولا جور ، وانما هي الرحمة ، والمودة ، والاخوة ، والتعاون ، والتكافل . وتلك هي اسس السلام الاجتماعي .

●● النظام الطبقي ـ اذن ـ او الطبقية باصطلاح آخر ، ثمرة من ثمار الرأسمالية الجائرة ، والاشتراكية الكافرة .

فلا طبقية فى ظل المجتمع الاسلامي . بمعنى لا تفاوت ، ولا هـوة سحيقة رهيبة ، تفصل بين هذا وذاك ..

الاسلام بواقعيته ، وشموليته ، ومعالجته لامور الحياة ، من الجذور والاساس ، ينشد اقامة مجتمع العدل والشورى ، والحرية والحـب . وهذا ما عجزت الانظمة الوضعية عن تحقيقه . ودع عنك هذه المظاهـر الكاذبة ، فانها تخفي خراب القلوب ، وفراغ العقول ، وعذابا لا يطاق . ولا تلق بالا الى ما يقال ويكتب عن الانسان فى الحياة الكريمة ، فان هذه الكرامة ، وهذه الحياة ، وهذا الحق ، لن يضمنه غير الاسلام .

وذلك هو الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

● لقد كان جلالة الملك الحسن الثاني حصيفا فى رايه ، حين اكد ، فى حديثه الصحفي الآنف الذكر ، على ضرورة ـ بل فرضية ـ التصدي للطبقية ، ومحاربتها .

وكان ـ حفظه الله ـ بصيرا وبعيد النظر ، حين حذر من النهاية ، التي يمكن أن تؤدي اليها هذه الطبقية .

● فكيـــف يتـــم التصـــدي يا تـــرى ؟

●● بمزيد من العدالة الاجتماعية ، وتوسيع رقعتها ، حتى تشمل كل مواطن . وبدعم تجربة الشورى ، حتى يتمكن الشعب ، من المراقبـــة ، والاشراف ، والنقد . وبالقضاء على الدجل الفكري ، والهرطقة الحديثة ، التي ترتدي مسوح العلم ، وتتشدق بالعقل ، والعقل السليم بريء منها . وباقامة حدود الله ، وبالشجاعة فى مواجهة المنحرفين ، اقتصاديـــا ، واداريا وخلقيا . وبالاستقلال فى الراي ، والاختيار ، وأسلوب العمل . وبنقل التكنولوجيا ، لا اقتباس الفكر والتصور . وباقرار مناهج جديدة للتعليم ، وتوجيه سليم للاعلام ، من اجل خلق جيل متحمس للعمـــل ، مومن باختيارات الوطن ، مدرك لمسؤوليات البناء ، مقدر لتكاليف وتبعات الذود عن السيادة ، وحماية الحقوق والمكتسبات ، لاننا اذا اقتصرنا على التنمية الاقتصادية ، دون التوعية الاجتماعية ، والتوجيه الوطني المؤمن ، لن نجني ثمارا ، وسنتقدم ، ولكن الى الوراء . وتلك هي « الرجعيـــة » وايـــم الحـــق .

دعوة الحق

# السلفية والتحليل الماركسي

للأستاذ محمد العربي الناصر

نشطت كلمة السلفية هذه الاعوام الاخيرة على السنة الماركسيين ، وجرت تحت اقلامهم بعد أن كانت منذ عشرات السنين على السنة كثير من المسلمين وما زالت . وبهذا الاستعمال المزدوج اغتنت كلمة السلفية واصبحت حبلى بالمعاني ، فلم تعد تدل فقط على اتجاه فكري يتبع ما تقدم وسبق ، ولا على اتجاه عقائدي كلامي يحافظ ويتشبث بما اعتقده الاولون ، ولا على اتجاه فكري رافض لكل ما طرح من النظريات والمعتقدات والتقاليد المنحرفة بالرجوع الى المنبع الصافي ، بل تدل كذلك على تغيير مشكلة الوجود الى مذهب اجتماعي وسياسي (1) او تدل على اسقاط صورة المستقبل المنشود ، المستقبل الايديولوجي على الماضي ثم البرهنة انطلاقا من عملية الاسقاط هذه . على ان ما تم فى الماضي يمكن تحقيقه فى المستقبل (2) ، او تدل على تبني اتجاها تجديديا وشعارات سياسية ليبرالية (3) .

وبهذا فعندما تطرح السلفية تطرح معها قضايا متعددة ، ترتبط بها ، وتشكل معها وجهة نظر ، او وحدة طريق ؛ ترتبط فى علاقات مع التقليدية ، وفى علاقات مع التراثية ، وفى علاقات مع التجديدية ، وفى علاقات مع التاريخية ، وهي كلها عناصر مترابطة اجتماعيا ومبدئيا ولا يمكن أن تنفصم واقعيا .. وسنحاول فى هذا الاطار أن نعرض على بساط البحث ما حاول التحليل الماركسي أن يقوم به لافقار السلفية من كل محتوياتها الغنية وتهميشها فكريا ومجتمعيا . ونحن لا نقصد فى ذلك الا الاطار الاسلامي متجاوزين عن كل التيارات التي تسمى عادة بالسلفية .

## السلفية والماضوية ...

يجمع الماركسيون فى تحليلاتهم على جعل الماضوية العقدة الاساسية فى السلفية فـ « الماضي مقولة زمنية اساسية فى التفكير السلفي » (4) و « اللحظة ( الماضوية ) هي المنطق الانطولوجي ( الوجودي ) والمعرفي ، منطلق الحلول للحاضر والمستقبل .. فهي اللحظة الغاية الدنيا والحياة القصوى للانسانية » (5) فالماضي « مبتدأ أو خبر ، منطلق ونهاية لكل فعالية انسانية لاحقة » (5) ويؤكد

(1) اقـلام : 3 ـ ص 9
(2) المحرر : 7 ـ ماي ـ 1978
(3) الآداب : العدد الخاص بالادب المغربي . تحت عنوان : الاستلاب فى الفكر السلفي ص 66 .
(4) الـدواي . الآداب . ص : 66 .
(5) تيزيني ، ص : 28 من التراث الى الثورة .

آخر على هذه العقدة الماضوية بان يجعل السلفية تحول « الماضي الى قيمة مطلقة تحاط بهالة من التمجيد . الاكيد انها لم تكن لهذا الماضي حتى عندما كان حاضرا ، وفى هذه الكيفية لفهم الزمان رفض للصيرورة وتفكير خارج التاريخ . انها بحث عاطفي وراء زمان ضائع وهروب من مواجهة مشاكل الحاضر في مسؤولية . لقد تحول الماضي الى قيمة اسطورية » (6) .

من هذه النصوص ومن غيرها يتضح موقف التحليل الماركسي من السلفية ، بتحديد عقديتها الاساسية ، باعطاء الماضي القيمة المطلقة قيمة اسطورية ، مع اسقاط المستقبل المنشود على الماضي ، وتصبح اللحظة الماضية هي المنطلق ... اذن هناك تاكيد اساسي على الماضي كمقولة زمنية اساسية في السلفية .. ونحن لا نود ان نلغي مقولة الزمان من كلمة السلفية ، فكلمة السلف تدل فعلا لغويا على ما سبق وتقدم ، ولكن السؤال المطروح لما تواجد هذا الزمن الماضي مع مفهوم السلفية ؟ ! هل تواجد بحكم الواقعية ، ام بحكم تقديس الماضي فى ذاته ولذاته ؟ ! فالسلفيون عندما يتحدثون عن الماضي يجردونه من مضمونه الزمني ، بمعنى يبعدون مقولة الماضي رغم تواجدها الواقعي التاريخي مع السلفية ويؤكدون أكثر على المضمون والمحتوى الذي طرحه الماضي ، فتدل السلفية على المنطلقات الاصيلة للتراث .

اذن اذا كان الزمن الماضي لم يتواجد مع السلفية فى ذاته ولذاته فلماذا يحاول التحليل الماركسي ان يلصق الماضوية كعقيدية اساسية فى السلفية ؟ ! لماذا عمد هؤلاء المحللون الى افراغ السلفية من محتواها ومضمونها الفكري والاجتماعي ليربطوها بمقولة الزمان ؟ ! لماذا هذا التعالي والتجريد بطرح مقولات زمنية بدون مضمون ومحتوى فكري واجتماعي ؟ ! فمقولة السلفية الاساسية :

« لا اله الا الله » تراعى فيها مقولة الزمن الماضي والمستقبل والحاضر ، ام يراعى فيها مضمون التوحيد ونبذ الشرك ؟ ! من الواضح ان مقولة العقيدية الماضوية غير مطروحة فى السلفية وانما المطروح هو الفكر ذاته ، القضية ذاتها مجردة عن الزمان .. وهل نفهم من هذا ان التحليل الماركسي باستعماله هذا التعالي والتجريد الزمني يبعد قصدا الفكر والقضية ليبقى الامر شكليا مجمدا ثابتا فى مقولة الماضي ليبني على ذلك مبداه الماركسي الاساسي الخاص بالجدلية والصيرورة كما يقول الاستاذ الدواي : « وفى هذه الكيفية لرفض الزمان رفض للصيرورة وتفكير خارج التاريخ » (7) او كما قال آخر : « وصولا الى تحبينه اي جعله معاصرا لنا نحن ابناء القرن العشرين الذين اكتسحتنا حضارة جديدة وافدة « قطعتنا من جذورنا وجعلتنا نعيش طافين على سطحها تتقاذفنا الامواج ذات اليمين وذات الشمال » .

وتتضح معالم الموقف الماركسي من السلفية فى نقط :

1 — تجريد السلفية من مضامينها الفكرية وطرحها فى مقولات زمنية شكلية قائمة على تجريدات مفرغة من كل محتوى ليناقشها ويستنتج فى ضوئها ما يريد ويفندها كما يريد .

2 — اعتبارها خارجة عن اي اتجاه جدلي عقلاني ، غارقة فى الرجعية والتاخر والجمود مؤكدة على مصطلحات الرجوع والعودة والانكفاء دائما الى الوراء ، ولا يبقى الا مذهبه تاريخيا جدليا ، وفى هذا مغالطة للواقع ، فمن المفروض ان يكون كل شيء فى جدلية تقدمية ...

3 — اعتبارها ايديولوجية مزيفة حيث تسقط المستقبل الايديولوجي على الماضي وجعل الماضي معاصرا ، لكن الماركسيين لا يستطعون تغيير تواجدها عبر الاربعة عشر قرنا من الزمان متماسكة ، متكاملة ..

## السلفية والتراثية ...

ان الماركسيين بنظرتهم الماضوية للسلفية وجدوا انفسهم يشكلون نظرة عامة وشاملة ضد كل ما هو سلفي فى قراءة التراث والماضي كله .. وهذا معناه قطيعة مع الماضي ، وحتى لا يكون هناك سوء

---

(6) الدواي . الآداب .
(7) الدواي . الآداب ، ص : 66 .

تفاهم او اي التباس او اتهام يحددون مفهوم القطيعة هذه : « نحن لا ندعو الى القطيعة مع التراث ، القطيعة بمعناها اللغوي الدارج .. بل ندعو الى التخلي عن الفهم القرآني للتراث . ان التحرر من الرواسب التراثية في عملية فهمنا للتراث ذلك ما يجب ان نفهمه من هذه العبارة التي نرددها اليوم بكثرة عبارة « يجب ان نحتوي التراث لا ان يحتوينا التراث » (8) .

اذن ما يريده التحليل الماركسي هو قطيعة معرفية ( اي عقائديا وايديولوجيا ) مع التراث والماضي ، وبالتالي مع السلفية نهائيا .. وربما نسي المحلل في مخططه طرح كل دليل عمل مسبق اي المادية الجدلية والتاريخية والاماني والآمال التي تحملها !! فالمحلل يطلب فصل الموضوع عن الذات ليسهل تعرية الموضوع ولكنه لا يطرح تعرية البعد الايديولوجي .. والسلفية كما هو معلوم لا تطرح مشكلة التراث ولا حتى التقليدية ، فما تطرحه السلفية هو قضايا متجددة فكريا واجتماعيا ، فكريا بحضور المطلق باستمرار واضطرارنا الى الاعتراف بوجوده ، واجتماعيا بحضور السلوك الانساني باخلاقه في سائر مجالات الحياة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ... انها ترتبط مباشرة بالسلوك الحاضر للانسان .. وهذا معناه ان السلفية اذا كانت تطرح قضايا معاشة في سلوكات الناس فعليا فهي لا تنظر الى التراث او الماضي الا فيما يرتبط فعلا مع تلك القضايا المعاشة في سلوكات الناس ولا يهمها اطلاقا وجود اي قطيعة في اي فكر او في اي بنيات ومؤسسات المجتمع .. فجوهر السلفية انما هو استمرارية الاختيارات الانسانية فكريا واجتماعيا ، وتوحيد الوعي بهما والايمان بهما ، ويبقى التراث في مفهومه العام متجاوزا او غير مطروح امام السلفية بحكم ان السلوكات الانسانية دائما لا تتوقف ، وعلى هذا الاساس تعمل السلفية على الالتزام بالسلوك الخير في المجتمع وتتجاوز ما عداه . ولا نود ان نتساءل عن ما فائدة احياء آراء المشائيين وتدريسها ، او ما فائدة احياء الطرق الصوفية وتهويماتها الفكرية ، وما فائدة احياء الجدل الكلامي او تنقيحه او ما فائدة احياء الفكر العلمي والادبي لتلك الحقبة الماضية من الزمن غير احياء تيارات مختلفة وايديولوجيات متعددة تزيد الخلاف تعميقا ، ولا تضيف شيئا حقيقيا الى القضية الجوهرية الوحيدة « لا اله الا الله » ... ولهذا يتساوى عند السلفية ان يقف التقدميون من السلفية موقف القارىء للتراث لتبني اجاباته او موقف الرفض كليا واعتباره مفصولا عن الهوية القومية للمجتمع .

## السلفية والتجديد ...

ان التجديد والمعاصرة يعتبران من الجوانب المتناقضة مع العقدة الماضوية والتراثية التي يلح عليها الماركسيون في النزعة السلفية ، فهي تحيرهم وتقلب مسار تحليلاتهم ، فكيف للسلفي ، وهو التقليدي التراثي ان يتطلع الى المعاصرة والى التجديد ؟ ! كيف له ان يتطلع الى العقلانية وهي عطاء البورجوازية في القرن الثامن عشر والقرن العشرين ؟ ! فلا يجدون حلا الا بفك الارتباط واعادة السلفية الى التقليد : « ان العقلانية التي يدعيها السلفي هي العقلانية التقليدية الدينية الغيبية » (9) فالسلفية « تظهر في كساء عقلاني لابراز جدتها ومسايرتها للعصر ، ولكنها تظل طافية فوق السطح ( ... ) وانتصار العقل عندهم هو انتصار العقلية التقليدية اي سيادة عقلية هؤلاء العلماء المحافظة » (9) وتظهر « غزارة استعمال للمقولات الفكرية الحديثة للعرض الخارجي للافكار مع بقاء العمق والمضمون وعظا دينيا » (9) . في حين ان موقف السلفية العقلي هو « دعوة الى ( ... ) معارضة كل نزعات التجدد المنفصلة عن الدين والمتأثرة بالمذاهب الغربية » (9) والسلفية رغم « تبنيها الشعارات السياسية اللبرالية » (9) ورغم انها « حركة اصلاح سياسي واجتماعي » (9) فهي ترفض النظرة التاريخية ولا تعتبر العامل التاريخي ، وهذه من مظاهر الاستيلاب فيها .. فهي لا ترى « مظاهر البؤس الاجتماعي الصارخة : الاستغلال والفقر والجهل والجوع والمرض سوى مظاهر التدهور الاخلاقي والانحراف الفكري وهكذا تتحول ازمة

---

(8) المحرر 7 ـ ماي ـ 1978 .
(9) 2 ـ الآداب : ص : 66

المجتمع الى ازمة قيم وتلك ( ... ) سمة بارزة في الفكر السلفي بصفة عامة » (9) . وهكذا تلقائيا تتأكد نظرتها ذات الحلول الاخلاقية ، وخروجها على المفهوم الماركسي . فهي : « نظرة غير جدلية للواقع الاجتماعي تجهل وتتجاهل الجذور الحقيقية للمشاكل الاجتماعية وبالتالي تقترح حلولا ايديولوجية عقيمة لتبارك التأخر » (9) . وبالطبع ما دام الامر هكذا في نظر التحليل الماركسي فلا بد ان تنتهي السلفية الى فشل تام في اصلاح المجتمع وخاصة ان فهم السلفية للتطور والتحول الاجتماعي « يتم من خلال منظار قيمي واخلاقي اكثر مما يتحقق في اطار موضوعي وتاريخي » فنظرة السلفية الى التحول الاجتماعي غير جدلية وتؤدي الى العجز عن اي تطور ، او عن تكوين اية نظرية جذرية للتحرر الاجتماعي ..

ويمكن تلخيص كل هذا التحليل الماركسي للسلفية في قضيتين :

1 ـ تستعمل السلفية العقلانية استعمالا سطحيا شاذا تقليديا محافظا وبمضمون ديني وعظي محض . وهي في كل ذلك تعارض كل تجدد منفصل عن الدين .

2 ـ السلفية كاصلاح سياسي واجتماعي تنظر الى ازمة المجتمع كأزمة اخلاق وقيم ، اي تلحق الظاهرة الاجتماعية بالظاهرة الاخلاقية مما يبعد النظرية الجدلية في اي منظور للتحول او التطور الاجتماعي فتبقى السلفية مرتبطة بالماضي السلفي ، ولهذا تبقى عاجزة عن اي تغيير او تحرير اجتماعي ..

ونود ان نشير الى ان الاستاذ الدواي يقصد بالسلفية الاتجاه السلفي الحديث الذي بدأ بالافغاني ومحمد عبده ومثله الاستاذ علال الفاسي في المغرب ، ويسحب كل استنتاجاته على السلفية بصفة عامة . وما يمكن أن يوجه من نقد لهذا التحليل الماركسي انه عمليا يتبنى الماركسية ولكنه لا يطبقها فعليا في تحليلاته ، فالتحليل الجدلي سواء في دراسته للتراث او ايديولوجيته او في دراسته للواقع عليه ان يحدد منطلق التغيير والتحول في الموضوعات المطروحة للبحث بمعنى عليه ان يسلم مبدئيا بوجود منطلقات جدلية سواء ارتكزت على عوامل تاريخية او اجتماعية او حتى ايديولوجية . ولكن مما يؤسف له نجد البحث منصبا على معطى واحد هو العجز والفشل ورفض التجديد .. وهذا الموقف يخضع لموقف ايديولوجي مسبق ضد السلفية ، لانها في دعوتها للعقلانية لم تدع انها تدعو للعقلانية البورجوازية الغربية بل على العكس انها تدعو الى عقلانية مؤمنة ، ولكن الباحث اتجه الى تسفيهها لتناقضها مع العقلانية البورجوازية ، وكونها ترفض كل تجديد لا يقوم على الدين .. كما سفه تركيز السلفية على الازمة الاخلاقية والحاقها للظاهرة الاجتماعية بالاخلاق وينسى الاستاذ الدواي انها اخلاق افراد المجتمع ، بمعنى انها اخلاق اجتماعية واخلاق اقتصادية واخلاق علمية ، وتكون في مجموعها السلوك الملتزم ، ولا شك ان هذا السلوك الملتزم اخلاقيا في جميع قضايا المجتمع يطرح امامه بالمقابل كل الحاجيات المادية الاخرى . وهل هناك من لا يود أجرا كافيا ، ومسكنا واسعا ، ودواء شافيا ، وحرية كاملة ، وكرامة تامة . وهل هناك من لا يود ان يطور وسائله على اختلافها وتنوعها ؟ ! ان كل ما في الامر انها لا تلتزم بالمادية التاريخية ولذا تهاجم وفي حضم الهجوم تنسى المعطيات الجدلية والتاريخية في السلفية ... فبدل ان يرجع التحليل الماركسي الى الواقع ليحدد معطياته ومنطلقاته الجدلية يقوم بتغطية ايديولوجية عارية من كل تحليل جدلي فعلي ، والغرض من ذلك تحطيم وتشويه السلفية بصفتها منازعا او خصما يعاندها .. وما يؤسف له حقا ان تضيع طاقات اساتذة يمتازون بقدرة عقلية ونشاط وداب في تأصيل اتجاه ماركسي يهودي يتنافى مع اصول ديننا او مع عقليتنا الاسلامية في حين انها كان بامكانها ان تفجر في الاسلام طاقات فكرية خلاقة ..

ويعترض الماركسيون على هذا بأن يضعوا تعارضا بين السلفية والتقنية ومعطيات المعاصرة التقدمية ، فللتقنية قيمها الخاصة التي تقيمها كمؤسسات في المجتمع ، واي تفكير في قهرها وتوجيهها وقيادتها حسب ما تطمع وما ترمي اليه السلفية ضياع فكري يحدد نوعا من الوعي الاعمى بالذات (10) .

فهذا يعترف بأن السلفية تريد ان

(10) اقلام ـ 4 . ص 5 الافاق الفكرية للمغرب .

تجعل التقنية تتكيف مع اللاهوت ، وبالتالي فهناك مسلمون تقنيون وعلماء ، ولكنه يحكم عليها بالتقوقع داخل الذات والعجز عن الدخول في حوار مع الخارج .. بهذه الصورة القاتمة يصور السلفية ويحكم عليها. ما دام مثله الاعلى هو الغرب وتقنيته .

وباستبطان نصوص هذا المحلل نستكشف دعامتين في تفكيره . ان التقنية ادخالها يؤدي الى تغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية . والسلفية تريد الابقاء على الوضعية السابقة .. وان التقنية لها قيمها التي تقيم عليها مؤسساتها في المجتمع ، والسلفية يفترض انها خالية منها..بمعنى انه يفترض في قبول التقنية قبول التغيير الجديد والقيم الجديدة . وكلا الموقفين يغيران من موقف السلفية ويخالفها . وما دامت السلفية لا تعترف بهذين الموقفين فهي جمود وعجز ودعوة الى الماضي .. والخطأ في هذا التحليل يقوم على بديهية النظرة السطحية .. فالسلفية لا تستورد التقنية حتى تنساق مع تغيراتها وقيمها ، بل انها تخلقها او على الاقل تتمثلها ثم تفرزها في لحمة جديدة ، تمتزج فيها التغيرات والقيم لتعطي تغيرا أو قيما غير التي ينتظرها المحلل الماركسي بالطبع ... وظاهرة التمثل هذه ظاهرة صحية وطبيعية ، وتاريخية في السلفية وفي كل الكائنات ، وكان أولى بالمحلل ان يبحث ثوابت ومتحولات السلفية : العقائد والقيم المجتمعية . ويعطي امكانية التشكل الاجتماعي والثقافي والتقني للسلفية كأي معطى انساني بشري مجتمعي .. اما ان يستنتج جمودها استنادا الى التغيرات في مجتمعات أخرى ، او عجزها استنادا الى قيم مجتمعات اخرى تمتلك التقنية فهو حكم يستند على وضعيات خارجية في تجارب مجتمعية أخرى لا تخضع للفكر السلفي ..

وهذا يدخلنا في اطار العلاقات بين السلفية والحضارة الغربية اطلاقا . وهذا ما حاول ان يتعرض له كاتب آخر ، في شخص احد دعاة السلفية ويستنتج انها علاقة احادية التأثير والحسم ، اي انها عملية « ايجاد علاقة ما بين التراث الاصلي ــ الاسلام ــ من طرف وبين منجزات التقدم المعاصر من طرف آخر ، انطلاقا من احد طرفيها الذي هو التراث الاصلي ، وبذلك تكون تلك العلاقة من حيث الاساس احادية التأثير والحسم » (11) .

ويرى ان السلفي سيد قطب يرى كما لو ان تلك الحضارة الصناعية تمثل مجموعة من المواد الخام يمكن ان تؤخذ من قبل اية طبقة او اي مجتمع ، دون ان يكون هناك ضرورة لاستكناه بنيتها الداخلية والخارجية ، بتعبير آخر تلك الحضارة ينظر اليها مجردة من الجهد الذي يبذل في سبيل خلقها والذي يتسم بانه ذو جوانب متعددة ومتشعبة تقنية كانت ، او عقلية ، او نفسية عاطفية او اخلاقية » (11) . ويقرر نتيجة هذه المقابلة بان هذه الرؤية « ضحلة » في نظره ، فسيد في نظره « لم يدرك من مواقع تلك الرؤية ان الحضارة الصناعية هي نفسها تكثيف وتجسيد لقيم علمية وايديولوجية ( طبقية ) وعاطفية أو لاسلوب في فهم الحياة وصنعها» (11) . ولذلك كان ممكنا في نظر سيد قطب « ان تضاف تلك الحضارة.. الى منظومها من التصورات الدينية المنحدرة من القرن السابع » (11) .

وهكذا يدخل هذا الماركسي كل سلفي في اطار التلفيقية بمحاولته تناول الحضارة الصناعية بعلمها او فكرها وتقنيتها ويحكم عليه بالجهل ويصم رؤيته بالضحالة لعدم ارتكازها على فهم او ادراك ابعادها . كما يحكم على السلفية بالعجز كذلك وعدم القدرة ، بمعنى يحكم بالسكون والثبات كسابقيه دون ان يحاول استخراج العناصر الجدلية الكامنة في هذه الرؤى التي يصمها بالضحالة .

والسبب بسيط في ذلك ، فهو يعتقد ان الجدلية خاصة بالماركسية فحسب وما عداها ساكن ثابت جامد . وهذا يعطيه فرصة ليطرح نظرية التراثية الثورية ، وبذلك يكون تيزيني غارقا الى اذقانه في منهج فرانسيس بيكون البدائي ..

ان الماركسيين في مواقفهم تلك من اندفاع السلفيين نحو الاصلاح السياسي والاجتماعي ونحو التقنية والحضارة الصناعية ، لم يجدوا امامهم الا ان يصموها بعدم ادراكها وفهمها ، بل وجهلهم في النهاية بالحضارة الغربية . وفي هذا الموقف جانبان : جانب اثبات ان السلفية تهتم بالجديد بالنظرة الشمولية للحياة ، وجانب نفي ان

(11) من الثورة الى التراث . تيزيني ، ص 154 ــ 155 .

تكون السلفية قادرة على الفهم .. وبالتالي فاشلـــة وعاجزة .. وهذا موقف ايديولوجي من السلفية قبل ان يكون تحليلا للعناصر الجدلية في السلفية ...

فلماذا كل هذه الهجومات على السلفية اذا كانت لا تعرقل سيارة في سيرها ، ولا طائرة او صاروخا في تحليقهما ، ولا باخرة او مدرعة في ابحارهمـــا ، ولا تعرقل عمارات تبنى او طرقا تشق وتعبد او مناجم تكتشف وتستخرج ، او ادوات تصنع وتستعمل او أدوية تستكشف وتداوي ؟ ! .

لماذا كل هذه الهجمة على السلفية ، اذا كان الكثير من اطبائها ومهندسيها وتقنييها وعلمائها وصناعيها لا يجدون في عقيدتهم وسلوكاتهم ( الماضويـــة ) مـــا يعرقل عملهم في مهماتهم تلك ، ولا يجدون فيما طرا على الحياة علميا أو تقنيا او حضاريا أي تناقض مـــع سلوكاتهم وتصوراتهم السلفية ؟ !

بل لماذا الكثير من ابناء الحضارة الغربية نفسها لا من عوامها فحسب ؛ بل من مثقفيهـــا وعلمائهـــا يدخلون في ز مرة السلفيين فلا ينتقص من علمهم او اخلاقهم او سلوكاتهم شيء ؟ ! بل على العكس تزداد صلابة ومتانة وقدرة واستقامة ... فهل هؤلاء تطلق عليهم نتائج التحليل الماركسي ؟ ! وهؤلاء الماركسيون انفسهم الذين قطعوا كل علاقة مع السلفية وارتموا في احضان الحضارة الغربية ، كيف استطاعوا فهمهـــا والاندماج فيها ... بل والابداع فيها ؟ ! .

ولا شك أن التحليل الماركسي لن يستطيع ان يفلت من الاعتراف بأن مجال الاختـــلاف بين البشر كامن في الاختيارات الايديولوجية ، وأن البشر كلما تعلق الامر عندهم بالحياة الاجتماعية الاقتصاديـــة تقاربت سلوكاتهم وتحددت ، وكلمـــا ارتقـــت الى السياسة والايديولوجية اختلفت وتنافـــرت رغـــم تكاملها وتساوقها معا في الحياة . والا فما هو وجه الاختلافات مثلا بين الحياة الاقتصادية الراسماليـــة والحياة الاقتصادية الاشتراكية في العمل وساعاته وفي ادوات الانتاج وفي غايات الانتاج وفي تقنياته .. ان الاساسيات في ذلك مشتركة ومتشابهـــة تمـــام التشابه ولا يظهر الاختلاف الا اذا صعد الامـــر الى التنظيم اي طريقة ترابط المؤسسات الاقتصادية ؛ ويزداد الامر اختلافا في طرق تفسير ترابط تلـــك المؤسسات ايديولوجيا ... وبطبيعـــة الحـــال اذا كانت اساسيات الحياة المشتركة ممكنة ، ممكنـــة التعدد في مختلف الانظمة المختلفة هيكليا وايديولوجيا، فمعنى ذلك أن السلفية وغيرها تستطيع ان تشارك العالم على اساس الابعاد الثلاثة المشتركـــة بيـــن البشر .. وتستطيع أن تخالفهم في نمط الانظمـــة وبناءاتها الايديولوجية ... وليس في هذه العمليـــة انتقاء او تلفيق ، وانما هو بناء حياة ، اي أساسيات الحياة المشتركة على اسس تنظيمية وايديولوجيـــة تخص السلفية وحدها .. فهي حركة بناء ، وحركة حياة ، وليست حركة ماض جامد عاجز كما يريـــد التحليل الماركسي ان يحكم بها على السلفية .

**محمد العربي الناصر**



# مناقشة هادئة

## لنظريات دخيلة على الفكر الاسلامي المعاصر

للأستاذ محمد العربي الزكاري

**مـدخـل :**

لا خلاف في أن المسلمين يتعرضون اليوم لحملات شرسة تستهدف تشكيكهم في معتقداتهم الدينية وبلبلة أفكارهم في قيمهم الروحية ، وهي حملات ليست بجديدة في الساحة الاسلامية او تقل مكرا عن الحملات التي رافقت مبدأ البعثة المحمدية ، وانما تختلف عن سابقاتها حسب الظروف والملابسات التي عاشتها المجتمعات الاسلامية قوة وضعفا .

ففي بدء رسالة الاسلام كانت الصولة للكفر الصراح ، ومن الطبيعي أن توجه السهام الى الدين الجديد والداعي اليه ، باعتبارهما خروجا عن المألوف وثورة على آلهة القوم التي يعبدونها من دون الله ، وباستجابة المسلمين الاوائل لدعوة الاسلام تحولت الانظار اليهم وتوجهت السهام الى نحورهم فتعرضوا للتعذيب الجسمي والمقاطعة الجماعية قصد فتنتهم عن دينهم وفي محاولة يائسة لارتدادهم .

**في رحاب المدينة المنورة :**

ولم يكن هناك من حل امام حواري الرسول الكريم سوى الهجرة من ديار الكفر حيث التحق بهم الرسول بعد أن أذن الله له بالهجرة ، وفي رحاب المدينة المنورة أطمأن المسلمون على عقيدتهم نوعا ما، وان لم يسلموا من ملاحقة عبدة الاوثان لهم من يهود الجزيرة العربية .

ونتيجة لتكافؤ الجبهتين اتخذ المسلمون موقفا صريحا من خصومهم ، مما ادى بالتحام الفئتين في مناوشات وحروب كانت الغلبة في نهايتها للاسلام، وبذلك جعل المسلمون حدا لطغيان الكفرة وفرضوا هيبتهم على خصومهم الذين ركعوا امام القوة الاسلامية الضاربة القادرة على حماية الساحة الاسلامية .

**العمل في الظلام :**

وأمام الوضع الجديد لم يبق بيد الخصوم سوى الخداع والعمل في الظلام ، فبثوا دعاتهم من المنافقين لمعاكسة الاسلام في عقر داره ، أملا في تشكيك المسلمين في عقائدهم ، ورغبة في شغل الدولة الاسلامية عن هدفها الاسمى بصرف جهود النبي وصحابته في مشاكل جانبية ومجادلات بيزنطية .

وفي هذه الحالة الاستثنائية كان الصحابة رضوان الله عليهم بالمرصاد لهذه الموجة الجديدة ، وحروب الردة التي خاضها الخليفة الاول للرسول اكبر شاهد على المواقف الصارمة والشجاعة التي اتخذها المسلمون الصادقون ازاء مؤامرات المنافقين، بالاضافة الى مواقف فردية للصحابة الذين امتشقوا الحسام في كثير من الاحداث لضرب عنق كل منافق

اتضح امره وانكشف سره ، مما قلص من نشاط ذوي القلوب المريضة الى حد ما .

وشاء الله ان يلتحق الرسول الكريم بالرفيق الاعلى ويتولى امر الدولة الاسلامية خلفاؤه الراشدون، فسارت الدعوة المحمدية تشق طريقها بعد ان أرسى النبي عليه السلام قواعدها الاساسية ، وامتدت فتوحاتها في كل اتجاه ، مما اذهل قوات الشر التي غيرت خططها لمعاكسة المد الاسلامي الكاسح .

وما كانت تحركاتهم تبتعد عن خط المؤامرات ، اذ لم يبق بين ايديهم من وسائل سواها ، الا انهم جمعوها فيما يشبه « الطابور الخامس » الموكول اليه في العصر الحديث شراء الذمم لتخريب العقول وبلبلة الافكار وبعثرة الصفوف واحداث القلاقل لاضعاف اجهزة الدول تمهيدا للاستيلاء على مقاليد الحكم بطرق معروفة .

**رؤوس الشياطيـــــن :**

وعند ما أخذ الضعف يسري في دواليب القيادات السياسية ، وبعد ما انتثر عقد الخلافة الاسلامية ، اغتنمها الاعداء فرصة أخرى لتطل رؤوس الشياطين من جديد في تكتلات مريبة ، ومع انها لم تستطع الجهر بعدائها الصريح للاسلام ، فقد برزت في مظاهر انتحلت شعارات دينية تجديدية في شكل فرق ونحل كانت السبب المباشر في تفكيك وحدة المسلمين وتمزيق شملهم وبث الاحقاد والضغائن في الصفوف التي وحدها الاسلام بالهداية المحمدية والاشراقة الربانية ، وصدق الله العظيم : « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » .

**الاســـلام يتحـــدى :**

في هذا الجو الموبوء اخذت الطوائف الضالة تعمل لفصم عرى الوحدة الدينية بين المسلمين بشتى الوسائل وبدهاء منقطع النظير ، ولا مناص من الاعتراف بأنها حققت بعض مراميها وان كانت لم تصل الى هدفها الاكبر ، فقد بقي الاسلام الخالص بعيدا عن ترهاتها وفي منجاة من خزعبلاتها باعتباره دينا سماويا يتحدى الكفر والكافرين في كل زمان ومكان بدستوره الخالد الذي تكفل الحق سبحانه بحمايته في قوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ومن مظاهر الحفظ التي واكبت مسيرة الاسلام ان الساحة الاسلامية ازدادت قوة واتساعا بدخول الناس في دين الله افواجا ، وتسلم شعلة الاسلام وضاءة الابناء فالاحفاد الى اليوم والى ما شاء الله ، تحقيقا لوعد الله « فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين » .

**تصاعــــد الهجمـــــات :**

وتشاء ارادة الله ان تتساقط الدول الاسلامية تحت ضربات الاغيار لحكمة نجهلها ، ولعلها تكمن في قوله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فكانت مرحلة التعثر امتحانا للمسلمين في سلوكهم ومعاملاتهم ، وتنبيها لهم من غفلتهم حتى يرجعوا الى الصواب ليعود اليهم فجرهم من جديد .

ولكن الشيء الملفت للانظار هو ان الهجمات الالحادية في هذا الوضع نفسه لم تتخذ شكلا خطيرا اذا ما قارناها بمثيلاتها في عصرنا الحديث الذي تحررت فيه الشعوب الاسلامية من السيطرة السياسية والعسكرية الاجنبية التي كانت تحمي المخربين وتؤازرهم سرا وعلنيا .

ورغم اقتناعنا بأن الشعوب الاسلامية لا تزال في معظمها تبلع الغصة الناتجة عن الدسائس التي قام بها الاستعمار الاجنبي ضد شعوبنا عقائديا وثقافيا واجتماعيا ، فانه لا يزال في الامكان التغلب على الصعاب والقضاء على الرواسب اذا ما تفهم المسلمون ما هم معرضون له من اخطار وما ينتظر مستقبل ابنائهم من كوارث .

ولكي نقدر الظروف حق قدرها ونتصور التيه الذي ينتظر اجيالنا المقبلة لا بد من الاشارة الى أن الشعوب المسلمة تتعرض في الوقت الحاضر لغزو مذهبي منظم ومكشوف لم يكن مسموحا به حتى في احلك الظروف التي مرت بها المجتمعات الاسلامية ، فدعاة المذاهب الهدامة يحاضرون ويكتبون وينشرون ويدرسون ما يتنافى والعقيدة الاسلامية في جوهرها، ويبثون افكارا ونظريات ما انزل الله بها من سلطان ، وانما تسير في اتجاه واحد هو تشكيك المسلمين في عقائدهم ، وتنطلق من محور الالحاد والزندقة دون حسيب ولا رقيب .

## لماذا الاسلام وحده ؟

ومن الملاحظ ان هجمات الاغيار لم تستهدف العقائد المسيحية او اليهودية ، وانما توجه سهامها وتسخر ابواقها وامكانياتها لمحاربة عقيدتنا ، وفي تصوري ان ليس هذا الموقف من مبرر سوى ان الايدي الخفية ـ أو الظاهرة على أصح تعبير ـ ادركت أن لا سبيل لعودة سيطرتها على بلاد الاسلام والاستيلاء على خيراتها ما دام المسلمون متمسكين بدينهم ، باعتباره العقبة الكأداء التي تحول دون الوصول الى الاطماع وتحقيق الاحلام ، ولانه الدين الوحيد الحق الذي لا يسمح لاتباعه بالذل والخنوع ، ولا يرضى لهم الا بالكرامة والعزة « ولله العزة ولرسوله وللمومنين » .

هذا منطلقهم فى الحملات الهوجاء التي تصم اجراسها آذان المسلمين فى بقاع الاسلام ، وتلك اهدافهم التي يسعون اليها بطرق عجز حتى الشيطان عن ابتكارها والاهتداء اليها ، فقد غلفوا حملاتهم واهدافهم بنظريات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب .

والاساليب الابليسية كثيرة الاشكال ومتعددة الجوانب ، ولو حاولنا عرضها لطال بنا الحديث وتشعب ، وسنكتفي بنماذج منها ونناقشها مناقشة هادئة وموضوعية ، وغرضنا الاول والاخير منها هو لفت أنظار العامة فى دنيا الاسلام ليحذروا الافكار والنظريات التي تنزل الى السوق دون مبرر ومن غير حاجة اليها ما دام الاسلام قال كلمته الفاصلة ، وليكونوا على بينة منها بعرضها على الفكر الفاحص حتى لا تختلط المفاهيم الجديدة بالقيم الاسلامية الاصيلة ، وما عليهم الا الرجوع الى الكتاب والسنة والعودة الى سؤال من يثقون فيهم من العلماء المختصين الذين ارشدنا الله اليهم فى قوله « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

## الاوراق الصفراء !

قيل ان الاسلام يجب أن يقدم الى الشباب المسلم بشكل جديد يتلاءم ومفاهيم العصر الحديث، والى حدود هذه القولة نحن على اتفاق مع النظرية ونصفق لها من اعماق الاعماق ، اذ هي أمل كل مسلم صادق فى اسلامه ، ولكن هذه الجملة احيطت بالشبهات واعتبرها السامعون من قبيل السم فى الدسم ، فقد ختمت بهجمة على ما تحتويه كتبنا القديمة والتي يقال عنها بانها صفراء !

وهنا يحق للمسلم أن يقف وقفة تأمل ازاء « الاوراق الصفراء » المحشوة فى اعقاب الحديث ، كما يحق له ان يتساءل ما هو ذنب هذه الاوراق ، هل تحارب العقيدة الاسلامية ، وهل ائمة المسلمين اذنبوا فى حق الدين عندما سهروا الليالي الطوال فى جمعها وتصنيفها وتحقيقها ؟

اسئلة واردة وتفرض نفسها فرضا وتلح فى الجواب ، والجواب المنطقي والمعترف به قديما وحديثا هو ان فضلهم علينا وعلى الاسلام كبير وعريض ، ولولا اوراقهم هذه لم يصلنا من تراثنا الديني أي شيء ، فبفضلها وتحقيقات رجالها عرفنا اشياء واشياء تتصل بالاسلام من الناحية العقائدية والتاريخية والثقافية والحضارية .

فهل من الحكمة أن نضعها فوق الرفوف ونبدا من الصفر ، وبذلك تتحول مجتمعاتنا المسلمة الى مجتمعات غريبة عن دنيا البشرية وتصير كاللقيط فى هذه الميادين كلها ، ثم فمن اية نقطة سنبدا رحلتنا ؛ وهل نتوفر على البديل الذي نقدمه للناشئة المسلمة فى هذا الخضم من الشبهات والنظريات التي لم تزد غيرنا الا حيرة وارتباكا ؟

ان الواجب علينا ان نعتز بتلك الاوراق وننوه برجالها ونفتخر بهم كرواد اعدوا لنا مصادر فى جميع فروع الحياة أكدت وتؤكد حضور الفكر الاسلامي فى الساحة منذ أربعة عشر قرنا ، ومن حقهم علينا ان نترحم على ارواحهم بمجرد النظر اليها فضلا عن الاغتراف من ينابيعها والاستفادة من كنوزها .

وبغض النظر عن اسلوبها القديم ، وتفريعاتها الجانبية ، وما يمكن ان يكون فى بعضها من حشو غير مقصود ، فمؤلفوها لم يضعوها للنشء الصغير ، وانما اعدوها مصادر رئيسية للباحثين وذوي الاختصاص، وعلى هؤلاء ان يقدموا محتوياتها بالاسلوب الذي يرونه ملائما لكل عصر ولمستوى الفئة المخاطبة ، كما تقدم مناهج التعليم فى اطواره كلها ، بدءا من روضة الاطفال الى الجامعة فى التدرج بالمعلومات على حسب المستويات العقلية .

اذا ما الداعي لاقحام « الاوراق الصفراء » فى معرض الحديث عن اساليب الدعوة الى التجديد ، مع

اننا نعرف مسبقا انه من المستحيل تقديم تلك الكتب الضخمة الى شبابنا ، وانما سيدرسها المختصـــون ويستخرجون منها لب اللباب لتغذية عقول الناشئة المسلمـــــة ؟

**الكتـــابيـــــات :**

ويرتفع صوت آخر فى دنيا الاسلام يروج لزواج المسلمين بالكتابيات فيخلع عليهن من نعوت الاستقامة وحسن التدبير وقلة التكاليف ما سمحت له به تعابيره البراقة ، وقبل ابداء الراي الصريح فى هذه الدعوة نؤكد ان الاسلام اباح لاتباعه هذا النوع من الزواج ، ولا يوجد مسلم واحد ينازع فى هذه الاباحة .

ولكن الذي نعلمه ولا تستسيغه الاذواق هـــو الترويج لهذه العلاقة والدعوة لها بشكل علني ومركز، الامر الذي يجعلنا نتساءل مع المتسائلين لماذا كـــل هذا التهريج فى الاوساط المسلمـــة التي تزخـــر بالفتيات المسلمات البالغات سن الرشـــد ، فهـــل وصلنا - كمسلمين - الى استيعاب عنصر المسلمات وفضل لدينا رجال وشباب لم يجدوا فى مجتمعاتهم ما يسد الحاجة فى هذا الباب ؟

ان هذه النغمة لها ابعادها بالنسبة لمستقبـــل الفتاة والمراة المسلمة ، خصوصا وقد رافقت هذه النغمة هالة من الاكبار والاعجاب التي احاطها المتحدث بالمراة الكتابية على حساب المسلمة التـــي وقـــع التعريض بها الى حد الخجل ، ذلك التعريض الذي يرفضه كل مسلم غيور على سمعة المراة المسلمـــة باعتبارها شقيقته واحسن بكثير من الكتابية ولـــو اعجبتكـــــم !

ونتساءل مرة ثانية هل فى عالمنا المعاصـــر كتابيات بالمعنى الصحيح للكتابية التي تومن بأن الله واحد ، بعد ان حرف أصحاب الاديان السابقة كتبهم السماوية وأصبح فريق منهم يزعم أن عيسى ربـــه ، وفريق آخر يدعي ان عزير ابن الله ، تعالى الله عـــن ذلك علوا كبيرا .

وكيفما كانت الاوضاع والملابسات فنحـــن لا نعارض فى اباحة هذا الزواج ما دام الحق سبحانـــه اقره ، ولا يسعنا الا ان نبارك من عمل بهذا الارتباط لظروفه الخاصة ، والله تعالى هو المطلع على خبايا القلوب ، والذي لا نقبله بحال من الاحوال كمسلمين هو ان تعقد الندوات للتبشير به فى الوقت الـــذي تتوفر فيه مجتمعاتنا على فائض هائل من فتيـــات ينتظرن الزواج .

**الباقيـــات الصالحـــات :**

واخيرا نسمع محاضرا يختم حديثه الذي كان جل مستمعيه من العامة بانه لا ينبغي الاتكـــال على الباقيات الصالحات ، وانما هو العمل ، العمـــل ، العمـــــل !

وسبحان الله ! ماذا يضير المسلم ان يذكر الله فى سره وهو يعمل ويعمل ويعمل ، فهل سيتوقـــف العمل ويقل الانتاج وتتعطل الآلة عن الدوران ؟

وقبل ابداء بعض الملاحظات على هذه القولـــة يجدر بنا ان نقرأ آية من كتاب الله وحديثـــا مـــن احاديث رسوله ، قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا » وقد فسرها فريق من الصحابـــة رضوان الله عليهم بانها « لا اله الا الله ، والله اكبر ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله » .

وجاء فى الحديث النبوي الصحيح : « ان فقراء المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذهب اهل الدثور بالاجور والدرجات العلا والنعيم ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من الاموال يحجون بها ويعتمرون ، ويجاهـــدون ، ويتصدقون بفضل اموالهم . فقال لهم النبـــي : الا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون بـــه من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنـــع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قـــال : تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثـــا وثلاثيـــن مـــرة » .

فلنترك اذا الآية الكريمة والحديث النبـــوي يجادلان عن الباقيات الصالحات ، ففيهما الدليـــل القاطع والبرهان الساطع على سفاهة التقليـــل من اهمية هذا الذكر ، ونتساءل :

ماذا يقصد الداعي بالعمل ؟ هل السلوك الفردي فى محيط الاسرة والمجتمع وازاء بني الانسان بصفة عامة ، ام العمل فى ميدان الانتاج المادي الصرف ؟

وبديهي ان النوع الاول يتطلب نقاء الضمير وصفاء الوجدان وطهارة القلب ، ولا تتحقق هذه المعاني السامية الا بمراقبة الله فى السر والعلن والانقياد اليه فى كل الحركات والسكنات ، ولن يستقيم اى سلوك ما دمنا قد اغلقنا فى وجه المسلم ابواب الرحمة الالهية بحرماننا اياه حتى من تسبيح الله وحمده وتكبيره والانقياد الى حوله وقوته .

وان كان القصد هو النوع الثاني ، فكل الناس يعملون ولا تستقيم الحياة الا به ، وحتى هذه الاعمال فى العرف الاسلامي لا بد وان تكون « صالحات » وفى هذا المعنى يقول الحق سبحانه : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، انا لا نضيع اجر من احسن عملا » فالاعمال بالنسبة للمسلم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعمل الصالح ، لا بالعمل ولو كان فيه خراب الفرد ودمار المجتمع .

ولا يعزب عن البال ان مزاولة العمل المصاحب بذكر الله من شانه ان يقوي عزيمة العامل ويدفعه لبذل جهد اكبر ما دام يتصور أن الله معينه وممده بقوة خفية لا دخل للبشر فيها ، وانما هي مستمدة منه سبحانه ، والله تبارك وتعالى ورسوله الكريم لم يقولا لنا أوقفوا العمل وتفرغوا للذكر ، وانما هي أذكار تقال بعد كل صلاة مكتوبة لا تستغرق الا دقائق معدودات، وان لم يكن فى وسع المسلم ان يقتطع هذه الدقائق من يومه وليلته فلا خير فى عمله ولا بركة فى انتاجه، وصدق الله العظيم الذي يقول : « يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون » .

اذا فالاسلام يمجد العمل ، وكتاب الله يطفح بالدعوة الى الاعمال التي تحقق ارادته سبحانه فى استخلافنا على هذا الكوكب ، ولكنه يحض فى نفس الوقت على الذكر ويحث المسلمين عليه فيخاطبنا بقوله : « يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة واصيلا ، هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وكان بالمومنين رحيما » .

ومن الحجج الدامغة على ان الاسلام يمجد العمل تمجيدا كبيرا ، الحديث النبوي الشريف « ما اكل عبد طعاما قط خيرا من ان ياكل من عمل يده ، وان نبي الله داود عليه السلام كان ياكل من عمل يده» فهل من دعوة الى العمل توازي هذا الحض النبوي على الكسب ؟ انها دعوة صريحة تغنينا عن تمجيد عمل لا يقترن بذكر الله ، وتجعلنا نومن بأن المسلم فى امكانه ان يجمع بين الحسنيين وهو يفلح الارض ، ويزاول المهنة ، ويدير الآلة ، ويرابط على الحدود للدفاع عن حوزة الاوطان .

فالاجدر بنا ان لا نحدث البلبلة فى عقول المسلمين ونثير الشكوك فى ادمغة العامة ، وحري بنا ان نحبب العمل للمواطن داخل الاطار الديني ، بدل ان ندعوه ليكون آلة صماء لا تعرف هدفا ، وانما تدور وتدور لحساب غيرها ولانتاج ادوات الفتك بالانسان وخراب الحضارة البشرية ، وقد دلت التجربة على ان العامل المتوفر على رصيد من الايمان الصحيح يوفر اكبر انتاج ويحقق أضخم مردود لنفسه ومجتمعه وللدولة فى سلمها وحربها ، بخلاف الغافل عن ذكر الله او المتمرد عليه فهو موكول الى الشيطان.

والمسلم اخيرا يعي كل الوعي أن الاعمال الفردية سواء أكانت لا تستهدف الا المصالح المادية الصرفة ، او المقرونة بذكر الله والموجهة للصالح العام ، تبقى موكولة فى النهاية لقبولها الى رحمة الله الواسعة ، ومن رحمه الله سبحانه فقد فاز فى الدارين ، ومن حرم هذه الرحمة فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين .

## وبعد ...

وبعد ، فتلك نماذج من النظريات الدخيلة على الفكر الاسلامي ، وهي فى نظر المهتمين بالدراسات الاسلامية المعمقة ومن لهم جولات موفقة فى ميدان الاصلاح الاجتماعي فى العالم الاسلامي سخيفة لا تستحق اي اهتمام ، ولكنها بالنسبة للعامة وللشباب المسلم المعرضين لهجمات منسقة من الناحية العقائدية تحمل بين طياتها السم الزعاف فى معرض التشكك وفقد الثقة فى كل القيم الرفيعة التي جاء بها الاسلام .

ولا يسعنا في ختام هذا البحث الا التأكيد على أن كثيرا من الدعاة يتعرضون لفلتات فكرية ربما تكون نتيجة تأثر اصحابها بمزاعم مدسوسة انطلت على بعض الافهام ، ولا يسع المسلم الصادق في ايمانه ــ والحالة هذه ــ الا ان يلتمس لهم الاعذار ، وكل الاعــذار ...

والله نسأل ان يقيهم وايانا عثرات اللسان وهفوات الافكار ، وصدق الله العظيم الذي يحذر المسلمين من الجدل العقيم في قوله تعالى : وهو اصدق القائلين : « ولقد صرفنا في هذا القرءان للناس من كل مثل ، وكان الانسان اكثر شيء جدلا ».

**محمد العربي الزكاري**

> « ان الابتعاد بالعرب عن الاسلام معناه انفصال البناء من أساسه ، وقد ثبت تاريخيا ان قوة العرب تعني قوة الاسلام ، والشيء نفسه يمكن ان يحدث اليوم » .
>
> ( مورو بيرجو )

# مولد النور

للشاعر الأستاذ محمد الحلوي

أي سر أفضت به حواء … فازدهت منه ارضنا والسماء !

حمل الكون ثقله وهو غيب … وتجلى فكان فيه الجلاء

وأفاق الوجود من نومة طا … ل مداها ، وطال فيها الشقاء

يرقب الفجر فى غياهب ليل … مدلهم ، رياحه هوجاء

طفح الشر فيه وغطى … كل خير ، وسادت الدهماء

واذا الناس فى الحياة قطيع … مستباح تعيث فيه الرعاء

الرجال الشداد فيه عبيد … والنساء الحسان فيه اماء !

وتوارى وجه العدالة فى حمـ … ـأة ظلم يشنه الاقوياء

وتدلت الى الدنايا نفوس … صرعتها الميول والاهواء

انكرت ربها ونصب المـا … ل الاها تملي به ما تشاء

وأبى العقل أن يصدق بعثا … بعد موت يكون فيه جزاء

ظلمات تخبط الكون فيها … وانحراف من الهدى والتواء

كغريق بصارع الموج فى يا … س بشوب القنوط فيه الرجاء

* * *

ورأى الله ما تعاني البرايا … من بلايا تشقى بها وتساء

فتجلى بنوره وأزال الـ … ـغم عنها وانجابت الظلماء

واذا الكون بسمة وزغاريـ … ـد ، وعطر وبهجة ورواء

فجر النـــور فى مواكـــب نـــور ... عانقتهـا الملائــــك الغـــــراء

اي عـــرس يـــزف أعظـــم بشـــرى ... لوجـــود قـــد هـــده الاعيـــاء !

اي نـــور اهدتـــه آمنـــة الخيـــ ... ـــر ، وربت ما لم تلـــده النســـاء !

اي طهر احلـــه اللـــه اصـــلا ... بـــا كراما لم يدن منها خنـــاء !

اي كنز اخفتـــه أيـــدي الليالـــي ... كشفت عن جلالـــه الصحـــراء !

زلزل البشر يـــوم مولـــد طـــه ... وتولـــت أيامـــه الســـوداء

وبدا فى الحـــداد ابليس يبكـــي ... بـــدم شـــر ما يكـــون البكـــاء

كل بيـــت للنـــار أصبـــح ميتـــا ... بين احشائـــه اســـى وانطفـــاء

زعـــم الـــلات انـــه مصدر الخيـــ ... ـــر وفيض الخليقـــة المعطـــاء

ثكلتـــه العـــزى وكـــل دماهـــا ... فى قريش ، وحـــق فيهـــا الرثـــاء

خسئت شرعة الاساطيـــر والشـــ ... ـــر ، وبـــاءت بالانهـــزام وبـــاؤا

* * *

شب والطهـــر من معاطفـــه ينـــ ... ـــضح ، والـــروح عفـــة ونقـــاء

وارتقى فى اخلاقـــه قمـــة لـــم ... يـــرق قبـــلا لمثلهـــا الانبيـــاء

اطلقت بالثنـــاء كـــل لســـان ... واشـــادت بنبلهـــا الاعـــداء

كيف يرجو الثناء فى الارض من اثـــ ... ـــنت على خلقه العظيم السمـــاء ؟!

منطـــق كالـــزلال عذبـــا ولكـــن ... اين مـــن دره النضيـــد المـــاء ؟

وسجايـــا ارق من نـــفس الفجـــ ... ـــر ، سجايـــا علويـــة سمحـــاء

ومحيا يجـــل عن كـــل وصـــف ... ما الثريا فى افقهـــا ما ذكـــاء ؟

بشر غير انـــه فى كمـــال الـــ ... ـــخلق والخلـــق قمـــة شمـــاء !

واتـــاه جبريـــل يقطـــر بالوحـــ ... ـــي ، والقـــى قراءـــه الالقـــاء

ضمـــه ضمـــة اليـــه وخـــلا ... ه ، وفى القلـــب سورة بيضـــاء

خشعت من جلالها الارض واخضـــ ... ـــرت رباهـــا ، وتاه فيها حـــراء

حدث كان مولـــد الحـــق والنـــ ... ـــور وبشرى مذ تم ذاك اللقـــاء

واتى زوجـــه خديجـــة يسعـــى ... وعلى وجهـــه البهـــي ضيـــاء

هدات روعه وقالـــت رايـــت الـــ ... ـــيوم ما كان يبصـــر الرســـلاء

وتلقـــى اوامـــر اللـــه ان بلـــ ... ـــغ فقـــد آن يذاع النـــداء

فتعالـــت الله اكبـــر فى كـــل ... كئيب واهتـــز منهـــا الفضـــاء

شده القوم واشمازت قريـــش ... وتعالت عـــن دينـــه الاغنيـــاء

كيف ترضى قريش ان تتخلى — عن أساطير خطها الآباء ؟
كيف تنسى اصنامها ودماها — كيف تهوى امجادها القعساء ؟
ألفت أن تطاع في كل أمر — لا نبي ، لا آمر نهاء !
ليس عن دعوة النبي بديل — يرتضى غير ان تسيل الدماء

* * *

وتوالت مقاطع الوحي تترى — واستمر التبليغ والايحاء
وهدير القرآن يعلو فتعنو — لهداه الارواح والاعضاء
سمعوا آية فقالوا : افتراء — هو سحر من ساحر وهراء
ورموه بالشعر وهو براء — من معان يهذى بها الشعراء
واشاحت قريش عن دعوة اللـ — ـه وظلت كأنها صماء
لا يضير النهار ان لا تراه — اعين — في ضيائه — عمياء
واذا ضلت العقول وضاعت — لم تفد حكمة ولا حكماء !
اسرفت في الأذى قريش وجنت — وتعالت صيحاتها الرعناء
الجأته للاغتراب وفيه — فرصة لانتصاره ونجاء
حل في يثرب فحل بها اليمـ — ـن وحفت بأهلها النعماء
أسكنوه قلوبهم وثراهم — وحموا صحبه وهم غرباء
آثروه رغم الخصاصة والضنـ — ـك واعطوا كما يكون العطاء
وتحدى الحواريون قريشا — وهي أسد الى الدماء ظماء
لم يهونوا تحت السياط ولا ذلـ — ـوا ، ولا نال منهم استهزاء
سل بلالا وآل ياسر ماذا — صنعت في اجسامها الرمضاء !
والمبادي تنهار ان لم تدعم — بالضحايا ، ولم تصنها الدماء !

* * *

يوم اسلام خالد يوم حزن — وحداد وطعنة نجلاء
افقدتها صوابها وتواها — وقتاها ان شبت الهيجاء
واستجاب الفاروق للحق فانها — رت قريش ومسها اغماء
لم تفدها المؤامرات ولا ما — دبرته الاحزاب والحلفاء
كتب الله ان يؤيد دينا — شرعه العدل والتقى والاخاء
لا مسود ، لا سيد ، لا امتياز — عنصري ، الكل فيه سواء

وارتقى للسماء يعلو به الرو ح ويجلو من غيبها ما يشاء

لم يكن ما رآه حلما ولكن كان رفعا خفت به الاعضاء

من تراه مصدقا ان انسا نا على الارض تحتويه السماء !

* * *

فرحة المسلمين فى يوم بدر شهدتها الملائك الغراء

توج النصر فيه خير نبي دينه السلم فى الورى لا العداء

رفعت فيه انفس وانوف كان فيها تغطرس واباء

أي فتح كفتح مكة ! لم تـ ـسفك دماء ولا استرق نساء

هانئته بطاحها ورباها وافتدته ابناؤها الطلقاء !

لم يزل يبذل الجهود ويبني ويربي حتى استقام البناء

واذا العرب امة ترفع المجـ ـد وتعلى وكلها بناء !

وجد العلم فى حماها ربوعا ناضرات رحابها فيحاء

ومضى والاسلام صرح مشيد تعتليه مهابة وسناء

فسلام عليك ما عبد اللـ ـه وما مجد اسمك الاحياء

وسلام عليك ما شع فى الكو ن ضياء وسحت الانواء

وسلام عليك ما طاف بالبيـ ـت حجيج وطاب فيه الدعاء

بهداك انتهت شرائع قامت ولما جئت للخليقة جاءوا

شرع موسى ودين عيسى جميعا بمثاني محمد بشراء

انت مسك الختام فى موكب الوحـ ـي وانت الاكليل والطغراء

فعليه من ربه صلوات ولنا ما قامت الاشياء

* * *

يا نبي الاسلام امتك اليـ ـوم توالت بساحها الارزاء

مزقتها الآراء فهي شتات وتفشت فى جسمها الادواء

وغزتها الاحقاد والمحن السو د ، وتاهت بركبها الاهواء

واستطابت لذائذ العيش وانسا قت كما يبتغي لها الدخلاء

نقدت نفسها وقد اطبق الهو ج عليها واشتاقها الارساء

لونتها المعسكرات ودارت فى سماها كانها الحرباء

لم تفدها مواقف الغرب منها أي درس يعي به العقلاء

في فلسطين عبرة ليس تنسى … نحن أبناؤها ونحن الفداء !

أسلمت أمرها الى كل غاو … لاتكي وسامها الغوغاء

يا نبي الاسلام أمتك الغر … ى تنادي فهل يخيب النداء ؟

أنت ربانها وملهمها الرشـ … ـد اذا طوحت بها هوجاء

أنت طوق النجاة في كل خطب … يعترينا ، والبلسم الشفاء

كل شعر يصاغ فيك وان ابـ … ـدع فيه وحلق الشعراء

فهو نبع من فيض بحرك رقرا … ق وروض وأنت فيه الشذاء

ونشيد في مولد النور يتلى … وكتاب اليك فيه ثناء

كن شفيعي يوم اللقاء اذا طا … ل وقوفي وردني الشفعاء

يا حبيبي اذا الاحبة جاروا ! … وصديقي أن خانني الاصدقاء !!

**محمد الطـوي**

# إلى كتابنا

●● تسهيلا لعمليات المراجعة والتصحيح ، وتلافيا لتكرار الاخطاء المطبعية ، يرجى من السادة كتاب المجلة ان يتكرموا بطبع مقالاتهم على الآلة الكاتبة ، أو كتابتها بخط واضح مع مراعاة ترقيم الآيات الكريمة وتخريج الاحاديث الشريفة ●

# القصيدة العربية

للدكتور عبدالله الطيب

ما القصيدة العربية ؟ أبيات من الشعر ادناها سبعة وقد تبلغ الف بيت . زعموا ان بني تغلب ترافدوا فى النونية المعلقة فبلغوا بها الف بيت فقالت العرب :

الهى بني تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذكان أولهم
يا للرجال لشعر غير مسئوم

وهمزية البوصيري تقارب اربعمائة او خمسمائة بيت . واكثر ما كانت تبلغه القصيدة نحو ستين بيتا. معلقة طرفة جاوزت مائة بيت . وفائية الفرزدق :

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف
وانكرت من حدراء ما كنت تعرف

اكثر من عشرين ومائة . ونسأل بعد : فما البيت ؟ واقرب ما يقال فى ذلك انه وحدة تامة من كلام موزون مقفى . والوزن هو الايقاع المنتظم على طريقة العرب ومذهبهم . والقافية جزء منه ، مؤتلفة معه .

ونسأل بعد هل ائتلاف القصيدة من الابيات اللواتي هن اجزاؤها يكون بوحدة من نظام ملتحم او بلا نظام ؟ وظاهر كلام العقاد رحمه الله يوهم المعنى الثاني وذلك حيث قال فى الساعات او الفصول ان مدار الشعر العربي على البيت ومدار أشعار الغربيين على تعاطف القصيدة المتكاملة .

واستعمال العقاد للفظ « القصيدة » فى هذا الموضع مما يحسن ان يوقف عنده شيئا اذ مراده التأليف الذي يسمى بالانجليزية
واطلاق لفظ القصيدة للدلالة عليه فيه تجوز ، اذ القصيدة مفهوم ومعنى عربي خالص عرفه الجاهليون والاسلاميون والمحدثون جميعا . قال المسيب بن علس :

فلأهدين مع الرياح قصيدة
مني مغلغلة الى القعقاع

ترد المياه فلا تزال غريبة
فى القوم بين تمثل وسماع

وقال الاعشى :

وقصيدة تأتي الملوك غريبة
قد قلتها ليقال منذا قالها

وكلا المسيب وابن اخته الاعشى جاهليان .

وقال الفرزدق :

اذا قال غاو من معد قصيدة
بها جرب عدت على بزوبرا

اي نسبت الى كلها ، تقول اخذه بزوبره اي اخذه كله اجمع وزوبر ههنا ممنوعة من الصرف .

وقال الفرزدق ايضا :

وهب القصائد لي النوابغ اذ مضوا
وابو يزيد وذو القروح وجرول

وقال عدي بن الرقاع العاملي :

وقصيدة قد بت اجمع شملها
حتى اقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف فى كعوب قناته
حتى يقيم ثقافه منآدها

وكلا الفرزدق وابن الرقاع اسلاميان .
وقال ابو الطيب من المحدثين :

الا ليت شعري هل اقول قصيدة
فلا اشتكي فيها ولا اتعتب

وجلي من جميع هذا ان القصيدة كل شعري ذو وحدة معروفة فطن لها العرب منذ دهرهم الاول . والابيات العدد لسن قصيدة وانما هن ابيات . وانما يكن قصيدة اذا انتظمتهن وحدة وروح واحد . ولا تجد ناقدا من الاولين اذا اختار عددا من الابيات ليسميهن قصيدة وان جاوزن سبعة او عشرة ولكن يسميهن ابياتا كالذي فعل ابن سلام حين اختار من نونية الثقب العبدي ثمانية ابيات وقال : « وهذه الابيات بعض القصيدة وانما انتخبنا أجودها ابياتا » واذا صح عندنا أن القصيدة كل واحد ، وجب ان نلتمس ادراك روح حقيقة الوحدة فى ذلك الكل لا من عدد الابيات وذلك قولنا انها اكثر من سبعة او عشرة وانها طويلة أو متوسطة الطول ، ولكن من سوى ذلك من ضروب الائتلاف . والبيت انما هو جزء من القصيدة فتعريف القصيدة بعدد الابيات لا يفيدنا كبير شيء ، ولا يقدح فى قولنا هذا ما ذكره ابن سلام من ان أوائل العرب انما كانوا ينظمون البيت والبيتين ، فهذه الابيات التي ذكر لم تكن قصائد ولا بداية قصائد وانما كانت من قبيل المنظوم الذي ليس بقصيد كالرجز ـ وابيات دويد التي استشهد بها ابن سلام من الرجز وهي التي يقول فيها :

اليوم يبنى لدويد بيته

وانما كان يقال الرجز مع الحركة والعمل ، والى هذا الوجه ذهبنا فى كتابنا المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها فى الجزئين الاول والثالث واستشهدنا ببيت السيرة الذي فى خبر غزوة الخندق

سماه من بعد جعيل عمرا
وكان للبائس يوما ظهرا

وسواه . وقد نص أبو الحسن على هذا المعنى فى قوافيه فلينظر .

هذا واذ عن ذكر ابن سلام فلا بأس هنا أن نستطرد فنعجب منه حيث يقول فى أول كتابه : « وفى الشعر مصنوع مفتعل كثير لا خير فيه الى آخر ما قاله » ثم يقول : « وكان ممن أفسد الشعر بعد وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن اسحق بن يسار ... الخ » . وذكر ابن سلام اعتذار ابن اسحق قال : « وكان يعتذر عنها ويقول لا علم لي بالشعر ولم يكن ذلك له عذرا . ا هـ . » وقد حمل ابن سلام نفسه فى كتابه الطبقات من كل غثاء . واحسب والله تعالى اعلم ، أن النظريات الثاقبات الجياد هن مما نقله ابن سلام عن اشياخه يونس ومن اليه وان الغث وهو كثير مما جمعه هو . ومحمد بن اسحق من الثقات وثقه البخاري ومسلم وانما اخذا عن نقدة الرجال قبلهما وكانا رحمهما الله قل أن يجتمعا على خطا فبحسب ابن اسحق هذه التزكية ولا يضيره طعن ابن سلام ويجب الا نأخذ به ولا يسنده ما ذكر عن مالك رضي الله عنه فى أمر ابن اسحق اذ لم يكن هذا امر تعديل وجرح . هذا وما ذكره ابن سلام عن ابن اسحق فيه لابن اسحق حجة اذ كان انما يتقصد جمع الاخبار كما علمها رواتها وجودة هذا من جهة النظر العلمية لا تخفى . وفى كتاب ابن هشام المختصر من السيرة تعقيب مفصل على روايات ابن اسحاق هو

نفسه موضوع للتعقيب . فلعل ابن سلام قد اخذ من مصادر كالمصادر التي اخذ منها ابن هشام ولعل دعوى الرجل كانت اكبر من فكره وعلمه اذ فى كتابه طبقات فحول الشعراء تفاوت كثير . ويجوز أن يكون أجوده قد فقد . والله أعلم وهو الموفق والهادي الى سبيل الرشاد .

هذا وعندي ان الشاعر العربي انما كان يعتلج الكلام فى صدره وزنا بادي الراي ثم يفصح عنه بعد باللفظ والقافية ولعل القافية قد تسبق بنغمها المحض اذ هي من معدن الوزن . وعلى هذا الوجه تكون صورة الوزن والقافية الايقاعية هي الهيئة المكتملة المتحدة للقصيدة من وراء المعاني والالفاظ. وطبيعة الشعر العربي هي التي أوجبت هذا ؛ ذلك أن الشاعر العربي كان يراد منه لقاء الناس مواجهة وكفاحا بالقول الصريح بلا التواء او اختفاء . معنى الشاعر اذا نظرنا الى أصل اشتقاقها من « شعر » بمعنى عرف كما فى قولك ليت شعري كذا وكذا اى ليتني أعرف . وهذا يدل على أن الشعر كان عند العرب ضربا مقاربا للكهانة . وقد تعلم انهم كانوا يسمون ضربا من مقاربي الكهنة عندهم بالعراف ، قال الشاعر :

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد ان هما شفياني

وكان الشاعر بعد يختلف عن انواع الكهنة والحزاة والزجار والعياف والعرافين بأمر جوهري ، وذلك انه لم تكن له من وسيلة يستعلي بها على الناس ويفرض روحه وشخصيته الا محض البيان بالشعر لا غير . وقد بلغ من قوة تأثير البيان أن ظن ان الشاعر له رئي كما للكاهن رئي من الجن وقرين . وفى الحق لم يكن للشاعر من قرين غير شجاعة قلبه . وافتخار الشعراء القدماء بقوانيهم يستفاد منه نحو من هذا المعنى ، مثلا قول أبي النجم العجلي :

اني وكل شاعر من البشر
شيطانه انثى وشيطاني ذكر

وقول سويد بن أبي كاهل :

واتاني صاحب ذو غيث
زفيان عند انفاد القرع

قال لبيك وما استصرخته
حاقر للناس قوال القذع

وهذا الذي يقول لبيك بلا استصراخ من الشاعر له ينبغي أن يكون مما ينبعث من اغواره . وقد افصح سويد بعد عن هذا المعنى وهو يذكر خصمه :

وراى مني مقاما ثابتا
صادق النجدة كتام الوجع

ولسانا صيرفيا صارما
كحسام السيف ما مس قطع

هل سويد غير ليث خادر
ثئدت ارض عليه فانتجع

فقوله هل سويد الخ . يدل على ان قرينه ما هو الا نفسه .

هذا واذا كان الشاعر مرادا منه لقاء الناس صلتا صريحا فانه كان يحتاج الى مجن يتترس به امام شجاعة لقائه الناس ، فاتخذ لنفسه الوانا من التبدي فى الاسلوب . ان العرب انفسهم فرضوا هذا المذهب المتبدي على الشاعر لما كانوا يعتقدونه من صدق البداوة الاولى . والسبب مما رمزوا به الى هذه البداوة المثالية . وقد نبه ابن قتيبة فى مقدمة كتابه الشعر والشعراء على خطا من وقف بالدار العامرة وركب البرذون ووصف المياه العذبة ونعت التفاح والاجاص دون نبات البادية كالعرار والحنوة والجثجاث . وانما كان يراد من جميع هذا أن يتقمص الشاعر روح حرية الصحراء وهي لا تكون الا مع وحشيتها .

هذا ولما بعدت مسافة ما بين الحضارة العباسية وعهد عرف العرب القديم الذي كان صدر الاسلام ومن قبل ، بسبب طول الزمن واختلاف الاحوال وتغير الطباع وتنوع العمران الاسلامي واكتماله ، جعل مظهر البداوة الذي كان يرتاح اليه العرب قديما ، يبدو ذا غرابة . وقد قال أبو نواس ينعي على بعض مذاهب الشعر فى زمانه :

عاج الشقى على رسم يسائله
وعجت أسال عن خمارة البلد

وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
رقم ..........
.... الجامع

تبكي على طلل الماضين من أسد
لا در درك قل لي من بنو أسد

ومن تميم ومن قيس ولفهما
ليس الاعاريب عند الله من احد

وظاهر هذا الكلام شعوبي . الا انه غير جاد فى ذلك كل الجد . ونسأل بعد من هذا الشقي الذي عاج على طلل بني أسد واطلال قيس وتميم ؟ وما ارى الا ان ابا نواس عنى معاصرين باعيانهم كانوا يحاكون امرأ القيس وأوسا وعلقمة وزهيرا فى تفخيم اللفظ من دون روح هؤلاء ويتبدون بمظهر كاذب مفتعل . ولا يخفى ان امرأ القيس كان يبكي على اطلال بني اسد وان أوسا وعلقمة والمخبل بكوا على اطلال تميم وان زهيرا والنابغة ولبيدا بكوا على اطلال قيس وهلم جرا . وكأن ابو نواس يقول لهؤلاء ليس مظهر الاعرابية بشيء فقد بطل التعرب بعد الاسلام والهجرة وانما سر الفحولة والشعر فى روح البداوة الحرة التي ليست عندكم يا هؤلاء ولكن عندي اذ اجاهر بالسؤال عن خمارة البلد . ووقوف ابي نواس حيث وقف على طلل مجلس الخمر فى سينيته المشهورة :

ودار ندامى عطلوها وادلجوا
بها اثر منهم جديد ودارس

يقوي هذا الذي نذهب اليه .

وقد فطن أبو تمام الى أن البداوة المثالية التي كان يتزيا بها الشعر والشاعر امر فكري روحي يستعان به على الصدق الفني والتجويد والالهام . وقد عمد ابو تمام الى النسيب القيم الذي هو رمز تلك البداوة فجعل من رماله ودمنه معالم فكر وكنايات بيان حضاري . وقد افتن كلا البحتري وابن الرومي فى مذاهب فرعاها من طريقة ابي تمام ، كل على مقدار ملكته وبحسب الغالب على مزاجه وذوقه . وقد بلغ البحتري أوجه فى السينية التي جلت عن مدى تذوقه للجمال وأريحيته الى النغم . وقد بلغ ابن الرومي أوجه فى الهجاء ولا سيما شعره الذي يوازن فيه بين حظه هو المنحوس وحظوظ غيره ممن كان يرى أنهم هم دونه بلا ريب . وتأمل قوله :

اتراني دون الالى بلغوا الا
راب من سوقة ومن كتاب

نعم البستهم نعم الله
ـه ظلال الغصون منها الرطاب

ان تلك الغصون تصبح عندي
ظالمات فهل لها من متاب

والبائية التي منها هذه الابيات ، وهي من اعجبها الى ، اعدها من جياده ومطلعها :

طار قوم نجفة الوزن حتى
لحقوا خفة بقاب العقاب

واستحسن تركه التصريع ههنا اذ فى التصريع كالاستراحة النفسية وهو هنا شديد القلق . هذا ومع ذلك اجدني اميل الى الظن بانه لم يخل فيها وفى النونية التي اختار منها أبو علي القالي فى الامالي ابيات العود ، أن نظر الى سينية البحتري ، اللهم الا ان يكون نظمها قبل السينية ، وهذا عندي بعيد والله تعالى أعلم .

ثم جاء أبو الطيب رحمه الله . وكان القدر قد خبأه ليضرب به لاهل الحضارة مثلا حيا من بين انفسهم من امثلة بداوة الفكر والروح المثالية تلك التي نشدها أبو تمام ومن قبل قد كان رمز لها قدماء العرب بالظمائن والطلول والناقة وركوب الناقة وهلم جرا . وكان الصدق من طبع ابي الطيب ونبه على ذلك ابن جنى فى الخصائص وغيره ممن ترجم لابي الطيب. وشعره بعد ناطق بذلك وبسبب صدقه فيه قد قتلوه ، على الارجح . وهو القائل لكافور :

تفضح الشمس كلما ذرت الشمس بشمس منيرة سوداء

ولفاتك : وقد يلقبه المجنون حاسده

وفى أخت سيف الدولة :

وهل سمعت سلاما لي الم بها ؟

قالوا وما له يسلم على حرم الملوك ؟

هذا وقد ادرك أبو العلاء المعري ان طريق ابي الطيب عسر . كما قد فطن الى ما نبه اليه ابو تمام من أن حقيقة بداوة الشعر امر روحي فكري وهو القائل :

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى
والليل أسود رقعة الجلباب

وقال في التسيب :

بكر اذا جردت في حسنها
فكرك دلتك على الصانع

وكأن ابا الطيب نظر الى ابي تمام حيث قال :

مراتب صمدت والفكر يتبعها
فجاز هو على آثارها الشهبا

ولو وقع هذا البيت في شعر ابي تمام ما شذ عنه وليس بمنكر عليه وهو بأسلوبه اشبه . والى معنى الفكر في شعر ابي تمام وقصده اليه اشار ابن الاثير حيث قال : « رب معان وصيقل الباب واذهان »

هذا وقد عمد المعري بذكائه الى استلال جانب الفكر البحت من روح الفروسية التي عند ابي الطيب وروح الشعور بالقدرة والاعتداد الفني الذي عند ابي تمام واعتاض عن جهارة ذاك وصرامة هذا — وكلتاهما بداوة فكر وروح — مذهبا اختاره لنفسه من الاداء اللفظي خلط فيه بين زخرفة البديع ووحشي الالفاظ ولزوم ما لا يلزم . وكأنه اراد بهذا ان يكسب اسلوبه بداوة روح شعثاء . وبداوة الروح لا تصنع . وقد كان المعري جياش النفس بنغم الشعر وايقاعه غير انه لم تكن له فروسية الشاعر التي عند ابي الطيب ولا صرامة التجرد الفني التي عند ابي تمام . فجاء كلامه في اللزوميات في اكثره مثقلا بالتكليف وله فيه بعد جياد روائع قلائل الا انهن دون جياد ابي الطيب وابي تمام . وانما اجادة المعري حقا في سقط الزند. على ان المعري قد كان بعد الثلاثة الذين سبقوه ، ابي تمام والبحتري وابي الطيب ، آخر القمم والفحول بعده قليل متباعد ما بينهم كالتهامي والطغرائي والابيوردي . ثم ان الشعراء التفتوا الى المديح النبوي وهذا كان آخر اطوار القصيدة قبل عصرنا الحاضر .

ومن عجيب امر شعراء المديح النبوي أن انفعالهم كان يضعف وانفاسهم تبوخ اذا اخذوا في غيره من ضروب القول في اغراض الشعر غير التعبدية . وكأنهم كانوا يختصون القصيدة النبوية بحرارة — الروح وصدق الملكة — ويفنون انفسهم في ذلك افناء . واوضح امثلة هذا شعر البوصيري والبرعي فكلاهما كان في المديح النبوي قمة ويضعف فيما عداه .

هذا وقد تأثر البارودي بما قرأ في الادب القديم وبهرته جزالته . وكان رجل حرب وسياسة . وكان في نفسه قويا جادا باسلا . وكان قد مهد له سبيل تجويد النظم في غير الشعر النبوي تحت تأثير الشعر النبوي ، بلا ريب ، جماعة . ووثب هو بالبيان وثبة عظيمة قد كانت في ذات نفسها حدثا فذا . ومن عجيب امر البارودي انه عندما جارى البردة لم تطعه ملكته وجاء شعره فيها ضعيفا خاليا من قوة الروح فتأمل .

ثم جاء شوقي وجيله في مصر وسائر بلاد العروبة . وقد احتفظ شوقي بشيء من الاسر الشديد الذي عند البارودي ولكنه في جملته دونه . وقد رام ان يوسع نطاق الشعر العربي في مذهب ينظر فيه الى طرائق الشعر عند الافرنج ومن اليهم . وقد كان تعلم في فرنسا وتأثر بما اطلع عليه من ادبها وفنها . وقد حرص شوقي في نظم قصائده على التزام وحدة في الموضوع كما يفعل الافرنج كما في قافيته :

من اي عهد في القرى تتدفق
وبأي كف في المدائن تغدق

وميميته : يا اخت اندلس عليك سلام
ورائيته : ابا الهول طال عليك العصر

وهلم جرا . وقد نظم المسرحيات ونوع القوافي فيها ليسهل عليه نظم الحوار . وقد نظم القصص على طريقة لافونتين الفرنسي وعلى اسلوب يحاكي فيه الملاحم ، مثال الاول حكاية الصياد والعصفور ومثال الثاني « بسفيك يعلو الحق الخ » وتاريخ ملوك العرب . ومن حسنات شوقي انه حين يقلد الافرنج يحرص على اتباع نموذج عربي ولا شك انه قد تأثر مذهب صاحب الصادح والباغم في ما حاكى به هو «لافونتين» ومذهب ابن المعتز وابن عبدربه وغيرهما في نظمه الملحمي والتاريخي . والله تعالى اعلم .

هذا ، وهذا الذي حاوله احمد شوقي لم يخل بالذي رام من محاكاة الغربيين من تضمن استشعار خفي لنقص في طبيعة معدن القصيدة العربية واتهام لها بأنها غير كافية وان في مجالها ضيقا بالنسبة لما تتيحه فنون الدرامة والملحمة وانواع ما افتن فيه

شعراء الافرنج من سعة . وقد كان شوقي رحمه الله ذا اخلاص ونفس من ايقاع . غير انه - أوتي - فيما احسب من جهة ما سمعه من اجماع نقاد زمانه الغربيين ومن اقتدوا بهم على ان الشعر كله ثلاثة اصناف ، مسرح وملحمة وغنائية فان حظ اللغة العربية منه هو الصنف الثالث ولغات الغربيين تشاركها فيه وتنفرد عنها وتمتاز عليها بالصنفين الاخرين ، فرام شوقي بنوع من طموح ساذج أن يتلافى هذا النقص . والحق أن القصيدة العربية غناء من حيث أن الشعر العربي كله مبني على الترنم والغناء كما قال صاحب الكتاب . ولكن القصيدة العربية ليست غنائية بمعنى ما يسميه الافرنج « ليريك » بالانجليزية ( صفة للشعر ) وبالفرنسية ، يريدون بذلك انها من الصنف الثالث الذي لا هو ملحمة ولا درامة على زعم من زعم منهم ان الشعر هو هؤلاء الاصناف الثلاثة . ذلك بأنها فن فذ بلا نظير في غير العربية . فيها من روح المواجهة والمكافحة بعلانية اللقاء الصريح للسامع ما ليس في مذهب من مذاهب الشعر الافرنجي من مسرح وقصص و « ليريك » . ذلك بأن الشاعر الافرنجي وصانع لا متحدث الينا مباشر . وكذلك يستتر وراء يستتر وراء القصة والمسرحية حتى انما هو مؤلف موضوع « الليريك » استتارا . ولا هكذا الشاعر العربي . ولذلك شبه امره بأمر النبي في الزمان القديم حتى ان ابا عمرو بن العلاء قد قال ان شعراء العرب الاولين كانوا فيهم بمنزلة انبياء بني اسرائيل في بني اسرائيل وعن عمر رضي الله عنه ما معناه ان الشعر كان علم العرب لا علم لهم سواه . وانما بنوه على الغناء فيما أرى لتسهل روايته وحفظه وعلى الرواية والحفظ كان تعويلهم .

هذا وفي القصيدة العربية - امثلة من الخطابة كالجدل - الذي في شعر الحارث اليشكري وكحكمة زهير في اخريات معلقته وكوصية البرجمي لابنه « اجبيل ان اباك كارب يومه » . واصناف من الخطب التي تقع في المسرحيات الاوربية شبيهات بهن ومنظور فيها على الارجح الى امثالهن من ارث الانسانية الادبي القديم مثلا خطبة بولونيوس يعظ ابنه في مسرحية هامليت ونصيحة يوليسيس لاخيليس في مسرحية ترويلس وكريسيا . هذا وما كان من وصف السلاح والقتال كما في معلقة عنترة ادخل في معدن الاسلوب الملحمي منه في معدن « الليريك » . والقصيدة باب قائم بنفسه كما قدمنا . وتنفرد بروح بطولة المواجهة . وقد احسن كعب بن زهير اذ قال :

وقد اقوم مقاما لو يقوم به
أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد الا أن يكون له
من الرسول باذن الله تنويل

وقد فتح على الناس بعد شوقي بلاء من الطعن على القصيدة والزراية بها . وقد سمي شوقي وجيله بالشعراء التقليديين ينبزونهم بذلك . وهذه شعوبية رعناء . تريد أن تنتسب الى الافرنج طلبا للتقدم وتنسلخ عن العرب فرارا من تهمة الرجعية والتأخر فتأمل . ومن الاصطلاحات التي صارت كأنما هي ألقاب عيب قولهم قصيدة عمودية . وعمود الشعر لفظ استعمله الآمدي يمدح مذهب البحتري في الموازنة بينه وبين أبي تمام . واصل العبارة من مقدمة ابن قتيبة . ومعنى عمود الشعر هو بداوة الشعر . وهذا يعود بنا الى حديثنا الاول . وما كان البحتري الا تلميذا لأبي تمام . وعلى المحافظة على عمود الشعر بنى أبو تمام مذهبه .

وقد كان شوقي رحمه الله أعرف بأشعار الافرنج من كثير ممن طعنوا فيه . وقد سبق الى ضروب من التنويع في الوزن والقوافي حسب متطلبات مواقفه المسرحية وضروب حوارها . على أن تنويع القوافي والاوزان أمر قديم جدا . وحسبك شاهدا مناقشة المعري للمنسوب منه الى امرىء القيس في رسالة الغفران . وفي كتاب الموسيقا للفارابي عن القافية والوزن حديث شاف . وكذلك في بعض ما ورد من اشعار هذيل وفي كتاب قوافي أبي الحسن الذي حققه الدكتور عزت حسن . وانما اخذ الافرنج القوافي من العرب . ومشكلة القافية

عند الافرنج تبناها منا أقوام غاب عنهم انها ليست فى اشعار الافرنج ، لا هي ولا الوزن الايقاعي ، بأصل ، وهي والوزن الايقاعي فى اشعارنا أصل راسخ .

الازدواج والسجع ايقاع . والرجز اول درجات الشعر العربي المحكم . والقصيدة ذروته . ومذهبها كله انما أريد ليهيىء للشاعر جو المواجهة الجهيـــرة الصارخة الذي تنبع منه الحكمة وسحر البيان .

متى فطنا الى هذا المعنى من حقيقة القصيدة العربية تبين لنا أن جميع ما يقال له الآن انه ضروب من الشعر الحر أن هو الا التماس سبيل الى الهرب من الاصالة والصدق اللذين هما معدن القصيدة ... ومعدن العرب . ولات ساعة هرب .

ونسأل الله الهدى والتوفيق. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

**فاس : عبـــد الله الطيـــب**

« .. ومن هنا يظهر الفـــرق العظيم بين النظام الاسلامي والانظمة الاخرى ، فبينما نجد النظام الراسمالي يهدر جانب الاخلاق ، ولا يهتم الا بمصلحة الفرد متمثلة فى الربح الفاحش ، الذي تجره لـــه المعامـــلات الربوية المحمية بالانظمة الجشعة وسلطة القانون ، والنظام الاشتراكـي يتجاهل مسالة الاخـلاق اذ يفسر الحياة بما فيها من اقتصاد وغيـــره تفسيرا ماديا يجعله يبسط اليـــد بكيفية تعسفية على اموال النـــاس وارادتهم ، نرى النظام الاسلامـــي يتسم بالرحمة والعطف والرفـــق فيقاوم الاستغلال بجميع انواعه ويدفع الظلم والحيف والضيم عن المحتاج والمعسر والمضطر ناظرا اليــه نظرة انسانية تحول بينه وبين التسخير من طرف القوى المعتد بماله واعوانه ولا تجعل له عليه من سبيل » .

**عبد الله كنون**

من كتاب « الاسلام أهدى »

من أوصاف قضاة الأندلس من خلال كتاب :

# المرقبة الكبرى

— 2 —

للأستاذ محمد محيي الدين المشرفي

ومن المميزات النادرة التي يختص بها قضاة الاندلس ثقافة صحيحة واسعة اكتسبوها فى كثير من الاحيان عن طريق الكد والعمل الدائب المستمر ؛ وهذه التربية الخاصة الفائقة هي التي عودتهم التمسك بالاستقلال فى الراي والثبات على المبدأ حتى فى احلك الظروف عند ما تتغير الاحوال المحيطة بهم ؛ نستدل على ذلك بما وقع للقاضي يحيى بن وافد اللخمي الذي استطاع فى ايام بني حمود ان يستقل بالقضاء خير استقلال على ما كان فى ذلك الزمان من اعتلال بسبب الفتنة التي اقامها البربر حتى ادت الى خلع الامير ، ثم اشتد السوقة فى البحث عن القاضي الانف الذكر فوجدوه مختفيا ، فسيق مكشوف الراس نهارا يقاد بعمامته فى عنقه والمنادي ينادي عليه : « هذا جزاء قاضي النصارى ومسبب الفتنة وقائد الصلاة » ، وهو يقول مجاوبا ، ثابت الجاش ، قوي النفس : « بل ، واله ولي المومنين ، وعدو المارقين، انتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون » (1) .

ومما لا شك فيه ان هذا الاعتزاز بالنفس وهذا الثبات على المبدأ هما اللذان جعلا قضاة الاندلس على بصيرة بما كان يجري حولهم من الاحداث او يحاك ضد المسلمين من مؤامرات تثير الشغب والفتنة فى البلاد وذلك بايعاز من النصارى او بسبب شرذمة من الثورا المارقين الذين انبثوا هنا وهناك فى النواحي الجبلية من الثغور ؛ وكان من الطبيعي ان يتأثر القضاة وهم على ما عليه من العلم والشجاعة والثبات بهذه الاحداث الاليمة ، ولذلك كانوا كلما دق ناقوس الخطر مهددا لامن البلاد وجدتهم يتسارعون الى ساحة الوغى ، لا يلهيهم عن ذلك متاع الدنيا ، ومتاع الدنيا قليل . وهكذا كتبت الشهادة للقاضي محمد بن حسن ابن صاحب الصلاة فى وقعة العقاب وذلك فى ايام محمد بن يعقوب الموحدي (2) كما ثبت ان القاضي ابراهيم ابن احمد الانصاري الغرناطي الذي ولي القضاء فى ميورقة ولم ينتقل عنها الا حين تغلب عليها الروم ، استشهد بها هو الآخر مع جماعة من الفقهاء الابرار كما جاء فى كتاب ابن الابار (3) ، وما قيل عن هؤلاء المجاهدين يقال كذلك عن القاضي ابي الربيع سليمان الكلاعي الذي وافته المنية فى كائنة آنشة وهو ينادي المنهزمين : « أعن الجنة تفرون » ؟ (4) .

---

(1) انظر تاريخ قضاة الاندلس ، ص 88 .
(2) كتاب تاريخ الاندلس ، ص : 115 .
(3) نفس المصدر ، ص : 117 .
(4) نفس المصدر ، ص : 119 .

ومن الفقها الاجلة الامجاد الذي ابلوا البـلاء الحسن فى الدفاع عن الملة والدين بالقلم والسيف ابو يحيى المحاربي الذي خلف والده على قضـاء المرية ، وقد ثبت عنه انه كان فارسا مغوارا ، مقداما لا يخاف عدوا فى ساحة القتال ، جليل الهيـاة ، نبيه الشارة ، رائق الابهة ، يبرز عند القتـال فى مصاف صدور الابطال ، فيحسن دفاعه ويجمل عناده ؛ ولما ضايق الروم مدينة المرية وكان والده الشيـخ ابو بكر ممن شملهم الحصار بها شق ابو يحيى الانف الذكر محلة العدو ليلا ، وتحيل حتى وصل الى سور البلد وكان فى ذلك نفع لابيه (1) . وها نحن نسوق فى الاخير التاكيد على ما كان يتمتع به القضاة من شجاعة نادرة ما نقل عن القاضي محمد بن ابي بكر الاشعري وعن والد الكاتب العبقري لسان الدين ابن الخطيب وعن اخيه الاكبر من انهم استشهدوا جميعهـم فى معركة طريف الكبرى التي شنها اهـل المغـرب والاندلس على الجيوش النصرانية الغاشمـة بقيادة السلطان ابي الحسن المريني . وفى اثناء هذه الملحمة الكبرى قيل ان ابا بكر الاشعري كان قد كشف دابته التي كان عليها راكبا ، وهو يحرض جماعة المجاهدين على القتال ، رابط الجاش ، مجتمع القوى ، وهـو يقول : « هذا يوم الفرح ، مشيرا الى قوله تعالى فى حق الشهداء : « فرحين بما آتاهم الله من فضله » (2) . ثم لا بأس من الاشارة فى نهاية هذا الحديث عـن شجاعة القضاة الى ما اشتهروا به فوق ذلك من جراة فى القول حتى ولو جمعتهم الظروف بمجالس الخلفاء والامراء ؛ من ذلك ما جاء فى خطبة القاضي منذر بن سعيد البلوطي امام الخليفة الناصر لدين الله وحضور رسول ملك الروم يعظ جماعة المسلمين ويثير فيها انتباه الخليفة الى ما اصاب الجزيـرة من تفكـك وتفريق كلمة ، فقال بعد ان حمد الله وأثنى على نبيه الكريـم :

« وقد علمتم — معشر المسلمين ! — ما احاط بكم فى جزيرتكم هذه من ضروب المشركين وصفوف الملحدين ، الساعين فى شق عصاكم ، وتفريق ملتكم ، الآخذين فى مخاذلة دينكم ، وهتك حريمكم ، وتوهين دعوة نبيكم — صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيئين والمرسلين ! — اقول هذا واختمه بالحمد لله رب العالمين واستغفر الله الغفور الرحيم وهو خير الغافريـن ! » (3) .

وغني عن البيان ان القضاة كانوا على جانـب وافر من العلم والمواد التي تتوقف عليها خطة القضاء كما كانوا يمتازون بالقدرة على القول والتفنـن فى اسلوب الكتابة والانشاء ؛ روي فى هذا الموضوع عن القاضي ابن المطرف عبد الرحمن الشعبي انه كـان يستحضر كتابي « الموطا » و « المدونة » عن ظهـر القلب حرفا حرفا ونصا نصا (4) ، كما كان بصيـرا بالنوازل حافظا لعدد كبير من المسائل ؛ قيل عنه انه جرت بينه وبين القاضي ابي بكر بن العربـي عنـد اجتيازه على مالقة مناظرات فى ضروب العلوم ، وكانت له فى عدد من الاقضية مذاهب من الاجتهاد لم تكـن لاهله من اهل طبقته (5)؛كانوا مولعين بالقراءةوالمدارسة واقتناء الكتب على اختلافها سواء منها التي كانـت تتصل بممارسة اعمالهم الدينية او التي تتعلق بآداب اللغة العربية وعلومها ؛ فاذا ما تهيأت لهم الاسبـاب للقيام بفريضة الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم اغتنموها فرصة للاتصال بعلماء المشرق والاخذ عنهم وتدوين كل ما يتصل بالخطـة التـي يزاولونها ؛ وكثيرا ما كانوا يتصدرون للتدريس فى العواصم التي يزورونها بتلك المناسبة ، فيفيـدون ويستفيدون حتى اذا عادوا الى بلدهم بعد غيبة قـد تمتد احيانا الى عدة سنوات كانوا اكثر معرفة بالاصول والفروع ، مدركين اكثر من ذي قبل لاسرار العربية وطرق التعبير ، متمكنين من علوم القرءان اسنـادا ونسخا ، وتصحيحا وضبطا ، حافظين للالقاب ، واعين للاسماء . فلا يلبث القاضي نتيجة لما اكتسب مـن الخبرة والاطلاع ان يتفجر اخيرا بالعلم المتين كثير النصح ، وافر النشاط والافادة (6) .

---

(1) تاريـخ قضـاة الانـدلس ، ص : 140 .

(2) انظر تاريخ قضاة الاندلس ، ص : 147 وكذلك : « تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق » ج 2 ، ص 153 لصاحبه خالـد بن عيسى البلوي ، تحقيق الاستاذ حسن السائح ، مطبعة فضالة ، 1978

(3) راجع تاريخ قضاة الاندلس ، ص : 68 .

(4) نـفس المصـدر ، ص : 108 .

(5) نـفس المصـدر ، ص : 107 .

(6) تاريـخ قضـاة الانـدلس ، ص : 143 .

يستخلص من هذا كله ومما جاء ايضا في الكتب التي تؤرخ للحياة الادبية والعلمية فيما يتعلق بهذا الموضوع بالذات أن نخبة لا بأس بها من قضاة الاندلس كانوا بالفعل ائمة في العلوم الدينية بمعرفتهم للاحكام ، والمامهم الواسع بعلوم الحديث وما يتصل به من التاريخ والانساب ومعرفتهم لاسماء الرجال كما كانوا مبرزين قولا وفعلا في علوم اللغة والادب ؛

والذي يسترعي انتباه الباحثين اكثر من كل ذلك هو قدرة القضاة والفقهاء والعلماء على تنميق القول والتصرف في معاني الكلام بما يبهر العقول نظرا لما نلمسه في كتاباتهم القوية البليغة ، بقطع النظر عن العلوم التي يتهمون بها ، من فصاحة لسان ، وقوة بيان ، وواسع برهان ؛ فاذا تكلموا اسكتوا واذا كتبوا جاءت كتابتهم غاية في الفصاحة ، واضحة بينة ، لا تكتنفها ركاكة ولا غموض ، بل يظهر عليها اثر الاقتباس من القرءان الكريم مما جعل اللغة في ايديهم طيعة مرنة ؛ ومن ثم استطاعوا خلافا لما يوجد عليه اهل المغرب عموما من القصور في التعبير من ان ينتقلوا بعد مدة قصيرة من انكبابهم على دراسة اللغة الى مرحلة الخلق والابتكار (1) .

ويكفينا للدلالة على ما كان عليه اهل الاندلس من قدرة على تنميق الكلام والتصرف في القول دون سابق اعداد لذلك او تحضير تلك الخطبة الرائعة التي فاه بها القاضي منذر بن سعيد البلوطي بحضرة الخليفة الناصر لدين الله حينما دعاه ليخطب في القوم ، وهو اذ ذاك يحتفل في قصره بقرطبة بمقدم رسول ملك الروم ؛ ولم يكن ابن سعيد على علم بما قصد اليه الخليفة ، ولكنه ادرك في الحين انه يريد خطبة بليغة تناسب المقام وتليق بذلك المجلس السلطاني الرائع . وكان القاضي ابن سعيد البلوطي، كما هو معلوم ، طليق اللسان ، قوي الجنان ، اذا تكلم ، تكلم بكلام عجيب وصور افكاره في فصل مصيب ، اذا سمعته خيل اليك انه يحفظ ما يقول ... فلم ينتظر الخليفة طويلا حتى قام وفتح القول بعد ان حمد الله واثنى على نبيه الكريم بقوله :

« واني قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فاصغوا الي معشر الملا باسماعكم ، وايقنوا عني بافئدتكم ؛ ان من الحق ان يقال للمحق صدقت والمبطل كذبت ! وان الجليل تعالى امر كليمه موسى — صلى الله عليه وسلم وعلى جميع انبيائه — أن يذكر قومه بأيام الله عندهم ؛ وفيه وفي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة » !

ثم انتقل الى تعداد مناقب الخليفة الناصر لدين الله وفضله على الامة الاسلامية بالاندلس بما حققه لها من امن واستقرار وتقدم ورقي من الوجهة المادية والمعنوية فقال : « واني اذكركم بأيام الله عندكم ، وتلافيه لكم بخلافة امير المومنين التي لمت شعثكم ، بعد ان كنتم قليلا فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ،

---

(1) ويظهر ان السبب في ذلك يعود الى الفرق بين نظام التعليم عندنا بالمغرب ونظام التعليم الذي كان معمولا به في الاندلس ؛ فبينما المغاربة كانوا وما يزالون يحملون الاحداث — لاسباب وجيهة لا سبيل الى مناقشتها من هذا المقام — على حفظ القرءان مسبقا ، لا يضيفون اليه شيئا آخر من فقه او شعر او لغة كان نظام التعليم في الاندلس يقرر ضرورة تعليم اللغة العربية اولا ، تضاف اليها بعد ذلك بعض المواد الاخرى كرواية الشعر والترسل والخطابة الى ان تنفتح بصائر الاحداث ويصبحوا قادرين على التصرف في اسلوب الكتابة بوجه عام . فاذا حذقوا ذلك انتقلوا الى حفظ القرءان الكريم يقتبسون بلا عناء من آياته البينات ، فيرسخ في اذهانهم في سهولة ويسر بما أصبحوا عليه من قدرة على ادراك معانيه ؛ وذلك ما عبر عنه الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته بقوله : « فاما اهل افريقيا والمغرب فافادهم الاقتصار على القرءان القصور على ملكة اللسان جملة ، وذلك لان القرءان لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما ان البشر مصروفون عن الاتيان بمثله ؛ فكان حظهم الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام ... ويقول القاضي ابو بكر بن العربي في هذا الموضوع بضرورة تقديم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب الاندلسيين لان الشعر ديوان العرب ويدعو على تقديمه فساد اللغة » .
وهذه الملاحظة تنطبق تمام الانطباق على الوضعية اللغوية التي نعيشها اليوم في عموم بلاد المغرب العربي .

ومستذلين فنصركم ! ولاه الله رعايتكم ، واسند اليه امامتكم ، ايام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق ، واحاطت بكم شعل النفاق ، حتى صرتم فى مثل صدقة البعير ، بضيق الحال ونكد العيش والتقتير ؛ فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم بيمن سياسته الى تمهيد العافية بعد استيطان البلاء . انشدكم الله — معاشر الملا ! — الم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ؟ والسبل مخوفة فامنها ؟ والاموال منتهبة فاحرزها وحصنها ؟ الم تكن البلاد خرابا فعمرها ؟ وثغور المسلمين مهتضمة فحماها وزهرها؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته وتاليفه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته ، حتى اذهب الله غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يدا على عدوكم بعد ان كان باسكم بينكم ! ناشدتكم الله ! الم يتلاف صلاح الامور بنفسه بعد اضطراب احوالها ، ولم يكل ذلك الى القواد والاجناد ؟ حتى باشره بالمهجة والاولاد ، واعتزل النسوان وهجر الاوطان ، ورفض الدعة وهي محبوبة ، وترك الركون الى الراحة وهي مطلوبة ، بطوية صحيحة وعزيمة صريحة ، وبصيرة نافذة ثاقبة تحت عدل منشور . فاصبحتم بنعمة الله اخوانا وبلم امير المومنين لشعثكم على اعدائكم اعوانا حتى تواترت لديكم الفتوحات وفتح الله عليكم بخلافته ابواب البركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، ياتون من كل فج عميق وبلد سحيق ... وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم » (1) .

واسترسل الشيخ منذر بن سعيد البلوطي فى خطبته هذه كانه سحبان وائل والناس معجبون بما آتاه الله من فصاحة فى القول وقدرة على تصنيف المعاني بنفس طويل يذكرنا بالخطبة البليغة التي ارتجلها قائد الجيش العربي طارق بن زياد عندما امر باحراق السفن التي حملته مع جنوده الى اسبانيا غازيا ، وتوجه الى الجيش يحثه على الصبر والمصابرة امام العدو اذا كانوا يريدون حقا ثواب الدنيا والآخرة ...

واذا كانت تلك الخطبة العصماء التي القاها منذر بن سعيد البلوطي بين يدي الخليفة الاموي اعطتنا الدليل على ما لهذا الشيخ الجليل من ثقافة ادبية واسعة فليس معنى ذلك ان نشاط القضاة فى الاندلس كان ينحصر فى اصدار الاحكام وتحرير الخطب والقيام بالتدريس احيانا ؛ بل كان همهم مصروفا ايضا ، فى اوقات الفراغ الى متابعة بحث القضايا المعروضة عليهم وشرحها والتعليق عليها بالتقارير المفيدة الضافية ؛ وهكذا امكنهم ان يسهموا فى اغناء المكتبة العلمية الاندلسية بما تركوه لنا من مصنفات قيمة خالدة تتصل موضوعاتها بمختلف العلوم والفنون ؛ والامثلة على ما نقول كثيرة متعددة ؛ فمن القضاة الذين اشتهروا بالتاليف القاضي محمد بن عبد الله بن حسن المالقي الذي الف كتاب « المؤنس فى الوحدة والموقظ من سنة الغفلة » ، كما ان القاضي ابا الوليد محمد بن احمد بن رشد عكف فى حياته الطويلة على اعداد عدد من الكتب القيمة منها « كتاب المقدمات لاوائل كتاب المدونة » و « كتاب البيان والتحصيل لما فى المستخرجة من التوجيه والتعليل » كما الف كتابا آخر فى اختصار « مشكل الاثار » . اما القاضي محمد بن الحاج فقد الف كتابا له اهميته « النوازل والاحكام » ؛ وهذا الكتاب دليل على سعة علم المؤلف وبراعته فى استنباط الاحكام ؛ والواقع ان القاضي محمد بن الحاج كان من كبار العلماء ، بعد بحق من المحدثين والادباء ، مهتما باثار جامعا لها ، مقيدا لما اشكل من معانيها ، ضابطا لاسماء رجالها ورواتها (2) .

وهناك القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الذي ينسب اليه كتاب « الوجيز فى التفسير » ؛ كما جاء عن القاضي عبد المنعم بن فرس انه الف « كتاب الاحكام » ، ذكره ابو جعفر ابن الزبير وقال ان مولده كان سنة 524 ؛ ومن قضاة الاندلس المؤلفين الذين اشتهروا بعمق التفكير وبراعة الاستدلال القاضي ابن رشد الحفيد ، ومؤلفاته ذات قيمة لا تدرك خاصة فيما يتعلق بالعلوم القديمة،نذكر منها على سبيل الاشارة فحسب : « كتاب البداية والنهاية » و « مناهج الادلة فى الكشف عن عقائد الملة » و « وكتاب الكليات فى

---

(1) انظر الخطبة بكاملها فى كتاب تاريخ قضاة الاندلس ، ص : 66 و 67 .

(2) تاريخ قضاة الاندلس ، ص : 102 .

الطب » « شرح رجز ابن سينا » و « كتاب فصل المقال فيما بين الفلسفة والشريعة من الاتصال »(1). اما الشيخ ابو الربيع سليمان الكلاعي الذي يشهد له بالرئاسة في علم الحديث والكتابة فله تصانيف معروفة في فنون شتى ، منها « كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومغازي الثلاثة الخلفاء » و « المسلسلات من الاحاديث والآثار والانشادات » ؛ ومن كتبه ايضا « نكتة الامثال ونفثة السحر الحلال » . وهذا القاضي ابو بكر محمد بن عبيد الله بن منظور القيسي الذي ثبت انه الف كتبا عديدة نذكر منها : « الروض المنظور في اوصاف بني منظور » في التعريف بأصله ، كما ينسب له كتاب « نفحات النسوك وعيون التبر المسبوك في اشعار الخلفاء والوزراء والملوك » و « السجوم الواكفة والظلال الوارفة على ما تضمنه المظنون به من اعتقادات الفلاسفة » و « كتاب البرهان والدليل في خواص سور التنزيل » . وكلها لهذا القاضي الذي عرفه الناس جم التواضع ، كثير البر ، مبذول البشر ، قويا مع ذلك في الحكم ، ولذلك حمدت مسيرته وشكرت طريقته (2) .

هذا ولقد تعرضنا لذكر هذا القدر من المؤلفات على سبيل الاشارة فحسب وللدلالة كذلك على انه انتاج خصب يعود الفضل فيه الى عوامل شتى منها نظام التعليم المفيد الذي كان متبعا اذذاك في الاندلس ؛ ومما لا شك فيه أن قدرة القضاة على التصرف في فنون الكتابة مع ادراكهم لعلوم شتى متشعبة هي التي مكنتهم من تلك الحظوة التي كان يتمتع بها القضاة والفقهاء والعلماء لدى الملوك والامراء وطلبة العلم خاصة ؛ حتى اذا مات احدهم كان الطلبة يتهافتون على حمل نعشه برا به واعترافا له بالجميل على ما قدمت يداه من خدمات علمية جلى ؛ ومن دلائل هذه الحظوة التي كان القضاة يتمتعون بها حتى عند الخلفاء ما جاء من اخبار القاضي منذر بن سعيد البلوطي مع الخليفة عبد الرحمان الناصر اذ انكر عليه بكل صراحة الاسراف في البناء حينما تصدى للحديث عن قصر الزهراء وما جعل فيه من زخاريف وقراميد مغشاة ذهبا وفضة؛ وراح القاضي يذكره بقول الله تعالى : « ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمان لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون » . فلم يكن في وسع الخليفة الا الاستسلام لموعظة القاضي ثم أمر في الحين بنقض سقف القبة واعادة قرمودها آجرا بالتراب على صفة غيرها (3) .

ومن البراهين على مكانة القضاة في جزيرة الاندلس أن الخليفة الناصر كان كثيرا ما يستخلف القاضي اسلم بن عبد العزيز اذا ما خرج للغزو ثقة منه بعلمه ودينه وحزمه (4) .

ومع ذلك فرغم ما كان للقضاة من مكانة مرموقة وسمعة محمودة عند الخاصة والعامة لم ينجوا ، كغيرهم من البشر ، من كيد الحاسدين وتقول المنافقين . فكان ان امتحنوا في ابدانهم واصيبوا في املاكهم وضياعهم . جاء في كتاب قضاة الاندلس انه لما استقل القاضي محمد بن الحسن النباهي برئاسة بلدته نسب اليه قيامه على ابن هود على ما يزعمون ؛ فنتج عن ذلك أنه اعتقل بغرناطة واستخلصت أمواله واملاكه ، بل شملت النكبة جميع ناسه حتى اخوه اخر عما كان يتولاه من خطة القضاء بالجزيرة الخضراء، وابن عمه من الجهة الغربية ، فاستقرا معا بمدينة سبتة . وكذا وقع للقاضي ابي القاسم الشريف الغرناطي الذي ذاع صيته بعد أن ولي وادي آش بأيام وشمخ بعز النزاهة بأنف ؛ ثم ان القدر جرى بتأخيره عن الخطة من غير موجب سخطة (5) . فكان كالبدر خسف عند الاستقبال وادركته السوار بعد تناهي الكمال :

اذا تم أمر دنا نقصه
ترقب زوالا اذا قيل تم

وليست عوامل التأخير والتقديم بمستنكر دخولها على كل وال في القديم والحديث ؛ فقد

---

(1) نفس المصدر ، ص : 111 .
(2) تاريخ قضاة الاندلس ، ص : 154 .
(3) تاريخ قضاة الاندلس ، ص : 72 . وكتاب الاعلام لابن الخطيب ص : 44 — 45 . نشر ليفي بروفنصال ، المطبعة الجديدة سنة 1934 .
(4) نفس المصدر ، ص : 63 .
(5) انظر تاريخ قضاة الاندلس ، ص : 172 .

عزل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ زياد بن ابي سفيان دون بأس ، وقال له : « كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس ، مشيرا الى ان الامة اذا كان على راسها قائد حباه الله بذكاء مفرط وعقل وقاد ربما كان ذلك سببا فى شقائها وتعاستها .

ورغم ما كان يصيب القضاة احيانا من المحن والنوائب التي كانت تبعدهم عن مزاولة الخطة التي تقلدوها بكل استحقاق ، فلم يفتر نشاطهم الفكري ، حيث كانوا يركنون الى المساجد يتعاطون فيها للتدريس وتوعية المواطنين ، ثم لا ينفكون ان ينكبوا على الكتابة والتأليف ، مستسلمين لصروف القدر وتقلبات الزمان ، متمثلين بقول أولئك الذين تعرضوا لنكبات الدهر من دون موجب يستحقونه :

كنا اناسا كما كنتم فغيرنا
دهر ، فأنتم كما كنا تكونون (1)

ومهما يكن من امر فقد كتب لقضاة الاندلس ان يحتلوا رتبة سامية فى مجتمع راق متمدن نتيجة ما كانوا يتمتعون به من احترام مطلق لدى الامة جمعاء وتقدير شامل من طرف الخلفاء حتى راحوا يقدمونهم احيانا على وزرائهم انفسهم نظرا لصحة دينهم وسعة علمهم واستقلال آرائهم فيما يتعلق بتطبيق الاحكام الشرعية الاسلامية ؛ ومن اجل ذلك عاشوا معززين مكرمين ؛ فكانوا حقا مثال القدوة الحسنة بالنسبة لجمهور المسلمين عموما .

**الرباط : محمد محي الدين المشرفي**

(1) تاريخ قضاة الاندلس ، ص : 174 .

« الاهمية الستراتيجية للمدن الواقعة شمالا على ساحلي بوغاز جبل طارق » .

**اقرأ المقال**
**فى العدد القادم**

# الندوة الاسلامية الرابعة بالقيروان

للأستاذ محمد المنوني

بمناسبة المولد النبوي الشريف ، يقام في مدينة القيروان بتونس الشقيقة ، احتفالات شعبية ورسمية ، وفي هذا الاتجاه ، دأبت وزارة الشؤون الثقافية التونسية منذ اربع سنوات ، على تنظيم ملتقى اسلامي بمدينة عقبة بن نافع ، يساهم فيه نخب من الباحثين بتونس وغيرها ، وقد تركز كل واحد من هذه الملتقيات الاربعة على موضوع من الموضوعات الاسلامية الحية ، لتتفرع عنه الدراسات التي يحللها المشاركون في الندوات .

وهكذا كان مضمون الندوة الاولى ـ عام خمسة وتسعين وثلاثمائة والف = 1975 هو « النظام الاقتصادي في الاسلام » .

بينما كان عنوان « العلم والايمان » هو الذي تبحث تفاصيله الندوة الثانية عام ستة وتسعين وثلاثمائة والف = 1976 .

وفي الندوة الثالثة عام سبعة وتسعين وثلاثمائة والف = 1977 ، كان الموضوع العام هو « الاسلام والتيارات الفكرية المعاصرة » .

اما الندوة الاخيرة فاهتمت « بأوضاع ومشاكل العالم الاسلامي المعاصر » : 1398 = 1978 .

* * *

وكان مكان الندوة هو دار الثقافة بالقيروان ، او بتعبير آخر : المركب الثقافي ، وقد استمرت هذه اللقاءات خمسة ايام ابتداء من عشية الثلاثاء سادس ربيع النبوي الى زوال يوم السبت العاشر من الشهر، الموافق 14 ـ الى ثمانية عشر من شهر فيفري ، حيث اختتمت الدراسات بخطاب وزير التربية القومية السيد محمد مزالي .

وقد قدم في هذا التجمع تسعة وعشرون موضوعا : ستة عشر منها من تونس ، وثلاثة عشر قدمها المدعوون من مصر والاردن وسوريا والعراق والكويت وايران والاتحاد السوفياتي ، والسودان وليبيا والجزائر والمغرب .

وكانت المواضيع التي تناولها المنتدون تدور حول المحاور التالية :

الامة والقومية .

قضية الاصلاح والتجديد في الاسلام .

عناصر النهضة في الاسلام .

الهدي النبوي .

وكما رأينا ـ وشيكا ـ فقد ابتدأ المنتدى من عشية الثلاثاء 6 ربيع النبوي الموافق 14 فيفري ، ثم تتابعت المحاضرات في الايام التالية : ابتداء من الساعة التاسعة صباحا الى الزوال ، ومن الساعة الخامسة عشر وثلاثين دقيقة الى ما بعد الغروب ؛ وتعقب المناقشات كلا من فترتي الصباح والمساء ،

ويتدخل فيها الطلبة المساهمون وكانوا كثيرة ، فيثيرون مناقشات ذكية تعطر جو الملتقى ، وتضفي عليه حياة الشباب ، وتطلعات الطلاب ، لتتجاوب مع نقط بعض المحاضرات ، وتساوق مناقشات الاساتذة والشيوخ ، وقد افتتح الحفل وزير الشؤون الثقافية السيد الشاذلي القليبي بخطاب هادف كان من فقراته :

« ... واعتقادنا ان اغلب المشاكل التي تعانيها اليوم ، ناتجة عن اتساع البون بين المجتمع والدين ، وتغلب الاعتقاد عند الكثيرين ، بانه يمكن ارساء أوضاع اجتماعنا صحيحة ومستقرة دون لجوء الى الدين ، وهنا لا بد من تحرير مسائل ثلاث :

الاولى : انه لا يمكن الحديث عن المجتمع الاسلامي بالافراد ، بل نحن مضطرون الى صيغة الجمع ، لاختلاف البلدان الاسلامية من حيث الاوضاع الاجتماعية والثقافية والتاريخية ، لذلك فسوف نتكلم – دوما – عن المجتمعات الاسلامية .

اما المسالة الثانية – وهي من الاهمية بمكان – فتخص مفهوم الاصلاح ، واعتقادنا أن لفظ الاصلاح لم يعد يفي بجملة المعاني والعمليات التي نقصدها عندما نتحدث عن حاجة المجتمعات الاسلامية الى تغيير اوضاعها ، والملاءمة بينها وبين تعاليم الدين من جهة ، وبينها وبين مقتضيات العصر من جهة اخرى .

لذلك فان المجتمعات الاسلامية تبدو اليوم الى النهوض الشامل أحوج منها الى اصلاح مخصوص .

اما المسالة الثالثة – وهي الاكثر أهمية – فهي تتعلق بكيفية اعتبار ماضي الامة الاسلامية ، وضروة الميز بين التعاليم الدينية وجملة الاوضاع التي كانت عليها الامة ، فبقدر ما يتحتم الرجوع الى التعاليم ، فان الرجوع الى الاوضاع متعذر باعتبار أن المجتمعات تتغير ، وليس من المنطق ان نروم الرجوع الى أوضاع تاريخية بعينها .

لذلك فان الذي ينبغي ان نقصد اليه ، فهو ليس الاصلاح الذي يعني الرجوع الى انماط ونماذج مخصوصة ، بل تطوير الاوضاع باحتذاء التعاليم الدينية في منطوقها ، وبوجه أخص في نفحاتها الروحية ، وجوهر مقاصدها الاخلاقية » .

* * *

وقد سار تقديم الكلمات والدراسات كالتالي :

يوم الثلاثاء 14 فيفري ابتداء من الساعة : 17

- كلمة التقديم للسيد والي القيروان .
- كلمة الافتتاح للسيد وزير الشؤون الثقافية .
- عناصر النهضة في الاسلام للاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد – الاردن .
- عناصر النهضة الاسلامية ومدى استجابتها لحياة الانسان المعاصر ، للاستاذ الشيخ كمال التارزي مدير ادارة الشؤون الدينية – تونس .
- مناقشة الدراستين .

يوم الاربعاء 15 فيفري ابتداء من الساعة : 9

- صورة الرسول بين القصة والتاريخ ، للاستاذ فرحات الدشراوي – تونس .
- الامة والقومية ، للاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري – الاردن .
- القومية والثقافة الاسلامية ، للاستاذ محيي الدين عزوز – تونس .
- مفهوم القومية عند الاخوان المسلمين ، للاستاذ الدكتور عبد القادر زبادية – الجزائر .
- التيارات الاصلاحية ومفهوم الامة والوطن ، للاستاذ الدكتور الحبيب الجنحاني – تونس .

مناقشة الدراسات

يوم الاربعاء 15 فيفري ابتداء من الساعة: 15و30

- مفهوم دار الاسلام في اطار الاحوال المعاصرة ، للاستاذ الدكتور محمود الغول – السعودية .
- شخصية المسلم ، للاستاذ عبد الله الاوصيف – تونس .
- الوضع العقائدي للشباب الاسلامي في المجتمع المعاصر : واقعه وعلاجه ، للاستاذ عبد المجيد النجار – تونس .
- منزلة العلم في بناء الامة الاسلامية ، للاستاذ عبد الكريم المراق – تونس .

مناقشة الدراسات

يوم الخميس 16 فيفري ابتداء من الساعة : 9

- من وظائف الرسول صلى الله عليه وسلم ، للاستاذ محمد بولجفان – تونس .

— دور المراة والاسرة في نهضة الاسلام ، للاستاذ خير الدين الطلفــاح .

— الحركة الاصلاحية الحديثة ورجالها وآثارهـــا بالجزائر ، للاستاذ الدكتور أحمد حمانـــي — الجزائـــر .

— قضية الاصلاح والتجديد في الاسلام ، للاستاذ محسن العابد — تونس .

مناقشـــة الدراســات

يوم الخميس 16 فيفري ابتداء من الساعة: 15و30

— قضية الاصلاح والتجديد ، للاستاذ الدكتـــور شكري فيصـــل — سوريا .

— وظيفة المدرسة في المجتمع الاسلامي المعاصر، لمحمد المنونـــي — المغرب .

— الاسرة ومشاكلها في العالم الاسلامي ، للاستاذ محمد شمـــام — تونس .

— تزكية النفس اساس صلاح الفـــرد واصـــلاح المجتمع ، للاستاذ محمد الطاهر الجوابي—تونس

— دراسة للشيخ : شيخ محمد الجزولي قاضي القضاة بجمهورية السودان الديمقراطية .

مناقشـــة الدراســات

يوم الجمعة 17 فيفري ابتداء من الساعة : 9

— القيادة المحمدية امام اتجاهنا الحضـــاري ، للاستاذ محمد الصادق بسيس (1) — تونس .

— خطاب للشيخ يوسف خان شاكر نائــب رئيس الادارة الدينية لمسلمـــي آسيـــا الوسطـــى وقازاقستان — تشقند — الاتحاد السوفياتي .

— دور التربية في نهضة العالم الاسلامي ، للاستاذ الدكتور محمد الفاضل الجمالي — تونس .

— القرءان وعناصر النهضة في الاسلام ، للاستاذ الدكتور عبد الحميد المنيف — تونس .

— عناصر النهضة في الاسلام ، للاستاذ عز الدين الغريانـــي — ليبيـــا .

مناقشـــة الدراســات

يوم الجمعة 17 فيفري ابتداء من الساعة: 15و30

زيارة المعالم الاثرية الاسلامية بالقيروان .

يوم السبت 18 فيفري ابتداء من الساعة : 9

— الشخصية الاسلامية المستقبلـــة ، للاستاذ الدكتور عبد العزيز كامل — الكويت .

— عناصر النهضة في الاسلام ، للاستاذ الدكتور عباس المهاجراني — ايران .

— عناصر النهضة في الاسلام ، للاستاذ محمـــود الباجـــي — تونس .

— عناصر النهضة في الاسلام ، للاستاذ جـــلال الحنفي — العـــراق .

— الخطاب الختامي للسيد وزير التربية القومية .

* * *

وسوى هذه الندوة الاسلامية التـــي عرفنـــا تفاصيلها ، تقام في مدينة القيروان احتفالات مولدية متنوعة ، وفي ليلة العيد النبوي الشريف ، كان موعد الحفلة الرسمية في جامع عقبة ، فتضاعفت انارتـــه بالاضواء اللالاءة ، وزين موضع الاحتفال بالبســـط الفاخرة ، بينما امتلأ جامع الفاتح بأفواج المومنين من القيروان وسائر جهات القطر ، حيث تتميز وفـــود القبائل بأزيائها التقليدية المتنوعة .

وقد ترأس احتفال هذه السنة الوزيـــر الاول ومعه سائر الوزراء ، وابتدئت الحفلة بتلاوة ءايات من الذكر الحكيم ، تناوب ترتيلها ثلة من المقرئين : من المغرب ومصر والجزائر والعراق وايران وباكستان ، ثم سردت قصة المولد النبوي الشريف ، تتخللهـــا فترات لترديد الاناشيد المديحية ، في نغم حلو يميل الى تلحين عرب ليبيا ، تنشدها فرقـــة المدائـــح والاذكـــار .

وفي يوم العيد واليوم قبله ، يقـــام بضريـــح الصحابي الجليل ابي زمعة البلوي دفيـــن القيروان مباراة بين المجودين للقرءان الكريم ، وتذاع قراءتها في سائر جهات المدينة ، بواسطة مكبرات الصوت المبثوثة في المدينة .

وصباح يوم العيد يكون ضريح ابي زمعة البلوي على موعد مع الاحتفال المحلي بالمولد الشريف ، حيث يترأسه والي المدينة ، وتتلى قصة المولد وتنشـــد اناشيد فرق المدائح والاذكار ، التي تكون — بدورهـــا — في مباراة لاختيار المجيدين في الاغنية السلمية .

---

(1) توفي — ماسوفا عليه — صباح الجمعة 11 ذي القعدة 1398 / 13 اكتوبـــر 1978 ، تغمـــده الله — سبحانـــه — برحمتـــه .

ونعقب على هذا العرض بالتنويه باللطف وجم الترحاب والاحتفال وكريم الاخلاق التي يستقبل بها التونسيون ضيوفهم ، خلة يشترك فيها السكان الظرفاء على اختلاف الطبقات ، وفي الطليعة الشيوخ العلماء والاساتذة وسائر الاطارات الثقافية ، وهي ظاهرة طالما اشاد بها الرحالون المغاربة انطلاقا من العبدري ، وهو يقول في هذا الاتجاه من كلام طويل :
« ... وناهيك ببلد لا يستوحش به غريب ، ولا يعدم فيه كل فاضل اريب ، يبدءون من طرا عليهم بالمداخلة، ويخطبون منه ـ لفضل طباعهم ـ المواصلة ، فهو منهم بين اهل مشفق ، ورفيق مرفق ، وقد كان بعض اخيار طلبتها وحسبائهم لازمني مدة الاقامة بها، وترك ـ لاجلي ـ مهمات أموره وعرفني بفضلائها ، وكان لا ينفصل عني عامة النهار .

وكثيرا ما كنت أمر بمن لا يعرفني من اهلها ، فاساله عن الطريق الى ناحية منها ، فيقوم من حانوته ماشيا بين يدي يسأل الناس عن الطريق ويدل بي ، وهذا من اغرب ما يسمع من جميل الاخلاق ، وذلك فضل يوتيه من يشاء » .

* * *

وبعد هذا : فان من المفاخر الاسلامية بتونس : « الجمعية القومية للمحافظة على القرءان الكريم » ، وقد عاينت ملامح من نشاطها في مساجد القيروان بين العشاءين ، حيث يجلس المقرىء وحوله المتعلمون كبارا وصغارا ، فيملي عليهم الاية بعد الاية ، وهم يرددونها حتى يتقنوا قراءتها استظهارا وتجويدا ، ثم تعرفت بنشاط الجمعية اكثر ، بواسطة رئيسها العلامة اللامع ، أستاذ الاساتذة وعميدهم : الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، وايضا بواسطة العلماء الاساتذة : الشيخ محمد ابو الاجفان ، والشيخ محيي الدين قادي ، والشيخ محمد صلاح الدين المستاوي المدير والمحرر لمجلة « جوهر الاسلام » ، التي اهداني صاحبها الفاضل بضعة أعداد منها ، فكان من بينها عدد خاص بالقرءان الكريم : ع 2 من السنة 9 ، وجاءت خاتمته تشتمل على :

ا ـ تعريف بالجمعية القومية للمحافظة على القرءان الكريم .

ب ـ عرض عن المباراة القرءانية الكبرى التي جرت بالعاصمة أيام 1 ، 2 ، 3 ربيع النبوي 1397 هـ / 1977 .

ولاهمية الموضوع الاول كان من المناسب أن اذيل به هذا المقال :

## تعريف بالجمعية القومية للمحافظة على القرءان الكريم

تاسست بتونس هذه المؤسسة تحت اسم الجمعية القومية للمحافظة على القرءان الكريم سنة 1388 هـ ـ 1968 م ، وهي مؤسسة تجمع كل جمعيات تحفيظ القرءان بكل ولايات القطر التونسي ، وهذه المجالس الجهوية للجمعية بحسب الولايات :

1 ) ولاية تونس ـ المجلس القومي
2 ) ولاية زغوان ـ المجلس الجهوي
3 ) ولاية القيروان ـ المجلس الجهوي
4 ) ولاية سوسة ـ المجلس الجهوي
5 ) ولاية المنستير ـ المجلس الجهوي
6 ) ولاية المهدية ـ المجلس الجهوي
7 ) ولاية الكاف ـ المجلس الجهوي
8 ) ولاية قفصة ـ المجلس الجهوي
9 ) ولاية القصرين ـ المجلس الجهوي
10) ولاية باجة ـ المجلس الجهوي
11) ولاية نابل ـ المجلس الجهوي
12) ولاية مدنين ـ المجلس الجهوي
13) ولاية سليانة ـ المجلس الجهوي
14) ولاية قابس ـ المجلس الجهوي
15) ولاية جندوبة ـ المجلس الجهوي
16) ولاية بنزرت ـ المجلس الجهوي

ويتبع هذه المجالس مجالس فرعية متعددة .

**الغرض من هذه المؤسسة :**

المقصود من هذه المؤسسة الجامعة توفير الظروف التي تسمح بتسهيل حذق القرءان ، ولفت الهمم الى الاقبال على القرءان حفظا وتفهما حتى

تنبعث الروح الاسلامية الخالصة ويتكون الراي العام الحريص على تطبيق المبادىء القرءانية .

وذلك بكل الوسائل الممكنة . ومن اخصها :

1 ) ايجاد معهد ثانوي لتحقيق ثلاثة اسس :

الاساس الاول : تحفيظ القرءان باسهل الطرق ومن ذلك الوسائل السمعية الحديثة مع المحافظة على حسن الاداء .

الاساس الثاني : العلوم الاسلامية تحصيلا ، وتربية للملكة على تفهم كتبنا الاسلامية .

الاساس الثالث : الثقافة العامة .

والجمعية جادة كل الجد لتحصيل الرخصة بفتح ذلك المعهد مع المسؤولين فى الحكومة التونسية، وبحول الله تعالى سيكون الترخيص بذلك قريبا ، اذ تحصلت على وعد باستئناف اعمالها لتأسيس ذلك المعهد .

وانما وقع التفكير فى ذلك وهو الجمع بين التحفيظ للقرءان والثقافة العامة ، لان الحفظ وحده زهد فيه الناس فى هذا العصر الحاضر الذي طغت فيه الماديات على غيرها ، فالحاذق للقرءان يريد أن يجد امامه أبواب الحياة مفتوحة ، ولا يتيسر ذلك الا بالصورة المذكورة .

2) ايجاد كتاتيب قرآنية مثالية .

3) ايجاد روضات قرآنية او ادخال القرءان فى روضات الاطفال .

4) اجراء مباريات قرآنية على النطاق القومي والجهوي والمحلي تمنح فيها جوائز ذات بال تحريضا للهمم على حذق القرءان .

5) القاء محاضرات فى العلوم القرآنية ، ونشر الخلق الاسلامي الصحيح وقاية للشباب من الفراغ من الايمان الراسخ .

6) اصدار نشرة دينية تهتم بالعلوم القرآنية والاخلاق الاسلامية .

7) فتح مكتبات اسلامية فى المركز العام والمجالس الجهوية والمجالس المحلية ، تجمع مصادر البحث الاسلامي .

8) نشر الكتب الخاصة بالعلوم القرآنية من تجويد وخلاف وتفسير .

### من نشاطات الجمعية

الاهتمام البالغ باقامة المعهد فى أقرب الاوقات، وقد أجرت الجمعية مقابلات متعددة لابراز هذا المشروع للوجود ، وسعيها حثيث لتوفير الامكانات المطلوبة حتى يكون هذا المشروع قد ظهر للوجود بالوجه اللائق ، اعاننا الله على ذلك .

هذا ما عزمت عليه الجمعية اما ما حققته فمن ذلك :

ما تم من فتح كتاتيب قرآنية عديدة منها ما هو بالعاصمة التونسية ، ومنها ما هو بامهات المدن او القرى التونسية .

انشاء دروس قرآنية ببعض فصول المدارس اثناء عدم اشتغالها بالتعليم العمومي مثل ما يجري بحي الحلفاوين احد أحياء العاصمة ، وبكامل ولاية سوسة .

وقد أتت هذه الفصول القرآنية بنتائج ظهرت فى المباريات القرآنية للعام الماضي .

البدء فى احداث روضات قرآنية للاطفال من ذلك ما شرع فيه الآن ببلدة رفراف من اعمال ولاية بنزرت ، وغيرها .

### الاملآت القرآنية ودروس التفسير :

وطريقة الاملآت ان يجلس احد الحفاظ بمسجد جامع ويحلق حوله الحاضرون ليملي عليهم ما يحفظونه فى يومهم تصحيحا للقراءة مع تعاهد الحفظ اسبوعيا بالتكرار ، وتكون هذه الاملآت بين صلاتي المغرب والعشاء .

والاملآت نوعان :

النوع الاول : الاملآت المستمرة طيلة ايام العام بدون انقطاع ، وهي منبثة فى كل بلد او قرية من الجمهورية التونسية .

وقد اثمرت هذه الطريقة ايما اثمار بحفظ العديد اما للكثير من القرءان او للقرءان كله وروادها من أبناء المدارس الثانوية ومن غيرهم ، ولا يزال

البعض منهم الآن يواصلون تعلمهم بجد ونشاط ، وبجانب هذه الاملآات دروس تفسيرية فى بعض .

والنوع الثاني : الاملآات الصيفية ، وهي خاصة بمدة العطلة الصيفية وكان الاقبال عليها عظيما ، وقد خصص لكل سنة حفظ جزء من القرءان ، وامكن بهذه الطريقة ان يحفظ بعض التلاميذ ثلاثة أجزاء من القرآن، لان هذه الاملآات لم تتكون الا منذ ثلاث سنوات ، وفى ختام العطلة الصيفية تجري المباراة القرءانية لهـا اختبارا للحفاظ ، وتنشيطا للمجتهدين .

**المباريـــات القرآنيـــة :**

وهي على انواع منها ما هو محلي ، ومنها ما هو جهوي ، ومن ابرز المباريات الجهوية ما يجـري فى مدينة سوسة احدى امهات المدن التونسية ، وقد اجريت فى العام الماضي تحت اشراف السيد وزير التربية القومية الاستاذ محمد مزالى .

واما المباراة القومية الكبرى فانهـا تجـري بالعاصمة مدينة تونس ، وهي مظهر للعناية بالقرءان حيث يظهر النشاط فى حفظ القرءان مع ما يتخلل ذلك من القاء محاضرات ذات مواضيع اسلامية هامة، كما انها ملتقى قرآني .

ومعنى كونها قومية انها لا تخـص بجهة مـن البلدان التونسية بل هي عامة لكافـة البلـدان ، **ونامل فى المستقبل ان شاء الله انها تعم الشمـال الافريقي العربي الصميـم .**

**مدرســة الاطـــارات :**

لما كان الحفظ عند الكثير فيما سبق لا يعتنى فيه الا بمجرد الحفظ دون الالتفات الى الاداء ، ولا يضاف الى التحفيظ فى الكتاتيب وبخاصة منها ما كان فى القرى شيء آخر مما هو من التثقيف فى الدين او العربية او غير ذلك ، كان من الضروري ان يعتنى بمن حفظ على تلك الطريقة ، ولهذا فتحت الجمعية مدرسة لتكوين الاطارات من اولئك حتى يتمهد لهـم الدخول فى مسالك العمل الحياتية حسب تأهلهم ، وامكانيتهم ، وقد نتج عن ذلك ان بعضهم اصبح متأهلا للعمل ببعض النواحي التعليمية .

**النشـــــــرات :**

نشرت الجمعية نشرتيـن تختصـان ببعـض محاضرات الجمعية : الاولى تحت اسم المعجـزة الخالدة ، والثانية قيم اسلامية ، واخريين بمباريات جهوية لمدينة سوسة .

وقد اعدت نشرتها الثالثة ، وهي بصدد تقديمها للطبع ، وهي نشرة تضم مباحث قرآنية مع تفصيل نشاطات الجمعية .

تحقيق كتاب (تنبيه الغافلين ، وارشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين ) تأليف ابي الحسن علي بن محمد النوري المتوفى سنة ( 1118 ) ، وقام بتحقيقه رئيس الجمعيـة محمد الشاذلـي النيفر .

وستقوم فى القريب بطبع شرح قصيدة ابـي الحسن علي الحصري القيرواني صاحب ( يا ليـل الصب ) ، المتوفى سنة ( 488 ) والقصيدة فى قراءة نافع التي يقرا بها الشمال الافريقي محققا ان شاء الله تعالـى .

**التفسيـــر المبســط :**

وتسهيلا لفهم كلام الحكيم حتـى تكون هنـاك ثقافة دينية مركزة على القرءان شرعت الجمعية فى نشر تفسير مبسط بأسلوب خاص ؛ وقد طبع منـه تفسير الجزء الثلاثين ، ونشر منه مليـون نسخـة ( الف الف ) والجزء الموالي له تفسير الجزء 29 طبع وسينشر ان شاء الله تعالى وتتولى طبعه دار النشر التونسية ، واسلوب هذا التفسير روعيت فيه ملكة القارئيـن .

**اليوميــة الهجريــة :**

استرسلت الجمعية منذ سنوات فى طبع يومية للجيب مبنية على التاريخ الهجري تذكيرا به وبالشهور العربية وتحبيبا فيها ، مع تعريف بأوقات الصلاة .

**مكتبـات الجمعيـة :**

اعتنت الجمعية بتأسيس مكتبات منها ما هـو بالمركز العام بتونس العاصمة ، ومنها ما هو بفروعها

المنبثة فى سائر الجهات ، والقصد من هذه المكتبات ان تكون مرجعا بالاخص لكل ما يتعلق بالقرءان وما ينضاف الى ذلك من بحوث اسلامية .

**المحاضرات والندوات :**

يضطلع اساتذة من رجال الاختصاص الديني بالقيام بمحاضرات فى مختلف المواضيع الدينية فى مناسبات داعية الى ذلك فى كافة جهات الجمهورية التونسية ، وتكثر هذه المحاضرات فى ليالي رمضان احياء للشعور الديني ، والتفكير الاسلامي الصحيح .

وللجمعية ندوات تخصها بالشباب مركزة على ما يقترحونه من مواضيع من مشاكلهم التي تشغل بالهم . ويحبون النظر فيها ازالة لكل الشكوك العالقة بأذهانهم فيثمر الحوار انهم تخلصوا من ذلك كله ، وقد نقيت عقيدتهم من كل الادران مما يكدر صفو الايمان .

ورجاؤنا من الله ان يسدد عملنا الى ما فيه خير الامة الاسلامية ويمهد لنا السبل الواضحة حتى تكون على شريعة من الامر معتصمين بكتابه الكريم مصدر الهداية والرشاد . عاملين لنشره بكل الوسائل المؤدية الى تعميم مبادئه وغرسها فى العقول والله الموفق لسواء السبيل .

* * *

ومما سعدت بزيارته بتونس العاصمة « دار الكتب الوطنية » 20 نهج سوق العطارين ، حيث استقبلت من طرف رئيسها الاستاذ المقتدر السيد عبد الوهاب الدخلي ، فلمست فيه الرئيس المقدر لمهمته المكتبية : أخلاقا ونشاطا وحسن اقتبال وفضل مساعدة .

ودار الكتب الوطنية هذه يتجمع فيها ـ الان ـ سائر مخطوطات المكتبات التونسية العمومية : الصادقية والاحمدية والعامة ، ومكاتب المساجد والزوايا بتونس والقيروان ومدينتي الكاف وسفاقس وسوسا ، مضافا لذلك رصيد المخطوطات بمكتبة فقيد البحث والتاريخ : المرحوم حسن حسني عبد الوهاب ، وكان صاحبها اوصى بها ـ من عام 1959 ـ لتكون بعد وفاته بدار الكتب الوطنية ، وتشتمل على 1297 مخطوطا .

وهكذا بلغ مجموع محتويات هذه الدار 25 الف مخطوط ، وقد بدىء فى فهرستها تبعا لترقيم المخطوطات بالرفوف ، على ان يصدر الفهرس فى خمسة وعشرين جزءا ، يستوعب كل جزء الف عنوان، وظهر منها ـ على هذه الطريقة ـ جزءان طبعا على الآلة المكررة ، فاشتمل الجزء الاول على وصف المخطوطات المرقمة من 1 الى 999 ، واشتمل الجزء الثاني على وصف المخطوطات المرقمة من 1000 الى 1999 ، والحق بكل من الجزءين خمسة ادلة :

- كشاف العناوين .
- كشاف المؤلفين .
- كشاف المواضيع .
- كشاف الناسخين .
- كشاف التاريخ الهجري لزمن الانتساخ .

**الرباط : محمد المنوني**

# مزايا الإسلام على الأديان

للأستاذ أحمد البورقادي

مما لا شك فيه ان مجموع الاديان والشرائع السماوية هي من وضع رباني ومشكاة قدسية اتسمت بالكمال ، وبرئت من النقص ، وطابقت مستوى البشر ومصالحهم في كل زمان ومكان . وعاش الناس في ظلها وكنفها آمنين ، وبها مهتدين .

غير أن بعض هذه الاديان خالطها تحريف وتغيير، وشابها نقص وتشويه ، كالديانة الموسوية والديانة العيسوية بفعل ما أدخل الاحبار والرهبان عليهما من الاضافات والزيادات ، والشروح والتأويلات حتى تبدلت طبيعتهما الربانية ، وصارتا من قبيل القوانين الوضعية ، قال تعالى حكاية عن اليهود في ذلك : « يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » ، وعن النصارى ايضا : « ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به » . سورة المائدة ، الآية : 13 و 14 .

ولم يبق سالما من التحريف والتبديل ، الا شريعة الاسلام التي احتفظت بربانيتها بحفظ الله لها قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ». سورة الحجر ، الآية 9 .

وقد ضمن لها هذا الحفظ الدوام والثبات والصلاحية المطلقة والظهور الى قيام الساعة كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم والترمذي وابن ماجة عن سيدنا ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي أمر الله وهم كذلك الى قيام الساعة ) .

وربانيتها خاطبت الفطرة الانسانية كما ورد في الآية الثانية ، وأهلت المومنين للاجتباء فأصبحت الامة الاسلامية الامة الوسط التي تشهد على غيرها ورسولها يشهد عليها كما جاء في القرءان ، قال تعالى : « هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » . سورة الحج ، الآية 78 .

واصبح الدين الذي وضعه رب السماء دينا عالميا للناس كافة ، شاملا لكل المصالح البشرية ، مبشرا ، دالا على سبل الخير ، وداعيا الى كل المقومات الاساسية في الاخلاق والمعاملة والسلوك ، ومنذرا من زاغ عن الطريق بالهلاك والعذاب كما جاء في الآية الخامسة ، انه الدين الوسط الذي يجمع بين خير الدنيا والاخرة ، ويوازن بين المادة والروح ،

ومطالب الحياة ولذاتها ، وثواب الاخرة ونعيمها ، كما يسير في تكاليفه ، لا تشديد ولا عنت ، سمح حنيف أفصحت عن ذلك الآية الثالثة . وهو في كل ذلك في تشريعاته ، لا شطط ولا حرج ، والآية الرابعة والاحاديث الثاني والثالث والرابع تشير الى ذلك في وضوح .

تلك بعض خصائص الاسلام ومزاياه على الاجمال، ونبينها مفصلة في النقط الآتية :

**1 ـ الربانية والسلامة من التحريف :**

اذا كان للاسلام مزية تعد مصدرا عاما لمزاياه على جميع الاديان فهي مزية الربانية التي جعلته تشريعا صادرا من الله ، ووحيا منه سبحانه يتنزه عن صنع الفكر البشري القاصر ، وجمود العقل الانساني المحدود .

هذه السمة الربانية جعلت من هذا الدين الاسلامي تشريعا يستمد عقيدته واحكامه واخلاقه من رب العالمين ، ولذلك فهو يختلف عن القوانين الموضوعة، والتصورات الانسانية ، فلم تكن قواعده اعرافا سابقة فتبناها ، أو اصولا لمبادىء قانونية فجمعها ، أو تصورات فلسفية قديمة فعدلها ، وانما هي شريعة سماوية في مبناها ومعناها ، لم تستمد من غيرها ، ولم يشبها عيب كالذي شاب سواها من الديانات . فكانت الشريعة التي لابست الحياة الانسانية ، وتفاعلت مع الشعور والوجدان وارتبطت بواقع الناس، واستجابت لمطالبهم في حدود الاخلاق ، والتقت مع الفطرة ، وسمت بالانسان وكرمته ، واقامت العدل ، ونشرت الامن ، وصححت الاوضاع الفاسدة ، وبلغت بالانسانية الى مستوى الرشد ، واصبحت الشريعة الملزمة الدالة على التوحيد الخالص والتي لا يقبل الله التدين بسواها ، قال تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

ومن رحمة الله بالانسانية انه لم يكل اليه امر نفسه ووضع شريعته في الارض بجهله وعجزه :

جهله بحقيقة نفسه وما يصلح لهذه النفس من الرغبات والمصالح في غمرة هذا الواقع الكبير ، وفي خضم هذا الكون المائج الذي يعتبر الانسان ذرة من ذراته .

وعجزه عن وضع منهج يجهله ويجهل طبيعته ونظامه ، وربما تتحكم في هذا الوضع نتيجة للجهل به ، غرائزه الانسانية ، وشهواته وميولاته ، وهواه الطائش ، فينحرف هذا المنهج الموضوع عن غاياته ، فتشقى الانسانية به ، وتتردى بسببه ، فتحتاج الى وضع منهج آخر . وآخر . وآخر . وهكذا دواليك . يظل الانسان لتعدد هذه المناهج تائها لا يعرف الطريق ، وهذا ما وقع فعلا في فترات كثيرة من فترات البشرية المتلاحقة حينما قرر الانسان ـ بجهله ـ الاعتماد على فكره القاصر المحدود في وضع القوانين وتمرد على المنهج الرباني الذي كان وحيا على لسان الرسل منذ وجد الانسان على هذه الارض الى الآن . فكانت النتيجة أن تخبط الناس في ظلام دامس لا مخرج منه، ووقعوا على غير هدى وبصيرة في تيه سحيق . وهذا شأن البشر حينما يخوض في ميدانه بعمله الناقص ، ورأيه الفج ، وتنظيماته المرتجلة ، وخواطره السانحة .

وقد عرفت البشرية في هذا المجال : مجال التمرد على الوحي والمنهج الرباني شريعة حمو رابي وقانون الاب : جوستنيان وكثيرا من النظريات والفلسفات التي كان الصراع فيها بين العقل والحس وبين الدين . وكثيرا ايضا من الدساتير الوضعية الآن ، والتي ابانت عن خصل رأيها ، وكشفت الايام فسادها وخطأها . وبمقارنة بسيطة بين الحافز الذي يدعو المومن الى امتثال المنهج الرباني وبين الحافز الذي يدعو الشخص على العموم الى تطبيق بنود القانون الموضوع نرى الفرق واضحا والبون شاسعا بين حافز ينبعث من وجدان المومن وايمانه بربه وعقيدته وشريعته ويملي عليه الاندفاع الى الامتثال في صورة فعل أو ترك ، وبين حافز قسري لا اختيار للشخص فيه ، مدعم من الخارج بقوة الخوف والاكراه، لا اثر فيه لرغبة أو رضى .

وهذا شيء يجعل ميزة الربانية اشد علوقا بقلب الانسان وشعوره ، وكيانه وضميره ، يطمئن المومن اليها ، ويرضي ربه بها ، ويضمن حريته وكرامته عن طريقها .

لقد استطاع الدين الاسلامي وحده ان يحتفظ بربانيته دون سائر الديانات الاخرى التي دخلها التحريف فبدل جوهرها وحقيقتها ، وغير من صلبها وطبيعتها ، والتبس فيها الحق بالباطل ، وتسرب اليها

ما افسدها من المعتقدات الوثنية ، وما شوهها من التصورات الخاطئة الضالة .

ووزر ذلك كله على اهلها الذين اخذ الله عليهم الميثاق فبدلوا وغيروا ، قال تعالى حكاية عنهم : « واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » . سورة آل عمران ، الآية 187 .

وقد شمل هذا التحريف المقصود كل جوانب الحياة فى ديانة اهل الكتاب . فقد تناول التحريف العقيدة والتشريع والحكم والاخلاق والمعاملة كما تقدم فى الدرس الثالث ( حتى اصبحت التوراة والانجيل لا تمتان بصلة الى السماء ) واصبحت القوانين الالاهية من حيث التطبيق معطلة مهجورة . وقد صور لنا القرءان هذا العمل الاجرامي فى حق شريعة الله من طرف من باشروا التحريف من اهل الكتاب فقال تعالى : « ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم توتوه فاحذروا » . سورة المائدة ، الآية 41 . وقال تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعينا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين » . سورة النساء ، الآية 46 . وقال سبحانه عنهم : « افتطمعون ان يومنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » . سورة البقرة ، الآية 75 .

فكان من نتائج هذا التحريف ان ضرب الله عليهم الذلة وطبع على قلوبهم وعمهم الجهل والضلال واصبحوا — والتوراة بين ايديهم — لا يستفيدون منها، لانهم هجروها وعطلوها وغيروها ، وقنعوا منها بالحمل الثقيل كما يحمل الحمار الاسفار ولا يستفيد منها ، قال تعالى عن ذلك : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ، بئس مثل الذين كذبوا بئايات الله والله لا يهدي القوم الظالمين». سورة الجمعة ، الآية 5 .

وبعد هذا التحريف والتشويه ، والتزييف والتمويه ، وبعد ان عاشت البشرية ردحا من الزمن فى هذا الخلط والخبط ، وبعد ان استنفذ هذا التحريف اغراضه فى الحياة والناس ، وشقي الناس به طويلا ، ولم يعد بامكانهم قبول ما يدعو اليه من ترهات واضاليل . جاء المنقذ ، جاء الاسلام بوحي من السماء ليعود بالناس الى الفطرة التي تمردوا عليها، وليهديهم بعد ضلال ، ويخلصهم بعد سوء منقلب .

جاء الاسلام ربانيا فى لحمته وسداه ، اصيلا فى نبعه ، محكما فى آياته ، سمحا فى تكاليفه ، كاملا فى تشريعاته ، حيا وايجابيا فى واقعه ، ثابتا فى ذاته، تتطور البشرية فى اطاره ، وتستمد قوتها من قوته ، وتحيا معه ومن أجله .

جاء الاسلام ربانيا بوحي من الله ، فضمنت له ربانيته الخلود والبقاء ، والدوام والاستمرار ، والثبات والاستقرار ، فلم يشب صفوه كدر ، ولم يلبس حقه باطل ، ولم يشن اصله زيف .

وان ميزة الربانية هذه تعد اصلا أصيلا لكل الميزات المتفرعة عنها ، فمن الطبيعي انه ما دام الدين الاسلامي ربانيا فهو شامل لكل المصالح ، متوازن لا شطط فيه ، دائم وصالح لكل زمان ومكان ، ومن هنا لوقصرنا البحث فى ميزة الربانية لكان فيها الكفاية ، ولكننا آثرنا ان نفرد كل واحدة بكلمة على استقلال ، حفاظا على منهجية الدرس رغما عن كونها فى مجموعها تصدر عن الميزة الاولى وهي الربانية .

وقبل الشروع فى ذلك يجمل ان نلقي نظرة وجيزة عن بعض المزايا الفرعية التي تلتصق بميزة الربانية التصاقا مباشرا لما فى ذلك من الفائدة والنفع . وهذه المزايا الفرعية هي الثبات — والايجابية — والفطرية —

ا — **الثبات** : نعني بالثبات : ثبات الاصول الاسلامية التي جاءت وحيا من الله .

كثبات : ما يتعلق بالحقيقة الالاهية من وجود ووحدانية وقدرة ومشيئة .

وثبات : ما يتعلق بالعقيدة من ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

وثبات : ما يتعلق بالعبودية من عبادة الله وحده والاستعانة به والتوجه اليه ، ونفي الشريك عنه .

وثبات : ان الدين واحد وهو الاسلام وتطبيق احكامه والتحاكم الى منهجه الذي هو منهج الله فى الارض .

وثبات : ان الناس جميعا من اصل واحد فهم من آدم وآدم من تراب متســاوون في الحقــوق والواجبات لا فضل لاحدهم على الآخر الا بالتقــوى والعمل الصالح . قال تعالى : « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » . سورة الحجرات ، الآية 13 .

وثبات : ان الانسان في هذا الوجود مكرم على سائر الكائنات بما أودع الله فيه من العقل والاستعداد، وبما سخر الله له في الارض وبما استخلفه فيها ، وان رابطته مع غيره من بني الانسان قائمة على اساس التعارف والمحبة الانسانية ، لا على اساس الجنس واللون والمصلحة . قال تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبــا وقبائــل لتعارفوا » . سورة الحجرات ، الآية 13 .

وثبات : ما يتعلق بعمارة الارض وما يستتبعها من اقامة العدل وتطبيق الحدود ، ونشر الامن وحب الخير والتمسك بالفضائل والاخلاق ، ونبذ الرذائل واستهجانها ، ومعاملة الناس على اساس الرفــق والامانة والحسنى والانصاف ، لا على اساس الظلم والشدة والغش والخيانة .

هذه هي الاصول الثابتة ـ وان وجد غيرها فهو تبع لها ـ التي لا تتغير ولا تتبدل في اطار ثبات الشريعة، اما الجزئيات المتفرعة عنها واوضاعهــا العمليــة ، فتتغير بحسب الزمان والمكان ، وبحسب ما تقتضيه الظروف والملابسات ، وبحسب ما يستجد للناس من اقضية في حياتهم المتطورة ، ورغم هذا التجــدد والتطور تبقى ظواهر الحياة واوصافها واشكالها تسير في فلك الاصول الثابتة ، وتدور حول محورها الثابت. وهذا لا يعني ان الدين الاسلامي جامــد لا يخــرج عن اطار وضع له ، ولا يعني ان هذا الجمود يعــوق مبادئه عن الحركة والنمو ، بل بالعكس فكل شيء في الدين داخل هذا الاطار الثابت يتجدد وينمو ويندفع الــى الحركــة .

وكمثال شاهد على هذا القول : الانسان بلحمه وعظمه واجهزته وغرائزه وشعوره وعمله وطموحــه وحركته الدائبة نحو الرقي ، واطوار حياته منذ كان جنينا الى ان فارق الحياة وهو شيــخ ، وعلاقاتــه وتقلبه في وظائف الحياة ومهامها ، وانجابه للبنيــن والبنات ، وكدحه وكسبه وهمومه وأمراضه ، وتجاربه وفلسفته الى غير ذلك من التقلبات الطارئة التي عرفها في حياته ، كل ذلك لم يخرج به عن اطاره الانساني الثابت ، ولم تعزله اية حالة من حالات التطور التــي مرت به عن انسانيته كانسان ، بل بقي ذلك الانسان في اطاره الثابت .

ومن المهم ان ثبات الاصل والدوران في فلكــه والتطور في اطاره يضمن للبشرية الاستقرار في الفكر والتخطيط ، والاطمئنان في الحيــاة والمعــاش ، والانضباط في سير الحركة البشرية على العموم ، ومن هنا فكل شيء يسير وفق نظام محكم بديع لا أثر للشرود أو الشذوذ ، ولا مجال للشهوة او النزوة ، قال تعالى : « انا كل شيء خلقناه بقــدر » . سورة القمر ، الآية 49 . وقال : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » . سورة الملك ، الآية 3 .

ولو كان الامر للهوى لفسد هذا النظــام ، قال تعالى : « ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السماوات والارض ومن فيهن » . سورة المومنين ، الآية 71 .

وقد حاولت بعض النظم والمفاهيم الاجتماعية والاقتصادية والفلسفية ان تنكر مفهوم الثبات مــن اصله لانه يناقض الحياة ومبدا التطور فيها وذلــك بفعل الثورة على الكنيسة والقيم والاخلاق وبفعل ما استجد من رجات وهزات اقتصادية في العالــم في القرون الاخيرة الى حين قيام الماركسية على اساس مبدا الجدل الذي ينفي بتاتا مبدا الثبات ويقر التطور وفق مبدا النقيض الذي يقضي بان كل شيء يهــدم نفسه لان كل شيء يحوي نقيضه في نفسه .

وهي محاولة يائسة لان الواقع يكذبها ويحكــم بخطئها ولا مجال للخوض فيها الآن .

ب ـ **الايجابيــة** : والمراد بها التجــاوب والفعالية في علاقة الانسان بربه ، وعلاقته بنفســه وغيره ، فالله في الدين الاسلامي هو مصدر الخيــر والعطاء ، اياه نسأل وعليه نتوكل ، يرقبنا ويعلم سرنا ونجوانا ، يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء . يحيي ويميت ـ يعطي ويمنع ، يخفض ويرفع ، يعــز ويذل ، يشاء ويتصرف ، يكره الفواحش وينهى عــن السوء . الخ . ليس باخرس ولا أصم ، لا تاخذه سنة ولا نوم ، لا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء .

والمسلم في علاقته بربه يستمد منه القــوة والخير ، ويلجأ اليه ويتحصن به ، ويدعوه في الشدائد والازمات فيسمع دعاءه ويستجيب له ، ويكون معــه حيثما كان يقول سبحانه : « ما يكون من نجوى ثلاثة

الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم » . سورة المجادلة ، الآية 7 .

ان المسلم فى هذه العلاقة لا يتعامل مع أوثان لا تضر ولا تنفع ، كما عند المشركين ولا مع طبيعة خرساء كما عند الطبيعيين ، ولا مع تثليث او ثنائية كما عند النصارى والمجوس .

قال تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » سورة الانبياء ، الآية 22 .

وانما يتعامل مع الاه حي قدير سميع بصير خبير ، ومن هنا كان ايمان المسلم ايجابيا لا سلبيا يدفعه الى الحركة والطاعة ، والعمل لخير الجماعة ، والتقرب من الله طمعا فى ثوابه ، وخوفا من عقابه . ان هذه الايجابية تنعكس آثارها حتى على نفس المؤمن ، وعلى من حوله ، فيندفع الى افراغ طاقة الايمان فى العمل الايجابي البناء ، فالمؤمن ليس بعيدا عن الواقع ، ولا منعزلا عن الناس ولا رجلا مثاليا فى نظرته ، او راهبا فى صومعته ، وانما هو رجل الحركة المتفاعلة ، المؤثرة فى ذات نفسه ، وفى من حوله من الناس . وبذلك تقوم عمارة الارض ، ويكثر العمل الصالح ، قال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » . التوبة : 105

جـ ــ **الفطرية** : قال الشيخ رشيد رضا فى كتابه الوحي المحمدي : الفطرة هي الجبلة الانسانية الجامعة بين الحياتين الجسمية والروحية ، والاستعداد لمعرفة عالم الشهادة والغيب ، وما اودع فيها من غريزة الشعور الوجداني بسلطان غيبي فوق الكون ، وهو الله والتوجه الوجداني اليه فى كل ما يعجز عنه الانسان من نفع يحتاج اليه ، ودفع ضر يمسه هذا هو أصل دين الفطرة فى البشر ، لا ما زعمه بعضهم من ان دين الفطرة : ان يعمل الانسان مشبعا شعوره وافكاره ووجدانه بمقتضى طبيعته دون تلقي شيء من غيره فهذا جهل لا يقره دين ولا عقل .

والآية الكريمة تشير الى هذا وهي قوله تعالى : « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » . سورة الروم ، الآية 30 ،

وكذلك الحديث المروي فى الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ) .

ان هذا الدين جاء ليخاطب الفطرة بما يوافقها ، لا بما يتنافى معها او يعارضها ، ولا ادل على ذلك من كون الانسان اذا اعمل النظر المجرد واستفتى قلبه يجد نفسه وجها لوجه امام الشريعة ، ينجذب اليها بالفطرة ، وينجر اليها بالغريزة التي لا تخطىء ، فاذا هو يطمئن اليها بقلبه ، وترتاح لها نفسه ، وهو مصداق ما رواه الامام احمد والدارمي باسناد حسن عن وابصة ابن معبد قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : جئت تسأل عن البر ، قلت : نعم ، قال : استفت قلبك ، البر ما اطمانت اليه النفس واطمان اليه القلب ، والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر ، وان افتاك الناس وافتوك .

قال ابن رشد رحمه الله : اذا كانت هذه الشرائع حقا ، وداعية الى النظر المؤدى الى معرفة الحق ، فانا معشر المسلمين نعلم على القطع ، انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع، فان الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له ا هـ .

ان الاسلام فى تشريعاته واحكامه ياخذ بالاعتبار هذه الفطرة الانسانية بكل طاقاتها واستعداداتها ، وقوتها وضعفها ، وظروفها واحوالها ، وما هي فى حاجة اليه ، وما ينبغي أن تكون عليه ، فلم يكلفها بما لا تطيق ، ولم يطلب منها الايمان بما فوق العقل او بما يناقضه ، ولم ينزل بها عن درجة الكرامة والعزة . واصلح منها ما افسدته الوثنية ، وما ران عليها من ركامها الثقيل ، فاندفع المسلم بدافع الايمان الفطري الى العمل والحركة ، والانتاج والنماء .

ومن الفطرة استخدام جميع الاجهزة والطاقات الانسانية فيما وضعت له ، وخلقت لاجله ، وفى عملها المقدر لها ، وما تجاوز ذلك فهو خروج عن الفطرة وافتيات عليها ، فالعقل السليم يفكر فى المصلحة . واليد تكسب الحلال ، واللسان يصدق ولا يقول الا خيرا ، والبطن ياكل الطيب من الرزق والمجتمع يتماسك ويشتد ، والمؤمنون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، فاذا الامة الاسلامية بذلك هي خير امة اخرجت للناس ، وفى ذلك وضع للاشياء فى مسارها الطبيعي ، قال تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . آل عمران : 110 .

## 2 ـ الشمـــــــول :

الشمول بأوسع معانيه ، ورحابة جوانبـــه ، وسعة افقه ، نابع من شمول الارادة الالاهية ، فالله وحده هو الذي يوصف بالعلم المطلـــق ، والغنـــى المطلق ، والسمع المطلق ، والقدرة المطلقة التـــي لا تحدها قيود ولا حدود . قال تعالى : « انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون» . النحل : 40

ومن هنا كان منهجه الرباني شاملا كاملا ، يتسع لكل ذرة من ذرات هذا الكون ، ويخاطـــب النـــفس البشرية بكل جوانبها واتجاهاتها وحاجاتها ، ويلبـــي رغباتها ، ويتساوق مع فطرتها وطاقاتها . ولن يتأتى للانسان القاصر ، المحدود الادراك والزمان والمكان والنظر ، والمحكوم بصفتي الضعف والهوى ، ان ينشيء لنفسه ولمن حوله منهجا شاملا في تصوره ، كاملا في صنعه ، وهو ـ وان انشأه ـ فسيكون موسوما بسمة الجزئية ، لا يتناول الاشياء من جميع زواياهـــا ولا يصلح للمكان والزمان والجيل والبيئة الا بمقـــدار . والانسان من تلبية المنهج الرباني الشامل لكل حاجاته، ينطلق غير معذور في عمله ، حركيا نشيطا يؤدي دوره في الحياة ، ويبلغ رسالته في الوجود ، وهو في هذا النشاط الانساني ، يتميز في دائرة الدين بكونه يعمل لله ، في الوقت الذي يعمل لنفسه ، ويعيش لدنياه ، في الوقت الذي يعيش لآخرته ، وهذا ما يجعله في عبادة مستمرة لله بشرط ان يكون عمله مقرونا بالطاعة والاخلاص ، وتمحيض النية والنصح لله وحـــده لا شريك لـــه .

واذا استقصينا دائرة هذا الشمـــول في مجال الحياة البشرية على الخصوص فسنجد ان هذا المنهج الرباني عالج كل شؤون الحياة الانسانية ، وتوغل الى زواياها واطرافهـــا .

— فقد تناول النفس البشرية في كل اطوارهـــا ومراحلها ، وتناول شؤون الاسرة ، وما يكتنف هذه الشؤون من ملابسات وظروف ، وتناول المجتمع ومشاكله ، وتنظيمه ومـــا يصلحـــه اجتماعيا واقتصاديا وما يحميـــه في أخلاقـــه ومعاملته ، وما يوفر له الامـــن والاستقـــرار والازدهار ، وما يضمن له النمو والبقاء .

— وتناول الشمول العلاقات الدولية والانسانية ، وما يكتنفها من ضرورة وحدة الامة الاسلاميـــة واخوتها ، واتحادها وقوتها ، ومعاملتها لباقـي الدول الاخرى معاملة انسانية دون اي اعتبار للجنس او اللون او الاقليم او اللغة او الدين ، وعلاقاتها بها في حالتي السلم والحرب .

— وتناول الشمول شؤون السياسة ونظام الحكم في الاسلام ، وان هذا النظام مبني على أساس العدل والشؤون والمساواة ، وجلب المصلحـــة ودرء المفسدة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكـــــر .
وان الحاكمية في هذا النظام لله ، وان مصدر التشريع هما الكتاب والسنة قال تعالى : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ذلـــك خيـــر واحسن تاويلا » . سورة النساء الآيـــة 58 .
وان السلطة التنفيذية والقضائيـــة ملزمتـــان باقامة الحدود ، واحقاق الحـــق ، وازهـــاق الباطل ، ورعاية المصالح .

— وتناول الشمول أسس الدين مـــن عبـــادات ومعاملات واخلاق ، وافهم الانسان المومن ان وجوده في هذه الحياة لم يكن عبثا ، وانه مكلف بجميع التكاليف الشرعية ، وانـــه يتحمـــل مسؤوليته فيها وهو متابع عليها ، قال تعالى : « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيـــه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى » . النجم : 39 ـ 40 ـ 41 . وان حياته الدنيا دار عمـــل وان الآخرة دار جزاء ، وانه محاسب عما قدم ، ولا يواخذ بجريرة الآخرين ، قال تعالى : « الا تزر وازرة وزر اخرى » . النجم 38 . وسوى في ذلك بين الرجل والمـــراة ، قال تعالـــى : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » . البقرة . 228

— وتناول الشمول كليات الدين الخمس التي جاء الاسلام بالمحافظة عليها وهـــي : الديـــن ـ والنفس ـ والعقل ـ والمال ـ والعرض . ووضع لها حدودا لا يتعداها المؤمن ، واوجـــب لهـــا وللحفاظ عليها واجبات بتعين التزامها ، ومنع لها ايضا محظورات يجب الابتعاد عنها ، وشمل ذلك من حيث الواجبات : العبادات وحقـــوق النفس ، والتربية والتعليم ، وتنمية المـــال

بالوسائل المشروعــة ، واحصـــان الفـــرج بالزواج الخ .

ومن حيث الحوافظ والمحظورات : كل المعاصي التي تبعد المومن عن طاعة ربه ، وتلقي بنفسه الى التهلكة من قتل وانتحار ، وتذهب بعقله ، كالمسكرات والمخدرات ، وتفني ماله كالتبذير والسرقة والربا واكل اموال الناس بالباطـل ، وتخدش عرضه وتشين كرامته كالزنى والقذف، ونهش اعراض الناس واشاعة الفتنة والفاحشة بينهم . قال تعالى : « ان الذين يحبـــون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة » . النور : 19 .

وعلى العموم فان الشمول في المنهج الربانـــي ميزة هذا الدين الكبرى لانه يستقطب كل حاجيـــات البشر ، ويستوعب كل ما يتعلق بمصالحهم الدينية والدنيوية . جاء في اعلام الموقعين ج 3 ص 1 للعلامة ابن القيم ما نصه : « ان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ، ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، وحكمة كلها ، فكـل مسالة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث : فليست من الشريعة ، وان أدخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمتــه بين خلقــه .

فهي الحياة والغذاء والدواء ، والنور والشفاء والعصمة . وكل خير في الوجود فانما هو مستفــاد منها ، وحاصل بها ، وكل نقص في الوجود فسببه من اضاعتها . فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم ، وقطب الفلاح ، والسعادة في الدنيـــا وفي الآخرة . اهـ .

## 3 ـ التـــــــوازن :

تتصل هذه المزية بالشمول ، لان شمول المنهج الرباني يقتضي ان يكون متوازنا ، لا شطط فيـــه ولا غلو ، ولا احراج ولا تفريط .

والتوازن يحفظ الدين من التارجح ، فلا يطغى جانب على جانب ، ويحقق الانسجام بين الانســـان والكون والحياة . ويحدد العلاقة الموجودة بين العبد وربه ، فيقف الانسان في حدود هذه العلاقة في مقام مكرم ، هو مقام العبودية لله ، يستجيب لندائــه ، ويمتثل طائعا لامره ، ولا يذل لاحد غيره .

— ويعني التوازن ان الدين وسط جامع بين حقوق الروح والجسد ، فلا تطغى حظوظ الجســـد ومطالبه المادية كما عند اليهود ولا تطغى التعاليم الروحية والزهد والرهبنة كما عند النصارى وغيرهـــم .

— ويعني التوازن ان الدين يقوم على الانسجام بين العقيدة والشريعة ولا يقبل الفصل بينهما ، انه يوازن في حياة الناس بين عقيدة يومنون بهـــا على اساس التوحيد الخالص لله وبين شريعة يحكمونها ويطبقونها فيما بينهم صادرة عن ربهم الذي يعبدونه ويفردونه بالالوهية .
وهذا الانسجام هو الذي يحررهم من اي هيمنة الاله المهيمن ، ويجعلهم يندفعون الى العمـــل بمقتضى الشريعة بحافز من الايمان الخالص .

— ويعني التوازن ان الدين يوصي بأن يعمل الانسان لدنياه كما يعمل لآخرته ، فلا تنسيه مطالـــب الدنيا وزخارفها الاستعداد للآخرة ، ولا تشغله هذه عن تلك ، لان ما بينهما من تلازم وتوازن مع اخلاص النية يجعله في عبادة مستمرة ، قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك » . القصص : 77 .
وقد ورد للشيخ الامام محمد عبده في كتابـــه الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص : 78 قولـــه :
( وصاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل لسعد بن ابي وقاص : تصدق بما تملـــك واتبعني ، وانما قال له حينما اراد سعـــد أن يتصدق بثلثي ماله او بماله كله : الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس ) . متفق عليه .
والاسلام في هذا التوازن يحث على السعـــي والكسب ، واكل الحلال الطيب ، والتمتع بزينة الحياة الدنيا في غير رهبنة ولا تبتـــل ، ولا انقطاع وعزلة عن الناس ، قال تعالى : « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا

خالصة يوم القيامة » . الاعراف : 32 .
ويروى ان عمر بن الخطاب نظر الى رجل متماوت يظهر التنسك . فخفقه بالدرة وقال له : لا تمت علينا ديننا أماتك الله .

— ويعني التوازن ان الاسلام دين ودولة ، قد شرع للناس ما يحفظ دينهم ودنياهم ، ومعاشهم ومعادهم ؛ فكما انه امرهم بالتزام اصول الدين الثلاثة : الايمان والاسلام والاحسان ، كما ورد ذلك في حديث جبريل المشهور ، فقد جاء بتشريعات كذلك تنظم حياة الناس ومعاملاتهم وعلاقاتهم ، من بيع وشراء ، وزواج وطلاق ، ووصية وميراث ، وشركة واجرة ، واشهاد وضمان وقصاص وحدود ، وحكم وسياسة . الخ .

— ويعني التوازن ، ان الدين يربط العقل بالقلب، والسر بالعلن ، والمظهر بالمخبر ، والعلم بالدين ، والرغبة بالرهبة ، والنية بالعمل ، والاسباب بالمسببات ؛ ويوصي المومن ان يحافظ على هذا التوازن في كل الاحوال : في حالة العسر واليسر ، والرخاء والشدة ، والمنشط والمكره ، والرضى والغضب ؛ وبذلك تؤدى الاعمال بعيدا عن الاعتبارات في امانة واخلاص دون نفاق او رياء ، أو غش او خداع .

— ويعني التوازن ان هذا الدين يسر لا حرج فيه ولا عسر ، مسيل لا ارهاق فيه ولا اعنات . فهو اذ يحفظ للانسان كرامته وهو عبد الله : لا يشتط في تكليفه بما لا يطيق ، بل يوازن بين قدراته واستعداداته ، وبين ما يتحمله من التكاليف الشرعية ، التي لا تخرج في جملتها عن طاقته كانسان ضعيف .
قال تعالى : « يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا » . سورة النساء الآية : 28 .
وقال : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . البقرة : 185 .
وقال : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج . المائدة : 7 .
وروى الامام احمد في مسنده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احب الدين الى الله الحنفية السمحة .
وقد روعي في يسر التكاليف الشرعية : البساطة وعدم التعقيد حتى تكون في متناول الجميع .
وكونها تهتم بما يوجد عليه أهل التكليف من تفاوت في القوة والضعف ، والانوثة والرجولة والشباب والشيخوخة ؛ والاقامة والسفر ، وغيرها من الاحوال .
وكون هذه التكاليف تنقسم بحسب ذلك الى عزائم ورخص ؛ فالتكليف مثلا اذا كان شاقا يعوض بما هو أهون وايسر ؛ كالفطر في رمضان لعجز او مرض ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ان الله يحب أن توتى رخصه كما يحب أن توتى عزائمه . وبرفع الحرج ويسر التكاليف استطاع الانسان في هذا الدين ان يتحرر من كثير من الاثقال والتبعات التي كان يرزح تحتها زمنا طويلا في ظل التشريعات السابقة : الوضعية منها ، او التي حرفت عن الديانات السماوية .
فقضى الاسلام على الفوارق والطبقيات ، وتحرر الانسان من الاستعباد والاسترقاق ، ومن السيطرة وظلم الاسياد .
وتحررت المرأة وأصبحت لها مكانتها فشارك الرجل في الاحكام وتتاجر وترث بعد ان كانت متاعا يورث ، ولا قيمة لها .
وتحررت حقوق الناس وأموالهم من الربا والتعدي والسحت ، فأصبح الانسان آمنا على نفسه وماله وعرضه .
وعلى كل حال : فرفع الحرج يعد ميزة هذا الدين . والحكمة منه كما قال الامام الشاطبي في الموافقات ملحوظة من وجهين :

— احدهما : الخوف من الانقطاع من الطريق ، وبغض العبادة ، وكراهة التكليف ، وينتظم تحت هذا المعنى الخوف من ادخال الفساد عليه في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله .

— والثاني : خوف التقصير عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد المختلفة الانواع ، مثل قيامه على أهله وولده ، الى تكاليف اخرى تاتي في الطريق، فربما كان التوغل في بعض الاعمال شاغلا عنها، وقاطعا بالمكلف دونها . ا هـ .

## 4 ـ الدوام والصلاحية للزمان والمكان :

تعني هذه المزية ان شريعة الاسلام صدرت من رب العالمين لتكون دائمة وصالحة لكل زمان ، لا

لتنسخ بشريعة اخرى ، ولا ليعفي عليها الزمن فتبلى احكامها ، ولا لتتغير فى اصولها ومبادئها . وقد تقدم فى ميزة الثبات ان هذا الدين ثابت فى اسسه وقواعده الكبرى ، وان امكن التغير من جزئياتـــه وفروعـــه ومستجداته . وهذا الثبات هو الذي يضمن لهـــذه الاصول الدوام والخلود ، والاستقرار والاطمئنان .

فليس الاسلام شريعة محرفة قد تغيرت احكامها كما وقع للتوراة والانجيل ، ولا دساتير موضوعـــة تحتاج فى كل مرة الى العوض والبديل ، وانما هـــي شريعة محكمة حفظها الله من الزيغ والباطل ، وعصمها من الهوى والضلال : قال تعالى : « وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » . سورة فصلت الآية 42 . وهذا مـــا يحفظ التشريع الاسلامي من الهزات والرجـــات ، ويكسبه الاستقرار على مر الايام ، ويجعل المسلمين يرتبطون به ويلتزمونه ، ويطمئنون نفسيـــا اليـــه ، ويمارسونه عن طواعية ورضى ، ولا يستنكفون مـــن تطبيقـــه .

ونتيجة لثبات الشريعة ودوامها لكون مصدرها واحد وهو الله ، فانما صلحت لكل زمان ومكان على اختلاف احوال الناس وبيئاتهم ، وظروفهم وملابساتهم ، وانظمتهم وعاداتهم ، ومللهم ونحلهـــم ، وشعوبهـــم ومجتمعاتهم ، وطباعهم واخلاقهم ، واختلاف السنتهم والوانهم . فلا اثر فيها للفوارق المبنية على الدم أو الجنس ، او اللغة او اللون ، او غير ذلك من دعاوي الجاهلية الباطلة . فقد حرر الاسلام البشرية من هذا الميز المقيت ، وسوى بين الناس فى الواجبـــات والاحكام . وابطل التفاضل بينهـــم الا على اســـاس التقوى والعمل الصالح . قال الله تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . الحجرات : 13 . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : ( لا فضـــل لعربي على عجمي ، ولا لابيض على احمر الا بالتقوى ) .

ولم تكن لتتوفر للشريعة هذه الصلاحية ، لو لم تكن تلك الشريعة الكاملة الوافية بكـــل الاغراض والمقاصد ، مما جعل الناس يستظلون بظلها ، ويجدون فى رحابها الامن والامان ، والخير والسلام ، ومـــن هناك كانت شريعة عامة الى الناس كافة ، وكانـــت رسالتها هي خاتمة الرسالات ، ورسولها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبوات .

قال تعالى : « قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا » . الاعراف : 158 .

وقد كانت البشرية فى عهودها السابقة لا تعرف الا الرسالات الخاصة ، المحدودة فى اقاليم معينة ، وازمنة معينة ، واقوام معينيـــن ، قال سبحانـــه : «ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون » . سورة يونس : 47 .

ومع عموم رسالة الاسلام وشمولها ، فالمسلمون مدعوون الى الايمان بجميع الرسالات السابقة ، ولا يتم ايمانهم الا عن طريق ذلك ، قال تعالى : « آمـــن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله » . سورة البقرة : 285 .

واذا بحثنا فى طبيعة هذا العموم الذي تتميز به رسالة الاسلام نجد ان الحواجز التي كانت تحول دون تعميم الرسالة الى البشر قد زالت : كالعزلـــة التي كان يعيش عليها الناس . وعدم التفتـــح على غيرهم بواسطة اللغة والثقافة والفكـــر والسياســـة والحكم وصعوبة المواصلات . وعدم الاستعداد لادراك ماهية التشريع فى الرسالة ، واسراره وغاياتـــه . واختلاف درجات الناس فى الفهم والعادات والاخلاق . وكون ما يلائم هذه الفئة من الناس لا يلائـــم الفئـــة الاخرى . فلما جاءت رسالة الاسلام ، وجدت الناس قد وصلوا الى درجة من التقبل ومسيس الحاجة الى رسالة شافية كافية ، فتقبلها الناس عن طواعيـــة واقتناع ، ووجدت منهم القلب الخالي فتمكنـــت ، وتسرب هديها الى قلوبهم فطهرها ، والى نفوسهـــم فهذبها ، والى حياتهم فنظمها ، والى اخلاقهم فسما بها ، والى معاملاتهم فاصلحها ، والهمتهم الرشد ، وبلغتهم القصد ، ولبت حاجة فى نفوسهم ما كانـــت لتقضى لولاها ، واخرجتهم من الظلمات الى النور ، ودعتهم الى النظر والفكر ، وحررت عقولهـــم مـــن الشعوذة والخرافة ، ورقابهم من الهيمنة والقسر ، وقلوبهم من الاعتقاد الفاسد .

قال الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » . سورة المائدة الآية : 3 .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : مثلي ومثل الانبياء قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة فى زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيئين .

متفق عليه عن أبي هريرة .

**مراجع البحث :**


1 ) القرءان الكريم .
2 ) صحيح البخاري .
3 ) اعلام الموقعين لابن القيم .
4 ) الموافقات للشاطبي .
5 ) خصائص التصور الاسلامي لسيد قطب .
6 ) الوحي المحمدي للعلامة رشيد رضا .
7 ) دفاع عن الشريعة للاستاذ علال الفاسي .


**فاس : احمد البورقادي**

## من قصائد العدد الممتاز

- تحية ووفاء ـــــــ عبد الكريم التواتي
- أرض المؤمنين ـــــــ أحمد عبد السلام البقالي
- عيد المفاخر ـــــــ محمد بن محمد العلمي

# حمل فرش في مروي الإمام ورش

-2-

د. التهامي الراجي الهاشمي

1 ـ الميـــم التــي للجمـــع :

هي الميم الزائدة الدالة على جمع المذكوريــن حقيقة او تنزيـلا (1) .

هي ميم زائدة حقيقة ، زيدت لتدل على الجمع. وارجو ان يخرج القارىء الكريم الميم الاصلية كالتي توجد في « تكلم » و « يعلم » .

وقد تدل على الجمع حقيقة ، كما في قوله تعالى : « افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ، فلا تكونن من الممترين » (2) .

كما قد تدل على جمع المذكورين تنزيلا . كما في العبارة : « وملائهم » (3) ، في الآية الكريمـــة . « فما ءامن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم ، وان فرعـــون لعـــال في الارض ، وانه لمن المسرفين » (4) .

ولا تكون هذه الميم الزائدة الا بعـــد حروف اربعة ؛ لا تكون مع ثلاثتهم الا مضمومـــة . وهـــذه الثلاثة هي : الهمزة والتاء والكاف .

ــ مثال الهمزة : « هاؤم » في قوله تعالى : « فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقـــرؤوا كتابيـــه » (5) .

ــ مثال التاء : انتم ، اطلتم . الى آخره .

ــ مثال الكاف : انفسكم ، رسلكم ، لكم ، الـــى آخـــره .

اما الحرف الذي تكون معه مضمومة او مكسورة، فهي الهـــاء .

تكون الميم عند ورش مكسورة ان تقدم الهـــاء كسرة او ياء ساكنـــة .

2 ـ قضية الهاء المصاحبة للميـــم :

وهذه الهاء التي ترد قبل ميم الجمع ، اما ان تكون بعد كسرة ، او ياء ساكنة او حرف آخر غيرهما

فاذا كان بعد الهاء شيء ، لا هو كسر ، ولا هو ياء ساكنة ، لم يكن في الهاء الا الضم .

قال ابو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون : « واما الهاء فانها تقع على ضربين : احدهما ان يليها من قبلها كسرة ، والآخر ان يليها من قبلها ياء ساكنة.

(1) انظر الدرر اللوامع ، صفحة 34 البيت 43 وشرحها النجوم الطوالع .
(2) الآية 114 من السورة السادسة : الانعـــام .
(3) حرصت على كتابتها على الشكل اعلاه ، راجيا ان اخصص لها ولمثيلاتها بحثا مستقلا .
(4) الآية 83 من السورة العاشرة يونس . ( قارن بالآية 32 من السورة 28 القصص ) .
(5) الآيـــة 19 من الســورة 69 الحاقة .

فاما اذا لم يليها من قبلها كسرة ، فـلا خـلاف في ضمهـــا (6) .

مثال ذلك قوله تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب ومما رزقناهم ينفقون » (7) ، وليها هنا سكـــون ، فضمت ، وكقوله : « يخادعون الله والذين ءامنوا وما يشعرون » (9) . وليها سين مفتوحة ، فضمـــت . وكقوله : « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ، ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات (10) لا يبصرون » (11) وليها لام مضمومة ، فضمـــت ، الى آخـــره .

اما اذا كان قبل الهاء كسرة ، او ياء ساكنة ، فان ورشا ، وكثيرا من القراء غيـــره (12) يكسرون هذه الهاء . كقوله تعالى : « فيمـــا نقضهـــم (13) ميثاقهم (14) وكفرهم (13) بئايات الله وقتلهم (13) الانبئاء بغير حق وقولهم (13) : قلوبنا غلف ،، بـــل طبع الله عليها بكفرهـــم (13) ، فـــلا يومنـــون الا قليلا » (15) . كسرت الهاء ، لان ما قبلها مكسور . وكقوله تعالى : « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنـــه ، ويهديهم الى صراط مستقيم » (16) . وكقوله تعالى: « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » (17) كسرت الهاء لان ما قبلها ياء ساكنة .

يكسر ورش هذه الهاء ، مع من يكسر من القراء، لانه يستثقل الضمة على الهاء بعد الياء او الكسرة ، لذا ياتي بالكسرة لانها « من جنس الياء ، والهاء مؤاخية للياء ؛ لان الهاء تقع في موقـــع اليـــاء في بعـض القوافـــي » (18) .

قال الامام ابن خالويه : « فالحجـــة لمن كسر الهاء : انها لما جاورت الياء كره الخروج من كسر الى ضم ، لان ذلك مما تستثقله العرب ، وتتجافاه في اسمائهـــا » (19) .

وطبعا لا نريد بالكسرة ، الكسرة التي في آخر الكلمة أو بالياء الساكنة ، الياء التي في آخر الكلمة تليها هاء ثم ميم الجمع . فاذا كانت الكسرة او الياء في آخر الكلمة والهاء في أول الكلمة بعدها لا يجوز الا الضم ؛ لان أصل الهاء التي تليها ميم الجمع الضم؛ فلذا تترك على أصلها . كقوله تعالـــى : « بلى مـــن كسب سيئة واحاطت به خطيئاته فأولئك اصحـــاب

---

(6) التذكرة في القراءات عن الائمة القـــراء ، اللوحة 45 ، ابتداء من السطر 11 .
(7) الآية 3 من السورة الثانية ، البقرة .
(8) تكتب ، حيث وقعت في القرءان ، بما يسمى عندنا ، نحن المغاربة بالحذف ، وفي رسم الدوري بخلاف بسيط فيه ، سأتحدث عنه في فرصة قادمـــة .
(9) الآية 9 من السورة الثانية ، البقرة .
(10) بالحذف أيضا حسب اصطلاح المغاربة .
(11) الآية 17 من السورة الثانية ، البقرة .
(12) كأبي عمرو وعاصم وابن عامر والكسائي ؛ لكن هؤلاء القراء كانوا يسكنون الميم ، فاذا لقي الميم حرف ساكن ، اختلفوا ، فكان عاصم ونافع وابن كثير وابن عامر يمضون على كسر الهاء ويضمون الميم اذا لقيها ساكن ، مثل قوله : « عليهـــم الذلة ( البقرة الآية 1 ) . ومن دونهـــم امراتيـــن ( القصص 32 ) . يقرؤونها بكسر الهاء وضم الميم ، ( انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ، صفحة 109 ابتداء من السطـــر الرابـــع ) .
(13) كسر ما قبل الهاء في هذه الالفاظ ، فكسرت الهاء تبعا لذلـــك .
(14) بالحذف ، اي بالف مرشوقة فوق السطر لا تفصل بين الثاء والقاف .
(15) الآية 155 السورة الرابعة ، النساء .
(16) الآية 16 السورة الخامسة ، المائدة .
(17) الآية 23 ، السورة الخامسة ، المائدة .
(18) كتاب السبعة في القراءات السبع لابن مجاهد ، صفحة 109 آخر الصفحة .
(19) الحجة في القراءات السبع ، صفحة 39 ، السطـــر 6 .

النار هم فيها خالدون » (20) . وفي الآية بعدها « أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (21) ولا بد ، ليكسر ورش الهاء من أن تكون الياء التي قبلها ساكنة ، اما اذا كانت مفتوحة أو مضمومة ، فلا .

لذا بقيت مضمومة في قوله « ايديهم » في الآية « يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمت (22) الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم ، واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المومنون » (23) .

قرأ ورش هذه الهاء بالضم رغم ان قبلها ياء ، لسبب بسيط ، وهو ان الياء مفتوحة ، وليست مكسورة . ومعلوم أن هذه الفتحة تمنح الياء قوة تبعدها عن صوت الكسر ، فلا يكون هناك داع « للمؤاخاة » ، فتبقى الهاء على اصلها ، وهو الضم ، كما لا يخفى .

كما قرأ ورش هذه الهاء مضمومة ان وليتها ياء مضمومة . والضم ، كما هو معلوم اقوى من الفتح ، ولذا تكتسب الياء معه قوة أعظم ؛ الامر الذي يبعدها اكثر عن تسبيبها الكسر . فلم يبق ، والحالة هذه ، اي داع « للمؤاخاة » ولا للمجانسة الصوتية . مثال هذه الهاء قوله تعالى : « لهم دار السلام عند ربهم ، وهو وليهم بما كانوا يعملون » (24) .

### 3 ـ كيف كان يقرأ ورش هذه الميم ؟ :

يقرأ ورش بضم الميم عند لقائها الهمزة لا غير . نحو قوله : « « آنذرتهم ام تنذرهم » (25) و « آنتم اعلم أم الله » (26) و « عليكم انفسكم » (27) . وشبهه .

قال الداني : « وورش يضمها ويصلها مع الهمزة فقط » (28) .

وكان رحمه الله بضم هذه الميم مع الساكن في حال الوصل كقوله تعالى : « عليكم القتال » (29) و « عليهم الذلة » (30) و « انتم الاعلون » (31) وشبهه . وهي عنده ساكنة في الوقف .

قال ابن مجاهد (32) : « وقال ورش : الهاء مكسورة ، والميم موقوفة (33) الا أن تلقاها الف

---

(20) الآية 81 ، السورة الثانية ، البقرة .
(21) الآية 82 ، البقرة ، السورة الثانية .
(22) هذه الياء مبسوطة هنا ( مطلوقة كما يقول المغاربة الذين يهتمون اكثر من غيرهم برسم القرءان ) وهذا البسط متفق عليه كما اتفقوا على كتابة « نعمت » مبسوطة أيضا في الآية : « واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن ، فأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضررا لتعتدوا ؛ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا ءايات الله هزوًا . واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به . واتقوا الله ، واعلموا ان الله بكل شيء عليم » الآية 231 ، السورة 5 ، المائدة . في حين انهم اتفقوا على رسم « نعمة » بالهاء في قوله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ، اذ قلتم سمعنا واطعنا ، واتقوا الله ، ان الله عليم بذات الصدور » الآية 7 من السورة الخامسة ، المائدة .
(23) الآية 11 ، السورة 5 ، المائدة .
(24) الآية 127 ، السورة الخامسة ، المائدة .
(25) الآية 6 من السورة الثانية ، البقرة .
(26) الآية 140 من السورة الثانية ، البقرة .
(27) الآية 105 من السورة الخامسة ، المائدة .
(28) التيسير ، صفحة 19 ، السطر الرابع .
(29) الآية 216 من السورة الثانية ، البقرة ، وقد كررت في نفس السورة الآية 246 .
(30) الآية 31 من السورة الثانية ، البقرة ، والآية 112 من السورة الثالثة آل عمران .
(31) 139 من السورة الثالثة ، آل عمران و 35 من السورة 47 محمد .
(32) كتاب السبعة ، صفحة 108 .
(33) يعني يوقف عليها ؛ فهي اذن ساكنة تبعا لقاعدة الامام ورش في الوقف .

اصلية ، فاذا لقيتها الف اصلية وصل الميم بواو فى الوصل مثل قوله : « سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يومنون » .

والى هذا اشار الشيخ أبو الحسن على الرباطي المعروف بابن برى . فقال (34) :

القول فى الخلاف فى ميم الجميع
مقرب المعنى مهذب بديع

وصل ورش ضم ميم الجمع
اذا أتت من قبل همز القطع

ثم قال : (35)

واتفقا (36) فى ضمها فى الوصل
اذا أتت من قبل همز الوصل

وكلهم يقف بالاسكان (37)
وفى الاشارة (38) لهم قولان (39)

وتركها اظهر فى القياس
وهو الذي ارتضاه جل الناس

### 4 ـ الهمزة المفردة :

تاتي الهمزة المفردة فى القرءان الكريم ، اما ساكنة ، واما متحركة . وتقع فى المواقع الثلاثة من الدال (40) ، تقع فاء و عينا ولاما .

اما الهمزة الساكنة فتاتي ، عادة ، على ثلاثة اشكال ، بالنظر الى حركة ما قبلها .

1 ـ قبل ضمة ، وتكتب على هذه الصورة : ـؤ (41)
2 ـ قبل فتحة ، وتكتب على هذه الصورة : ـأ
3 ـ قبل كسرة ، وتكتب على هذه الصورة : ـئ

**امثلة رقم 1** : تؤمنون ، لؤلؤ ، يسؤكم ، يؤتي ، رؤيا ، مؤتفكة ، و « فاصدع بما تؤمر ، واعرض عن المشركين » (42) .

---

(34) الدرر اللوامع ، البيتين 44 و 45 .
(35) نفس الارجوزة ، الابيات 46 ، 47 و 48 .
(36) يقصد ورشا وقالونا راويي الامام نافع .
(37) يقصد هنا بكلهم كل القراء السبعة نافع وغيره ، لان اصل الوقف عند جميعهم بالاسكان .
(38) يقصد بقوله « بالاشارة » ان كل قارىء ضم ميم الجمع قبل متحرك فى الوصل جاز له الاشارة الى هذا الوقف بالروم والاشمام .
(39) اما الذي اجاز الاشارة الى الوقف بالروم والاشمام فهو الامام ابى محمد مكي وهو حين يفصل هذا يقيس ميم الجمع على هاء الضمير . ومعلوم عندنا ان هاء الضمير من قوله « تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ( الآية 91 من السورة 6 الانعام ) مثلا تشترك مع ميم الجمع فى زيادة الصلة بالواو فى حالة وصل القارىء الكلام وتسقط حين يقف القارىء عليها . فاذا لم تكن هناك حركة فى الوصل فانهم اتفقوا على منع الاشارة .
واما الذي منع الاشارة الى الوقف بالروم والاشمام ، فهو الامام الداني رد على الامام أبى محمد مكي وبالغ فى انكار قوله . وهو يمنع هذه الاشارة مقيسا ميم الجمع على ذال يومئذ اذ انهى اشتركا معا فى عروض الحركة . ذلك ان حركة ميم الجمع انما جيىء بها للتوصل الى الصلة بالواو زيادة فى الجمع كما زيدت الالف فى التثنية كما جيىء بحركة ذال يومئذ للتوصل الى زوال التقاء الساكنين ( سكون الذال وسكون التنوين ) . ومع هذا التشابه الموجود بين ميم الجمع وحركة ذال يومئذ فانه لم يخطر ببال أحد الاشارة الى حركة ذال يومئذ ، وكما انه لا يشار الى هذه الحركة فلا يحسن ان يشار الى حركة ميم الجمع .
(40) اقصد بالدال Signifiant ولقد فضلته على ما يسميه النحاة تارة « شخصا » وأخرى « اسما »
(41) ما عدا اذا كانت فى اول الكلمة ، والحرف الاخير من الكلمة التي قبلها مضموما . مثل « ويقول ايذن لي » فتكتب طبعا على الالف .
(42) الآية 94 من السورة 15 الحجر .

**امثلة رقم 2 : واتوا ، وامر اهلك ، اقرا ، ماوى ، فاتوهن ، فاذنوا ، الى اخره .**

**امثلة رقم 3 :** رئيا ، جئت ، بئس ، ونبىء ، والــذي أئتمــن .

**5 ـ قراءة ورش لهذه الهمزة الساكنة :**

**أولا الهمزة الواقعة فاء**

سيظهر غريبا ان نقول ان الهمزة ساكنة وقعت في فاء الكلمة ، مع العلم ان العرب لا تبتدىء بساكن . فكيف يكون الحرف الاول في الكلمة ساكنا ويتأتى النطـــق بهــا ؟

الحقيقة ان فاء الكلمة همزة دخل عليها حرف يحتم دخوله تسكين فاء الكلمة . مثال ذلك حــرف المضارعة الذي حين يدخل على الفعل المهموز الاول يجعل الكلمة على وزن يفعل بسكون فاء الفعل .

تاتي هذه الهمزة الساكنة ، اما بعد

ا ـ غيــر الهمـــزة .
ب ـ الهمـــــــزة .

**ا ـ الهمزة الساكنة الواقعة بعد غير الهمزة :**

تهمنا الآن الهمزة الواقعة فاء الكلمة ، وتكــون ساكنة ، فاذا كانت غير ساكنة ، بمعنى انه لم يسبقها اي حرف ، فانها تكتب على الالف ، ويقراهــا ورش همزة صريحة ، وهي بهذا لا تدخل في هذه الحالة ، في هذه اللحظة في ميدان اهتماماتنا .

يبدل ورش هذه الهمزة ، ان وقعت بعد الفتح ، مدا مفتوحا ، وان وقعت بعد الضم مدا مضموما ، سواء كان ذلك في الاسماء او الافعال . وهكذا يبدل ورش الهمزة الفا اثر الفتح وواوا اثر الضم .

**ـــ امثلة بالنسبة للتي وقعت بعد الفتح :**

قوله تعالى : « الله لا اله الا هو ، الحي القيوم ، لا تاخذه (43) سنة ولا نوم ، له ما في الســماوات وما في الارض . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السماوات والارض . ولا يؤده حفظهما ، وهو العلي العظيم » (44) .
وعلى هذا يقاس « فاتوهن » ، « فاذنــوا » و « آتوا » و « وامر اهلك » الى آخره .

**ـــ امثلة للتي وقعت بعد الضـــم :**

جاءت في قوله تعالى : « والموتفكة اهوى »(45) وفي قوله جل علاه : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة (46) الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيــه اجــرا عظيما » (47) وغيرهما كثير .

**ـــ امثلة للتي وقعت بعد الكسر :**

ليس في القرءان همزة ساكنة اثر كسرة بعــد غير الهمز في كلمة واحدة ، ولكنها توجد بعد كسرة حرف الكلمة التي قبلها ، كما في قوله تعالــى : « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان (48) مقبوضة ، فان امن بعضكم بعضا فليؤد (49) الــذي

(43) يقرا ورش بعد مفتوح كل ما تصرف من هذه المادة في المضارع حيث وقع القرءان الكريم . مثل « تاخذ » في طه ، الآية 94 و « تاخذوا » في البقرة ، الآية 229 و « تاخذكم » في سورة النور ، الآية 2 . و « تاخذهم » في سورة جس ، الآية 49 . و « تاخذوا » في سورة النساء ، الآية 20 . و « تاخذونه » في نفس السورة ايضــا ، الآية 20 و 21 . و « تاخذونها » في سورة الفتـــح ، الآية 20 . و « لتاخذوا » في نفس السورة ايضا ، الآية 15 وغيرها كثير .
(44) الآية 255 من السورة الثانية ، البقرة .
(45) الآية 53 من الســورة 53 ، النجــم .
(46) تكتب في مصحف الامام بالواو وهكذا « الحيوة » .
(47) الآية 74 من السورة الرابعــة ، النساء .
(48) كتبت حذفا باصطلاحنــا .
(49) تكتب همزة « فليود » في رسمنا نقطة فوقها فتحة على الواو .

اوتمن امانته (48) . وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم » (50) . وكقوله تعالى : « واذ نادى ربك موسى ان ايت القوم الظالمين » (51) .

يقول الشيخ ابراهيم المارغني وهو يشرح بيت الدرر اللوامع :

ابدل ورش كل فاء سكنت
وبعد همز للجميع ابدلت

« ... فيبدلها الفا بعد الفتح نحو « الى الهدى ائتنا » و « لقاءنا ائت » . وتحذف الالف التي قبلها لالتقاء الساكنين ويبدلها واوا بعد الضم نحو « يا صالح ائتنا » و « الا ان قالوا ائتنا » وان كانت صورة الهمزة في الخط ياء في القسمين ، ويبدلها ياء بعد الكسر ، سواء كان الكسر لازما ام عارضا ، وسواء صورت في الخط واوا او ياء ، نحو : « الذي اؤتمن » (52) و « ان ائت » (53) . وتحذف الياء من « الذي » لالتقاء الساكنين » (54) .

6 ــ **مخالفة ورش لقاعدته :**

تلك القاعدة هي التي ذكرتها قبل قليل ، وهي ابدال كل همزة ساكنة واردة في فاء الكلمة مدا من جنس الحركة التي قبلها .

خالف ورش قاعدته فحقق كل ما تصرف من الايواء (55) ، لقد وردت منها في القرءان الكريم سبعة الفاظ هي :

1 ــ **المأوى** : ورد في قوله تعالى : « اما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون » (56) .
وفي قوله تعالى : « عندها جنة المأوى » (57) .
وفي قوله عز وجل : « فان الجحيم هي المأوى » (58) . واخيرا في قوله عز من قائل : « فان الجنة هي المأوى » (59) .

2 ــ **مأواه** (60) : وردت في القرآن الكريم بهذه الصيغة ثلاث مرات ، حققها جميعها الامام ورش خلافا لقاعدته . والاماكن التي وردت فيها هي :
1 ــ في آل عمران ، في قوله تعالى : « افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (61) .
2 ــ في المائدة ، في قوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم . انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من انصار»(62)
3 ــ في الانفال ، في قوله تعالى : « ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا

---

(50) الآية 283 ، السورة الثانية ، البقرة .
(51) الآية 10 ، السورة 26 ، الشعراء 8
(52) الآية 283 ، السورة الثانية ، البقرة .
(53) انظر الحاشية رقم 51 .
(54) النجوم الطوالع ، صفحة 82 .
(55) لم ترد هذه الصيغة هكذا في القرءان « الايواء » .
(56) الآية 19 من السورة 32 ، السجدة .
(57) الآية 15 من السورة 53 ، النجم .
(58) الآية 39 من السورة 79 ، النازعات .
(59) نفس السورة اعلاه ، الآية 41 .
(60) كتبت « مأواه » بالامالة الشديدة ، الكسر ؛ اي انقلب الالف ياء . نسمي هذا في اصطلاحنا « منقلبة » وتكتب الواو بـ « تعويضة » ، وهي في اصطلاح المغاربة نقطة كبيرة شيئا ما توقع تحت الحرف الممدود بالفتح الممال الى الكسر ، وفي هذه الحالة ، اي في حالة وجود التعويضة لا تثبت الفتحة على الحرف ، وانما توضع عليه العلامة المعروفة عند المغاربة بـ « الحذف »
(61) الآية 162 ، السورة الثالثة .
(62) الآية 72 من السورة الخامسة .

الى فئة فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم، وبيس المصير » (63) .

3 ـ **ماواهم** (64) : وردت هذه المفردة فى القرءان الكريم وقراها ورش بالتحقيق تسـع مرات . قال تعالى فى آل عمران (65) : « سنلقي فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وماواهم النار وبئس مثـوى الظالميـن » (66) .

4 ـ **ماواكم** : وردت بهذا الضمير ، وقراها ورش بالتحقيق فى ثلاثة مواضيع من القرءان الكريم :

1 ـ فى قوله تعالى : « وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماواكم النار وما لكم من ناصريـن » (67) .

2 ـ وفى قوله تعالى : « فاليوم لا يوخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هـي موليكم وبيس المصير » (68) .

3 ـ فى قوله تعالى : « وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة (69) الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين » (70) .

5 ـ **فـاووا** : يحققها ورش مخالفا بذلك قاعدتـه الاصلية . توجد هذه اللفظة فى قوله تعالى : « واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من امركم مرفقـا » (71) .

6 ـ **تؤويه** : وردت فى قوله تعالى : وفصيلته التي تؤويـه » (72) .

7 ـ **تؤوي** : (73) وردت فى قوله تعالى : « ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء . ومـن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك . ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما ءاتيتهن كلهن . والله يعلم ما فى قلوبكم . وكان اللـه عليما حليمـا » (74) .

قال ابن بري (75) معللا هذا التحقيق الـذي ذهب اليه الامام ورش ، فقال : (76)

وحقق الايوا لما تدريـه
من يقل البـدل فى تؤويـه

---

(63) الآيـة 16 من السورة الثامنـة .
(64) كتبت هذه ايضا « منقلبة على الياء » ، كما نقول نحن فى المغرب ، وبتعويضة .
(65) كما وردت فى نفس السورة فى الآية 197 وفى الآية 97 من السورة الرابعة ، النساء ، وفى 121 من نفس السورة ، وفى السورة 83 التوبة ، الآية 9 ، وفى السورة 9 ، التوبة ، الآية 95 ، وفى السورة العاشرة ، الآية 8 ، وفى السورة الثالثة عشرة ، الآية 18 ، وفى السورة السابعة عشرة ، الآيـة 97 .
(66) الآيـة 151 .
(67) الآيـة 34 من السورة 45 ، الجاثيـة .
(68) الآيـة 15 من السورة 57 الحديد .
(69) انظـر الحاشيـة رقـم 46 .
(70) الآيـة 25 من السورة 29 ، العنكبوت .
(71) الآية 15 من السورة الثامنة عشرة ، الكهف.
(72) الآيـة 13 من السورة 70 ، المعارج .
(73) تكتب الهمزة هنا على السطر ، خلافا للقاعدة النحويـة .
(74) الآيـة 51 من السورة 33 ، الاحـزاب .
(75) قال ذلك فى ارجوزته الدرر اللوامع فى مقرا الامام نافـع .
(76) البيـت 108 من الارجوزة المذكـورة .

يقصد ابن بري بقولـــه :

※ من ثقل البـــدل في تؤويـــه ※

أن ورشا لو اتبع قاعدته في « تؤويه » ، لادى به ذلك الى ابدال الهمزة واوا كما يقتضيه مذهبه . وحينئذ يجتمع واوان ؛ الاولى مبدلة من همزة ، وهي ساكنة ، كما هو معلـــوم . والثانيـــة متحركـــة .

**واجتماع واوين ، بهذا الشكل اثقل من تحقيق الهمز على كـــل حـــال .**

وبما انه حقق كلمتين من هذه المادة ، همـــا « تؤويه » و « تؤوي » لم يرد أن يعود الى أصله فيما بقي منها من الفاظ ، ان طبق فيها البدل لا يجتمـــع واوان ، مفضلا اتباع رواية التحقيـــق في المـــادة باكملها ليتم له الانسجام الذي يسعى اليه الامام ورش رضي الله عنه كعادته .

**الرباط : د. التهامي الراجي الهاشمي**


## إلى راغبي الاشتراك

وقع تغيير في قيمة الاشتراك في مجلة « دعوة الحق » ، ننبـــه اليـــه فيما يلـــي :

● **الاشتـــراك داخل المغرب :**

— ثمـــن الاشتـــراك .......... 60،00 درهمـــا
— تكاليـــف الارسال .......... 5،00 دراهـــم
— **مجموع واجب الاشتراك ........ 65،00 درهمـــا**

● **الاشتـــراك خارج المغرب :**

— ثمـــن الاشتـــراك .......... 60،00 درهمـــا
— تكاليـــف الارسال .......... 10،00 دراهـــم
— **مجموع واجب الاشتراك ........ 70،00 درهمـــا**

● **الاشتـــراك الشرفـــي :**

— 100 درهـــم فاكثـــر .

# التوعية التاريخية

للأستاذ محمد حماري العزيز

موضوع التوعية التاريخية القاعدية موضوع مهم جدا لانه يهتم بتوعية المواطنين توعية تاريخية شاملة ليصبح كل مواطن فى كل مكان من التراب الوطني واعيا الوعي الحق بالتاريخ الوطني ، عارفا بأحداثه ، ملما بحقائق اهدافها ، مدركا نتائجها وابعادها ، متعظا بما تقدمه من عظات ، فاهما كيف يستفيد مما يستنتجه منها من خلاصات سلوكية ، وتوجيهية وريادية ، وتنظيمية ، وادارية ذكية أريبة فى اعماله ومشاريعه وتجاوباته التي ينوي ، او يستهدف ، انجازها فى الحاضر تمهيدا لبلوغ مطامح محددة فى المستقبل .

والغاية منه تدعيم الايمان الوطني عند كل مواطن بالمقدسات الوطنية ، وبوحدة التراب الوطني ، وتأكيد التمسك بكل مكان فيه ، والدفاع عنه ، والمطالبة به عندما يقع ضحية احتلال او استعمار او عندما يكون فريسة تحايل اجنبي ، والعمل بشتى الوسائل لاسترجاعه الى حظيرة الوطن لتشمله السيادة الوطنية من جديد مهما طال امد ذلك الاحتلال او ذلك الاستعمار او ذلك التحايل .

وهو موضوع يستقي أهميته من صفته القاعدية، ومن شموليته لكل مواطن فى كل مكان من التراب الوطني .

واذا تمعنا فى ابعاده نجده يرتبط بمواضيع اخرى مهمة ايضا مثل موضوع رفع المستوى التعليمي للمواطنين ، وموضوع اجبارية التعليمين الابتدائي والثانوي وتعميمها ، وموضوع اعتبار نهاية التعليم الثانوي ( الباكلوريا ) اساسا لتكوين وعي وطني وسط واق وقابل للارتقاء .

حقا ان التاريخ الوطني يدرس فى المؤسسات التعليمية والثقافية ، هذا صحيح ، ولكن هذا التدريس وحده فى المؤسسات المذكورة لا يكفي لتكوين وعي حقيقي عند المواطنين الذين لم تتح لهم فرص الالتحاق بقاعات الدروس للتعليم والذين ما يزالون اميين او الذين يعدون كالاميين .

ان العمل الحضاري الوطني يتطلب الوعي بالتاريخ الوطني فى جميع عصوره لكي يؤمن تسلسله الاستمراري ، ويدعمه وفق المعطيات الكيانية الوطنية .

ولكي نفهم اهمية التوعية القاعدية نفترض حالة فقدان الوعي بالتاريخ الوطني ، او غيابه فى فترة زمانية ما ونتساءل عما قد يمكن أن يحدث اثناءها ؟

لا شك ان فقدان الوعي بالتاريخ الوطني ، او غيابه ، فى فترة زمانية ما فى كل مكان من التراب الوطني ، أو فى بعض منها ، قد يؤدي الى عواقب وخيمة جدا ، قد تلحق بالوطن وبعمله الحضاري اضرارا بالغة ، وقد تعرقل تواصل تسلسله الاستمراري ، وقد تعوق تقدمه ، وقد توجهه وجهة حضارية ثانية مخالفة لوجهة مسيره الاصلية .

ومهما كانت ظروف التخلف والجهل والفوضى وعدم الاستقرار والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الاخرى التي يمكن أن تعمل عملها فتسبب ضعفا بالوعي بالتاريخ الوطني فان فقدانه ، او غيابه ، بصفة تامة غير ممكن اطلاقا لان استمرار وجود القمة باطرها الفوقية والقاعدية بالاضافة الى وجود النخبة المثقفة الواعية يضمن تواصله الاستمراري .

وتؤكد الاحداث التاريخية أن الواعين من المواطنين بالتاريخ الوطني هم الذين يتصدون للتحديات ، ويصمدون فى وجه التهديدات والاعتداءات التي يتعرض لها الوطن ، ويهبون للدفاع عنه ومقاومة المعتدين ، ولكن جهودهم كقمة او كنخبة وحدها لا تكفي فلا بد من تظافر جهود القاعدة الوطنية كلها التي يجب أن تتعاون معهما وتشاركهما فى تحمل اعباء الحفاظ على الكيان الوطني ، وتأمين سلامته وبقائه ، وضمان استمرار سيادته وتواصل وجوده وتاريخه .

فالوعي بالتاريخ الوطني واحداثه ضروري جدا للمواطنة الملتزمة الايجابية النضالية التي ينبغي ان يتصف بها كل مواطن ، ويمارس مسؤولياتها ممارسة واعية حتى يستطيع الاسهام بجهوده فى العمل الحضاري الايجابي .

وتعبير العمل الحضري الوطني يشمل جميع الوان النشاطات التي يمارسها المواطنون قمة وقاعدة ، راسيا وافقيا ، فى الحياة اليومية سعيا لتأمين المصالح الوطنية المتنوعة والمتعددة ، وهو يقتضي تعبئة جميع الطاقات ، وتجنيد كل الجهود لتحقيق منجزات معينة فى فترات زمانية محددة قصد الارتفاع بالمستويات الحياتية الى مستوى افضل وأرقى ، ولذلك فهو يعتمد على التوعية التاريخية القاعدية كوسيلة غائية يستفيد منها فى تكوين رأي وطني عام ، موحد ومتماسك ، يتسامى فوق الخصوصيات ويتجاوزها فى استهدافاته الى الارتقاء الى مستويات اهدافه المحددة .

ويستمر مقصد الارتفاع بالمستويات الحياتية الى مستوى افضل وارقى الهدف الاساسي الدائم فى كل زمان .

ومهما تكن الصعوبات والعراقيل فانه هدف نبيل ينبغي توخي انجازه وبلوغه بوضع ما يلزم من تخطيطات وتصميمات وبرامج .

ويترتب على تحقيق الارتفاع الى مستويات حياتية لائقة تلائم روح العصر ، وتواكب المستويات الحياتية المعاصرة تحقيق توعية تاريخية قاعدية راقية بالتاريخ الوطني الامر الذي يجعل مردود العمل الحضاري الوطني أكثر نماء وتزايدا ، وأوفر فعالية وايجابية .

وبقدر ما يتسع الوعي بالتاريخ الوطني فى المستويات الحياتية المرتفعة يميل الى التقلص فى المستويات الحياتية الواطئة الى ان يصل الى التلاشي او يكاد فى حالات خاصة .

وتدل الفقرة السابقة دلالة واضحة اكيدة على وجوب توسيع نطاق العمل الحضاري الوطني كي يشمل كل مواطن فى كل مكان من التراب الوطني لتحقيق الارتفاع بجميع المستويات الحياتية الى المستوى الحياتي الوسط المقصود .

انه لا يمكن تدعيم وحدة بشرية من المواطنين تدعيما متماسكا فى التراب الوطني ما لم تكن التوعية التاريخية القاعدية جرى مفعولها فى فكر كل مواطن ليغدو شاعرا بروح الوطن تسري فيه وتختلج فى وجدانه من خلال وعيه بقيم احداث تاريخ وطنه ، وليحس بالتالي بروح الامة تجيش فى اعماقه جيشانا حيا نشيطا توجهه بتوجيهاتها ، وتدعوه بدعواتها النضالية ليكون مواطنا فاضلا عاملا يسعى بجد واخلاص ومثابرة بجهوده الذاتية ليسهم بحصته الوافية فى العمل الحضاري الوطني متوخيا الارتفاع بالمستويات الحياتية الى المستوى الافضل والارقى.

ان روح الامة هي الاسمنت الذي يرص المواطنين جميعا رصا متينا يجعلهم يقومون قومة رجل واحد ، ويهبون هبة واحدة ، ويتحركون تحركا موحدا ، ويتجهون بتوجيه واحد لبلوغ ما يريدون ، وانجاز ما يستهدفون من أهداف وغايات ، وادراك ما يطمحون اليه من مطامح .

وما تنفك روح الامة تعد الغاية العليا للعمل الحضاري الوطني فى كل عصر من العصور ، والتي من اجلها يستهدف تحقيق الارتفاع بالمستويات الحياتية الى المستوى الافضل والارقى كي تتجلى فى ابهى رونقها ، وتضفي على الوطن هالة ناصعة من المجد .

لذا ينبغي ان تستهدف التوعية التاريخية القاعدية اثارة اهتمام المواطنين ، ولفت انتباههم الى

اهمية البحث فى الاسباب التــي ادت الى وقــوع الاحداث ، وتحليلها ، ونقدها نقدا موضوعيا للتوصل الى معرفة كل ما يتعلق بها من صــواب واخطــاء للاستفادة منها فى شتى الاغراض العلمية والعملية ، وللاهتداء بنورها فى الاعمال والمشاريع الحاضــرة والمقبلــة .

وان توخى جعل عقل المواطن يهتــم بتحليــل الاحداث التاريخية يعتبر هدفا مهما جدا لانه يتمكن على ضوئه من اقامة تراكيب متينة لاعمال عظيمة .

والتحليل والتركيب يرتبط احدهمــا بالآخــر ارتباطا وثيقا ، فالتحليل الجيد يؤدي الى التركيــب الجيــــد .

وما ينطبق على الاحداث اثناء التوعية التاريخية القاعدية يمكن ان ينطبق على ســائــر النشاطــات الحياتية ، وهكذا يكون المواطن قد تزود بمنهج علمي يستفيد منه يوميا استفادة اساسية نافعة .

ويمكن استخدام جميع الوسائــل المتيســرة والممكنة والمبتكرة فى التوعية التاريخية القاعديــة لايصال الوعي بالتاريخ الوطني الى جميع المواطنين ؛ فبالاضافة الى الوسائل والاساليب المدرسية المتبعة فى المؤسسـات التعليمية والثقافية والتي تعتمد على المناهج والمقررات والكتب توجد وسائل الاعــلام السمعية والبصرية والامكانات الكبيــرة للصحافــة المكتوبة من مجلات وجرائد ومنشورات ودوريات الى جانب الدروس التي تعطى فى المساجد ، والجمعيات، والمجامع ، والمحاضرات التي تلقى فى النــوادي ، والقاعات ، والافلام الوثائقية وغيرها .. وهي وسائل لها ثقلها الذي يؤهلها للاضطلاع بمسؤولياتها فى هذا الموضوع على صعيد قاعدي شامل .

ويجب ان تكون الغاية من التوعية التاريخيــة القاعدية جعل المواطن مناضلا يشعــر بالنضــال وبأهميته ، وقيمته ، وضرورته فى الحيــاة ، وبقدر دوره فى النجاح فى الاعمال والمشاريع لربطه بجميع المواطنين ، وبالغائية الوطنية بواسطة روح الامــة واحساسه بها .

ان المواطن لا يمكن أن يكون « شيئا مذكورا » ، له قيمته الانسانية الايجابية الواعية ، وذا تدخلات فعالة ومردودات ثمينة اذا لم يشعر بمواطنته النضالية، ولم يع دوره كمناضل فى اطار الغائية الوطنية الرائدة التي تحرك جميع المواطنين تحريكا موحدا يستجيب لمتطلبات روح الامة واهدافها وغاياتها ومطامحها .

ومما لا شك فيه ان المجهود الذي يبذله المواطن بروح نضالية يفوق المجهود الذي يبذله بسعى آخر وبدون اي شعور نضالي .

وطبقا لوجهة النظر المنطقية البحتة يجب ان يكون المواطن مناضلا ، ويشعر بروح نضالية سواء كان منتميا الى هيئة من الهيئات التي تناضل أم لـم يكن منتميا الى اى منها ؛ لانه منتم أصلا الى وطنه ، والى مواطنيه ، والى غائيته الوطنية .

وفى الظروف المصيرية يجد الوطن فى مثــل هذا المواطن المناضل الملتزم المسؤول الشاعــر بالروح النضالية خير مساهم فى الدفاع عنه ، وفى تحقيق ما يصبو اليه من اهداف ومرام ، ويعتمــد عليه اثناء التحديات والتصديات وفى الصمود عندما تقتضي المواقف الصمود لكسر شوكة الاعتداءات .

وهكذا يتضح فى ضوء التوعيــة التاريخيــة القاعدية ان تسييس المواطن تسييسا واعيا راقيــا يمر ، ويجب ان يمر ، بالوعي بالتاريخ الوطني ليشعر بروح الامة وبنضاليتها ، وبغائيتها ، وبمطامحهــا ، وبمصالحها ، وبآمالها واهدافها وغاياتهــا ، وليحس بآلامها وبكل ما يثقل كاهلها من اعباء ، وما يعــوق سبيلها من عراقل وصعاب .

فى تاريخنا الوطني جوانب مضيئــة مشعــة واخرى غير مضيئة وغير مشعة ، ومن واجب التوعية التاريخية القاعدية أن تهتم بهما اهتمامــا واحــدا متشابها دون اى فرق ، بل من واجبهــا ان تولــي عنايتها الزائدة لكل جانب غير مضيء ولا مشع وتحلله التحليل الوافي مثيرة انتباه المواطــن الى الاسباب التي منعته من ان يكون مضيئا ومشعا مثل الجوانب الاخرى المضيئة المشعة لتوجهه بالتالي الى الوسائل والاساليب التي كان ينبغي اتباعها لتلافي المصيــر الذي صارت اليه مذكرة بأن ما حدث فى الماضي قد يحدث فى الحاضر او المستقبــل ، ولذلــك فان معرفته تعد ضرورية لئلا يعاد ، أو يعود ، حدوثه !

ان الانتصارات تعتبر نهايــات سعيــدة سارة للاحداث التاريخية ، وثمارا شهية من ثمارها ، وهذه قضية مهمة جدا يجب تأكيدها بالتوعية التاريخيــة القاعدية كغاية فى كل خاتمة من خواتم دراستهــا للاحداث ، وتركيزها فى كل خلاصة من خلاصاتهــا

ليشعر المواطن بأهمية الروح النضالية ، وبقيمة العزم على بذل الجهود وتوحيدها فى كل عمل حضاري لتحقيق الانتصار الذي يعتز به ويفتخر فى كل حادث من الاحداث ؛ كي يؤمن به ويعمم على بلوغه ؛ لان الايمان بالانتصار والشوق اليه يؤديان دائما اليه .

ومثل الانتصار ، الفوز ، والنجاح ، والتوفيق ، والربح ، والكسب ، والصيت ، والشهرة ، والنفوذ ، وكل كلمة منها تعد فى ذاتها قيمة ينبغي ان يستهدف المواطن اكتسابها والاتصاف بها ليكلل بها جهوده فى كل عمل من الاعمال التي يقوم بأدائها او يساهم فيها .

وتتطلب تهيئة المواطن للارتفاع الى المستوى الحياتي الافضل والارقى اعداده معنويا وثقافيا ونضاليا واجتماعيا واقتصاديا ، وتحبيب الصفوف الاولى اليه لكي يجتهد فيبلغها .

وبهذا تقوم التوعية التاريخية القاعدية بمهمة الرائد الموجه مقدمة خدمات جليلة للريادة الوطنية .

ان التاريخ الوطني مسرح واقعي يبرز فعالية النضال الوطني الذي يمارسه المواطنون فى احداثه ممارسة بطولية حقيقية ، وهو بهذا مدرسة وطنية للنضال الوطني جدير بالتوعية التاريخية القاعدية ان تستفيد منه فى استلهام الدروس النضالية القيمة المفيدة وتلقنها للمواطن لكي يعيها ، ويعرفها معرفة يقينية راسخة .

وليس العمل الحضاري الوطني المتجلى فى شتى صوره الا مظهرا من مظاهر النضال الوطني فالتخطيطات والمشاريع والاستثمارات المتنوعة وغيرها تهدف كلها الى غاية واحدة هي تكوين قدرة وطنية تنفع فى احداث الازدهار والرفاه فى ربوع الوطن ، وتؤدى الى الارتفاع الى مستوى حياتي افضل وأرقى .

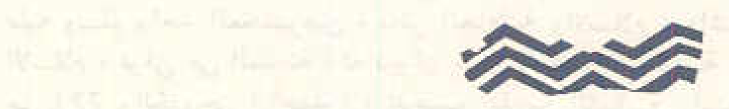
ولا بد أن يفهم المواطن انه بفضل كسبه الشخصي الخاص يستفيد العمل الحضاري الوطني استفادة شاملة يعم خيرها مجموع المواطنين ، ومن اجل هذا ينبغي له ان يضاعف جهده للحصول على مردود عملي وانتاجي جيد .

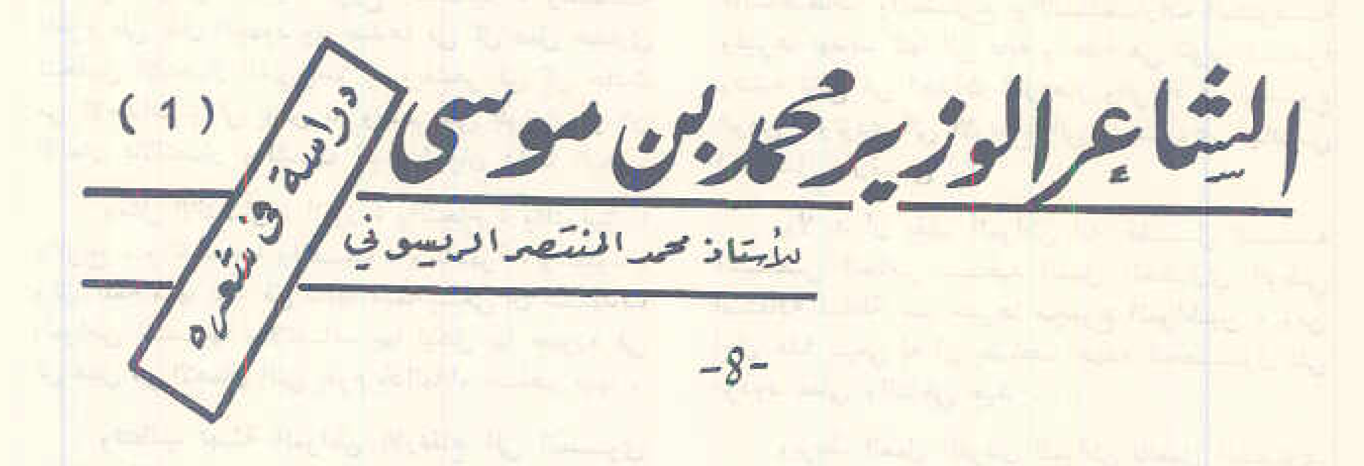
وبربط العمل الفردي للمواطن بالعمل الحضاري الوطني يصبح للجهد المبذول غاية ومعنى ، ويكرس بالتالي تكريسا خاصا وعاما لخدمة الحضارة الوطنية، ويضحي جهدا نضاليا مجندا فى اطار الصالح العام الوطني .

ومن خلال هذا الربط ينفسح المجال الى تكوين وعي حضاري قاعدي تضطلع التوعية التاريخية القاعدية بدور مهم فى ارساء أسسه وتدعيمه .

وعندما يعي المواطن ان عمله اليومي مرتبط بالعمل الحضاري الوطني يقدر قيمة جهوده ، ويحس بأهمية ما يعمله فيتقنه ويخلص فى ادائه ، واذ ذاك يتيقن أن ما يبذله انما يبذله لغاية ؛ وان يتأتى له هذا ما لم يلمس حقيقة روح الامة لمسا حقيقيا تملأ عليه جوانب أعماقه بفضل التوعية التاريخية القاعدية .

**الرباط : م. حمادي العزيز**






**مضامين شعر ابن موسى :**

وبعد هذا يحين لنا اللقاء مع شاعرنا فيما تضمنه عمله الشعري من اغراض وسنتناول ذلك حسب الترتيب التالي .

**اولا ـ المدح :**

يشغل المدح فى شعر ابن موسى مساحة شاسعة الاطراف ، ولا شك عندي ان ذلك يرجع اول ما يرجع الى ما كانت تمليه عليه تطلعاته المتعددة من رؤى حافلة بالاشواق منذ أن كان امينا بجمرك مدينة العرائش الى ان اصبح وزيرا للاوقاف فعضوا بالمجلس الخليفي .

والمدح عندم نوعان :

1 ـ مدح رسمي أو بلاطي

2 ـ مدح نبوي

اما الاول فهو ما نقع عليه عبر الادهار الادبية فى تاريخ الادب العربي متمثلا لدى النابغة الذبياني (1) وحسان (2) والاخطل (3) والمتنبي (4) وابن

---

(1) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري ( ... نحو 18 ق هـ ـ 604 م ) شاعر جاهلي من الطبقة الاولى من اهل الحجاز كانت تضرب له قبة بسوق عكاظ فيقصده الشعراء لعرض اشعارهم عليه كان ذا حظوة عند النعمان بن المنذر ، تغزل فى زوجته ( المتجردة ) فغضب عليه ففر منه قاصدا الغساسنة ثم رضي عنه النعمان فعادرهم اليه له ديوان شعر . انظر الاصفهاني ( أبو الفرج ) ( الاغاني ) ج 11 ص 3 طبعة الدار .

(2) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الانصاري( ... 54 هـ ـ 674 م ) شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المخضرمين ، عاش الجاهلية والاسلام ، واشتهر بمدائحه فى ملوك الحيرة قبل الاسلام ، توفي فى المدينة ، له ديوان شعر . انظر ابن قتيبة ( عبد الله ) ( الشعر والشعراء ) ج 1 ص 223 والخزرجي ( احمد ) ( تذهيب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ) ص 75 ـ المطبعة الكبرى الميرية ـــ ط. 1 ـ عام 1301 هـ.

(3) هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة من بني تغلب ( 19 ـ 90 هـ / 640 ـ 708 م ) شاعر اموي مسيحي اشتهر بمدح ملوك بني امية وهو احد الثلاثة المشهورين فى عصرهم جرير والفرزدق والاخطل ، كان يقيم بدمشق واحيانا فى الجزيرة حيث قبيلة بني تغلب . انظر ( الاغاني ) ج 8 ص 280 و ( الشعر والشعراء ) ج 1 ص 393 وما بعدها .

(4) مر التعريف به .

هانيء (5) الاندلسي الى البارودي (6) وشوقـــي (7) وحافـــظ (8) .

ولم يخرج ابن موسى ابدا عن المألوف من الصور والمعاني التي تعاور عليها شعراؤنا القدامى ، بـــل حبس نفسه في اقباء القوالب العتيقة لا يتعداها الى رحاب اخرى فسيحة ، ولنأخذ على سبيل المثـــال قصيدته التي يمتدح فيها الخليفة السلطاني بمناسبة زفافـــه .

استهل الشاعر قصيدته بالحديث عن الممدوح ومكانته ، ومجده الذي غرف من معينه الملوك ، فسر به الدهر ايما سرور ، وما ذلك الا لانه قام بأمر الله حتى امسى للعدل سطوة ومكانة ما بعدها من مكانة .

وهكذا استرسل في تعداد المناقب على مختلـــف أشكالها وانواعها :

من مجدك المجد في الاقيال (9) منقسم
ومن نهوضك وجه الدهـــر مبتسم

ومن مساعيك مد الامن قالصه (10)
للعدل الوية ترعى بها الحـــرم

ومن مساعيك مد الانم قالصة (10)
فما ثنى عطفه سهـــل ولا علـــم

ومن اياديك خاض الناس في رغـــد
بمشى الرعية جار منه ملتطـــم

---

(5) هو محمد بن هانيء بن محمد بن سعدون الازدي الاندلسي يتصل نسبه بالمهلـــب بن ابي صفـــوة ( 326 – 362 هـ / 938 – 973 م ) من شعراء الاندلس المشهورين ولد باشبيلية وحظي عنـــد صاحبها في شعره نزعة اسماعيلية واضحة ومتطرفة قصد مصر لاحقا بالمعز ، قتل غيلة وهو في طريقه اليها ، له ديوان شعر . انظر ابن خلكان ( احمد ) ( وفيات الاعيان ) ج 4 ص 49 وما بعدها ، وانظر ابن دحية ( عمر ) ( المطرب من أشعار أهل المغرب ) 192 تحقيق ابراهيم الابياري وآخرين– دار العلم للجميع ، وانظر من المحدثين الدكتور منير ناجي ( ابن هانيء الاندلسي درس ونقد ) – دار النشر للجامعيين – ط. 1 – 1962 .

(6) هو محمود سامي البارودي ( 1255 – 1322 هـ / 1839 – 1904 م ) اول من نهض بالشعر العربي من رقدته في العصر الحديث واحد القادة الشجعان ، جركسي الاصل تعلم بالمدرسة الحربية وسافر الى الاستانة فاتقن الفارسية والتركية تقلب فيمناصب مهمة وشارك في الحملتيـــن المصريتيـــن لمساعدة تركيا ، وكان في صفوف الثائريـــن في الثورة العرابية ، له ديوان شعر 0 انظر زيـــدان ( جرجي ) ( تاريخ آداب اللغة العربية ) ج 4 ص 588 – منشورات دار مكتبـــة الحياة – بيروت – 1967 وانظر الدسوقي ( عمر ) في الادب الحديث ج 1 ص 167 وما بعدها – ط . 8 – مطبعة الرسالة 1970 .

(7) هو احمد شوقي ( 1285 – 1351 هـ / 1868– 1932 م ) شاعر حديث غني عن التعريف ، يلقب بامير الشعراء ولد بالقاهرة ينتمى الى الاكراد ،نشأ في البلاط الملكي بمصر وتعلـــم في المدارس الحكومية ، وقضى سنتين في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق ، ارسله الخديوي الى فرنسا فتابع هناك دراسة الحقوق ، عين رئيسا للقلم الافرنجي فيديوان الخديوي عباس ، من آثاره الشعرية (الشوقيات) وهو ديوان شعره ، ومسرحيات . انظر ( في الادب الحديث ) ج 2 في صفحات متعددة وانظر احمد محفوظ ( حياة شوقي ) مطبعة مصر .

(8) محمد حافظ ابراهيم ( 1287 – 1351 هـ / 1871 – 1932 م ) من شعراء مدرسة البعث ، ولد بمصر وتوفى بها ، التحق بالمدرسة الحربية وشارك في حملة السودان،لقبشاعر النيل وعملرئيسا للقسم الادبي بدار الكتب ، كان قوي الحافظة راوية مرحا حاضر النكتة ، له ديوان شعر ورواية ( البؤساء ) مترجمة عن فيكتور هيجو . انظر مقدمة ديوانه لاحمد امين وانظر احمد محفوظ ( حياة حافظ ) – مؤسسة نصار للتوزيع والنشر – القاهرة .

(9) الاقيال والاقوال والقيول جمع قيل ، الرئيس او الملك من ملوك حمير سمي كذلك لانه اذا قال قولا نفـــذ قولـــه .

(10) القالص . ( من الثياب ) المشمر القميص .

ان عاذ منهم بامن منك معتصـــم
أطرى صنيعك (مأمون 11) (معتصم 12)

وان اصيب بجدب ناصـب قصرت
عن وزنك المزن او عن فضلك الديم

حتى ترى مكفهر الوجه ذا مــرح
يكفي به الهم او يشفي به السـقـم

ويعرج بالحديث عن نسب الممدوح وكرمه وحلمه ونهله وصلاحه فيقـــول :

ينميك من شرف الاعراق فائقـة
فينتمي لك من أعراقها الشيـــم

لله منك امـيـر في مريرتـه (13)
يبدو الهدى والنهى والحلم والكرم

ويختم القصيدة بقوله داعيا للممدوح بالخيـر والاسعاد والمجد والسؤدد :

مر وانه واسم وسد واحكم وجد وجد
واشكر سواهب من انعامه عمــم

لا زلت في درجات العز مقتبـلا
وفد المعالي على الاعتاب يزدحـم

ولا تزال بـك الايـام مقبلـة
يدنو بها الأمد الاقصى فينتظـم

ولناخذ على سبيل المثال كذلك قصيدته التي قالها عند عودة الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله ، وهي عندي من فرائد في المدح لما تحتويه من انسياب في العاطفة وشعور مرهف وصور مكثفـة تنداح في آفاقها وطنية صادقة ، ولا اكون مبالغا اذا قلت ، انها تقف بجانب فرائد المتنبي في مدح سيف الدولـة ووصف معاركه .

والقصيدة ، في الحق ، لوحة استعراضية جميلة رسم الشاعر عبر آفاقها الفسيحة الوضيئة جهـاد الممدوح وجهاد الشعب المغربي والثورة المغربية ضد الاستعمار البغيض . ويمكن ان نوزع القصيدة على الشكـل الآتـي :

1 ـ مكانة الممدوح وبعد صيته وجميل تطلعاته :

ابى المجد الا ان تقـاد جنائبــه
وتمرح في سوح المعالي نجائبـه

وتستحضر الاقيال خاضعة الطلى (14)
مكاتيبـه او عززتهـا كتائبـه

فيملي على الاجيال عهدا تكفلـت
بترتيله الارواح والدهر كاتبــه

يرد صداه شاسع الشرق كلمـا
سعت لمراميه الجسام مغاربــه

فيجذب افلاذ القـوب لصوبـه
كما يجذب الفولاذ بالطبع جاذبـه

هواها هواها في اطراد نزوعـه
دنا او تعدى جانب الافق جانبـه

يمانيـة ما ايمنـت نظراتـه
وقيسية ان مال بالقوس حاجبـه

يقينا بأن الفتـح ظل يمينـه
وما الظل الا حيثما حل صاحبـه

2 ـ غدر المستعمر ومحاولته الدنيئة لاحبـاط مساعي الممدوح بنفيـه عن وطنـه :

---

(11) هو عبد الله بن هارون الرشيد ( 170 ـ 218 هـ / 786 ـ 833 م ) سابع الخلفاء العباسيين ولي الخلافة سنة 198 هـ وعالم متمكن ، في عهده ازدهرت الثقافة العربية ، توفي في ( بذنـدون ) ودفن في ( طرسوس ) . انظر الخطيب البغدادي ( احمد ) تاريخ بغداد ط. مصـر ـ 1349 هـ وانظر محمد مصطفى هدارة (المامون ـ سلسة اعلام العرب ) .

(12) هو محمد بن هارون الرشيد ( 179 ـ 227 هـ / 795 ـ 841 م ) بويع سنة 218 وهو فاتح عمورية توفي ( بسامرا ) . انظر تاريخ بغداد ج 3 ص 342 وانظر ابن شاكر الكتبي ( فـوات الوفيـات ) ج 4 ص 48 تحقيق احسان عباس ـ دار صادر .

(13) المريرة تجمع على مرائر وهي العزيمة والمرير من الحبال ما اشتد فتله ورجل مرير قوي ذو عزم.

(14) الطـلاة جمعـه طلـى العنـق .

يوم ازاح الغدر فيه لثامه
قذفت الى دار السلام عقاربه

غدا فيه وجه الجو أسفع قاتما
وراد الضحى مستوحش الظل شاحبه

على حين داناها من الفوز حاضر
كفاحا وناداها من اليسر غائبه

3 ـ انفجار الروح الوطنية وخوضها معركة المصير ثم عودة الملك الى عرشه والهزيمة التي حاقت بالمستعمر :

فثارت حفاظا عن كرامة مالك
على جدد(15)اهدى من الغيث راكبه

اذا غاب كان الامن عنقاء مغرب (16)
يحلق في جو الاساطير عازبه (17)

وان لاح قال الدهر فرض ولاؤه
فما ينتهي من سورة (الفتح) (18) راتبه

وشقت فجاجا يعثر السيل دونها
وتخذله من هولهن مذانبه (19)

4 ـ فرحة النصر التي عانقت افوار النفوس وغمرت الروابي والسفوح :

طغى البشر طغيان الضياء بقربه
وضاقت باعلام السرور مواكبه

الى ان يقول :

تهن امير المومنين بوافد
من العز يدعوه لنصرك واهبه

ودم معقلا للشعب ترفع راسه
وتدفع عنه كل سوء بوائبه

وتعدو به شأو السيادة صاعدا
ذرى شرف تعلو بهن مراتبه

تكلله تاج الجلال حقوقه
وتكسوه جلباب الكمال مطالبه

وفي القصيدة صور قوية لافتة للنظر تشع بهيبة الممدوح وشرعية ولائه ، فالدهر نفسه يعلن طاعة الامام ، وشعاره سورة ( الفتح ) ، اشارة الى قوله تعالى ( انا فتحنا لك فتحا مبينا الخ ) التي نزلت في المدينة في السنة السادسة من الهجرة بعد صلح الحديبية (20) اعلانا بالنصر المبين ودحر الشرك من الجزيرة العربية ، مهد الرسالة الربانية ، واعلانا بتحرير الانسان من طاغوت الانسان ، وقد وفق الشاعر الى ابعد حدود التوفيق في استغلال الحدث الاسلامي الهام في الموقف العصيب للثورة المغربية ضد الكفر والطغيان ، تلك الثورة التي شقت الفجاج، وبعث الفزع في كل مكان فلم يستطع السيل الجارف الصمود امام هولها وقوتها ، لذلك خذلت كل المساعي التي يحاول بها العدو السيطرة على البلاد ، فالمغاربة مبدؤهم اما أن يرجع الامام الى عرشه ، واما ان يسلطوا الفناء على الارض .

وان لاح قال الدهر فرض ولاؤه
فما ينتهي من سورة ( الفتح ) راتبه

وشقت فجاجا يعثر السيل دونها
وتخذله من هولهن مذانبه

ومبدؤها اما الامام لعرشه
واما فناء ينذر الارض ناعبه

---

(15) الجدد جمع أجداد الارض المستوية الغليظة ومنه المثل من ( سلك الجدد أمن العثار ) .
(16) عنقاء مغرب طائر مجهول الجسم لم يوجد ويقال في الاخبار عن هلاك الشيء وبطلانه .
(17) العازب الكلاء البعيد المطلب .
(18) اشارة الى سورة ( الفتح ) المدنية التي نزلت بعد صلح الحديبية وهي تبدأ بقوله تعالى : ( بسم الله الرحمن الرحيم ، انا فتحنا لك فتحا مبينا الخ . ) .
(19) المذانب لها معان منها مجاري المياه .
(20) انظر ابن كثير ( اسماعيل ) ( تفسير القرءان العظيم ) ج 4 ص 182 وما بعدها ـ دار الفكر وانظر ( قطب سيد ) ( في ظلال القرءان ) ج المجلد 7 ص 476 وما بعدها ـ ط. 6 .

ومن هذه الصور المكثفة القوية قوله واصفا الجو المكهرب والاقدام والشجاعة التي اظهرها الابطال في حومة الوغى حتى ان الموت ضاعت منها حكمتها وتقديرها فاختلط عليها الامر فلم تقدر على مجابهة بطولة الابطال ، وكلت مخالبها فلم تقدر على مجالدة الروح الشجاعة لابناء هذا الوطن ، لذلك عصفت الاهوال بالجائرين المستعمرين فذاقوا من ويلات الحرب ما لم تتصوره خواطرهم :

وللموت صك ضاع فيه حسابه
وكلت بأرواح الكماة مخالبه

وللروع بين القاصفات اذا دوت
وبين جنون الجائرين نوائبه

فكالت ضروب البأس فيه كماته
وكيل لها من واضم السوء واهبه

ومع قوة الصورة وجمالها في صدر البيت السابق وهو ( وللموت صك ضاع فيه حسابه ) فانها تخالف تصورنا الاسلامي عن الموت التي جعلها الله ذات حكمة وتقدير لا يخطىء لانها صادرة عمن لا يخطىء ابدا وتعالى الله عن كل بهتان ، لذلك لا استسيغ الصورة ، وقد يستسيغها آخرون ممن تعميهم الناحية الفنية فينساقون وراء الضلال غير مبالين ، واما الملحد فانه يبش لها ويفرح ويرى فيها عالمه المنشود، وغفر الله للشاعر زلته ، وكم من شعراء مسلمين افضت بهم اللحظة الشعرية اثناء غيبة الاحساس الايماني الرقاف الى سقطات .

اما النوع الثاني من المديح عند شاعرنا فهو المديح النبوي ، وقد حذا فيه ابن موسى حذو من سبقه من شعراء العربية كحسان (21) بن ثابت وكعب ابن زهير (22) والنابغة الجدعي (23) الى عبد العزيز الفشتالي (24) في الادب المغربي القديم (25) الى البارودي وشوقي .

وها هو شاعرنا الوزير يقدم لنا مولدية من مولدياته يلم في مفتتحها – على عادة القدامى – بذكر الماضي ، ويقف بالديار متحسرا باكيا متوهج العاطفة تستبد به الصبوة هي في نظري ليست وهما او تقليدا فقط بحكم العادة المتبعة في مطالع القصائد ، ذلك ان الشاعر مسلم يحب رسول الله عليه الصلاة والسلام ويحب آل البيت – وله في ذلك اشعار – تهتز نفسه الى التربة الكريمة المعطار ، والقصيدة في الحق تتضمن توهجات عاطفية وانسيابات احساسية :

واها لعهد بأكناف الحمى سلفا
لم استطب اسفا من بعد خلفا

الوي فما جذوة الاشواق كاتمة
وجدا ولا الدمع في اخمادها وقفا

يحدو به من زفير الشوق مضطرم
بين الجوانح ان صب به هتفا

---

(21) مر التعريف به .
(22) هو في المشهور قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي المعامري ( .. – نحو 50 هـ = ... 670 م ) شاعر صحابي سمي النابغة لانه اقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، سكن الكوفة ومات بأصبهان وقد جاوز المائة ( انظر الشعر والشعراء ) ج 1 ص 208 وانظر المرزباني ( محمد ) ( الموشح ص 89 وما بعدها ، تحقيق محمد علي البجاوي – دار النهضة – مصر – 1965 م .
(23) هو في المشهور قيس بن عبد الله بن غدس بن ربيعة الجعدي العامري ( .. – نحو 50 هـ ) .
(24) عبد العزيز بن محمد الفشتالي ( 956 – 1031 هـ = 1549 – 1621 م ) وزير المنصور السعدي وشاعره من اثاجه ( مناهل الصفا في اخبار الشرفا ) ، انظر كنون ( عبد الله ) عبد العزيز الفشتالي سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب – الرقم 1 – المكتبة المدرسية ودار الكتاب للطباعة والنشر اللبناني – بيروت .
(25) كان للعزفيين حكام سبتة فضل ازدهار هذا الفن في المغرب في القرن السابع الهجري حتى قيل انهم اول من احدث عادة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، ولابي العباس العزفي كتاب ( الدرر المنظم في مولد النبي المعظم ) ، وقد توالت بعد ذلك الاحتفالات به وخاصة في عهد المنصور السعدي .

فيستفز وشيك السفح منبجسا
سمح المقاديم في اجفانه عسفا

ثم بعد هذه الاشراقات العاطفية الزاخمة بالاشواق حيث تتعانق الحالة النفسية بالتجربة الشعرية ، يبدأ في عرض صور مالوفة لا تجسد أبدا التركيبة النفسية في حالة هيجانها والتحامها بالتجربة الشعرية الناضجة :

من ليلة اشرقت نورا بمولد من
به استنار لواء الحق فانتصفا

محمد خير من قر الكمال به
هينا فلم يحظ من عين الهدى هدفا

ارقى النبيين اخلاقا واحنهم
خلقا وافضل من صلى ومن عكفا

ماذا يخوض لسان الحمد من لجج
في فضله ويراع المدح ان وصفا

ويستوقفني في هذا المدح البيت السابق – وما اروعه – وهو ( محمد خير من قر الكمال به ) لانه يتضمن صورة موحية للكمال وقد قر عينا بخير خلق الله كلهم .

وفي الاخير يتخلص الى مدح الخليفة السلطاني، وذلك بتمهيد لطيف مناسب يذكر فيه آل البيت ، وهو من ثم يغتنم الفرصة ليشرع في مدح الخليفة .

اشبال فاطمة الزهراء وعترتها
والانجم الزهر ان طرف الرشاد غفا

الوارثين (26) طرافا كل سافرة
من المكارم والبانين ما سلفا

ما زال فيهم تليد المجد بين يد
ينمو بها ويد ترمى بها نصفا

ذاك هو المدح النبوي عند شاعرنا الوزير ، ونلحظ مما سلف ان الرجل الشاعر على نمط واحد في هذا المدح ، ذكر الديار والتشوق اللاهب ، مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، مدح الخليفة ، وما فكر ابدا ان يقلع عن هذا النمط باستثناء قصيدة شذ فيها عن هذا النسق الى نسق آخر ، وكان ذلك ثورة على المطالع الشعرية المالوفة كما فعل ابو نواس (27) حين استهل قصيدته بالحديث عن الخمرة بدل الوقوف بالاطلال ، وآية ذلك ان شاعرنا لم يفتتح قصيدته هذه المرة بالطريقة المعهودة ، بل افتتحها بتمرد على المقدمات الغزلية ووصف الرياض والدعوة الى افتتاحها بالمديح النبوي وذلك حين يقول :

خل التولع بالبدور
وخدود ربات الخدور
وحفيف ادواح الربـ
ـى تميل من طرب الخرير
ودع الجآذر تستبي
من ضل في شرك الغرور
وتحل بالشيم الكريـ
ـمة او معالي الامور
والزم مديح الاكرميـ
ـن المصطفين من البشر

فهذا يعتبر جديدا في المديح النبوي عند ابن موسى بالقياس الى المالوف عنده ، ولكنه ليس فيه

---

(26) الطراف الشرف والمجد ، يقال توارثوا طرافا عن طراف يعني عن شرف ومجد .

(27) هو الحسن بن هانيء بن عبد الاول بن صباح الحكمي بالولاء ( 146 – 198 = 763 – 814 م ) ولد بالاهواز وتربى بالبصرة ، نبه امره في مجال الشعر فصار شاعرا ذا مكانة في عصره واتسم شعره بالمجون والدعارة اتصل بخلفاء بني العباس في عصره فمدح بعضهم ، ورحل الى مصر فمدح اميرها الخصيب ، توفي ببغداد ، له ديوان شعر ، انظر ابن منظور ( محمد ) ( اخبار ابي نواس )، وابن خلكان ( وفيات الاعيان ) ج 1 ص 373 وما بعدها ، وابن قتيبة ( الشعر والشعراء ) ج 2 ص 680 وما بعدها ، وللمحدثين عنه كتابات متعددة ، انظر على سبيل المثال العقاد (عباس محمود) ( الحسن بن هانيء ) سلسلة كتاب الهلال .

متفردا فقد سبقه الى ذلك شاعر آل البيت الكميت (28) حين قال فى بائيته المشهورة :

طربت وما شوقا الى البيض اطرب
ولا لعبا وذو الشوق يلعب

ولم تلهني دار ولا رسم منزل
ولم يطربني بنان مخضب

ولا السانحات البارحات عشية
أمر سليم القرن أم مر اغضب

ولكن الى اهل الفضائل والنهى
وخير بني حواء والخير يطلب

والى هذا نظر ابن موسى — كما يبدو — ولكنه — على كل حال — قد استطاع ان يكسر قيود العادة المالوفة لديه ويغير الطريقة ليحس قارئه بنوع من التجديد ..

واتلوم شاعرنا الوزير فى مديحه النبوي على ما قصر فيه برغم صدق عاطفته حين اقتصر على الصور القديمة ولم يحاول توليد المعاني وتفريعها ، ذلك ان الشخصية النبوية الكريمة نبع ثر وثر الى أبعد الحدود ، وبيدر معشب ومعشب الى ما نهاية فى كل جانب لكونها النموذج الكامل للانسان ، وكان من الممكن ان يوظف كل طاقاته الفنية — وهي لديه أطوع من بنانه كما يقولون — فيستغل ابعاد الشخصية النبوية العظيمة ويبدع حولها شعرا يخرج به عن المعتاد من الصور المكرورة والمضامين المستهلكة ، ويجسد لنا من خلال ذلك كله الاشراق الداخلي ملتحما بالتجربة الناضجة الفوارة متخطيا منطقة الحدة العقلية ، كاشفا عن الحقائق المتسترة ومقدما اياها فى الصورة الرفرافة الندية الموحية المعطاء .

بعد هذه الجولة مع مديح ابن موسى يرتسم فى خاطري سؤال يلحعلي فى طرحه الحاحا لا اجد مفرا من ان اذعن لهذا الالحاح من أجل وضع النقط على الحروف بصراحة تمليها العقيدة ، ولا تجامل أبدا على حساب الحق ، والسؤال هو : هل كان ابن موسى صادقا فى مدائحه ؟

اذا رحنا نتقصى مدى صدق عاطفة ابن موسى فى مدائحه فاننا نلفيها — بصراحة — خامدة باهتة متى كانت من النوع الاول — يعني الرسمي — باستثناء قصيدته ( ابى المجد الا أن تقاد ركائبه ) لكونها تحتوي روحا وطنية صادقة ، وتكون لاهبة ندية سخية متى كانت من النوع الثاني — يعني النبوي — غير ناظرين الى القسم الرسمي منه — وذلك يرجع عندي الى ان الاول افرزه تطلع واحساس بنعمة الممدوح والحرص الشديد على هذه النعمة من ان تسطو عليها العوادي ، والثاني افرزه الحب الصادق للحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام بحكم الايمان الذي تنطوي عليه احناء الشاعر .

والحق ان ابن موسى ليس بدعا بين شعراء المديح الرسمي فى ادبنا العربي القديم فهو كسائر اصحاب المديح .

ان المدح جملة وتفصيلا ليس وليد صدق وحب الا فى النادر وما لم يصدر عن الاعماق لا يمكن ابدا ان يتسلل الى الاعماق .

( يتبع )

**تطوان : محمد المنتصر الريسوني**

---

(28) هو الكميت بن زيد بن خنيس الاسدي ( 60 — 126 هـ = 680 — 744 م ) شاعر آل البيت من الكوفة ، كان عالما بأيام العرب وانسابها ومتعصبا لبني هاشم فاكثر فيهم المدح ، ومن اشهر شعره ( الهاشميات ) ، انظر ابن قتيبة ( الشعر والشعراء ) ج 2 ص 485 وما بعدها وانظر المرزباني ( الموشح ) ص 302 وما بعدها .

(29) للمزيد من هذا يمكن الرجوع الى مقدمة صاحب هذا البحث فى ديوانه الذي صدر أخيرا تحت عنوان ( على درب الله ) فيه حديث مطول عن الالتزام الاسلامي فى الفن .

# ذكرى 11 يناير 1944

للاستاذ احمد بنشقرون

تمر في حياة الناس ذكريات هائلة لا تنسى ، ومواقف بطولية تستحق التسجيل والتأمل واستخلاص العبر، وتبقى ماثلة امامهم طالما بقوا احياء، لانها تبعث من الصميم ، وتفرعت اغصانها فتمثلت لهم دوحة وارفة الظلال ، مخضرة على مدى الدهور والازمان ، ومن ذلك ذكرى 11 يناير 1944 ذكرى المطالبة بالاستقلال وفك التراب والرقاب من براثن الاستعمار ، وانهاء عهد الحماية والحجر ، ذلك العهد الذي لم يكن في صالح المغرب والمغاربة ولا في صالح الاصالة الاسلامية بما غرس في النفوس من ذل، وما بث في القلوب من رعب ، وما فرض من بلبلة على الاعصاب ، وما بنى لنفسه من جاه على حساب المعية الشيوخ ، وحكمة الكهول ، وحيوية الشباب ، فثارت ثائرة الزعماء الوطنيين الاحرار والقادة الابرار بريادة المغفور له جلالة محمد الخامس تغمده الله برحمته الواسعة ، فارسلت صيحة 11 يناير 1944 مدوية في الآفاق ومنذرة الاستعمار البغيض بقرب وفاته ، ودنو مماته ، وابعاده الى غير رجعة ، ولم يفت في عزم المغاربة الاباة الاشاوس ، ما كانوا يتوفرون عليه من امكانات محدودة ، ولم تخفهم قوة الاستعمار التي كانت جاثمة هنا وهناك ، وانما هو العزم الصادق، والوطنية الحق ، وان للعزم لبركات ، والله تعالى يقول : ( فاذا عزمت فتوكل على الله ، ) والمثل العربي يقول : واذا عزمت فحقق ، فنزلت وثيقة المطالبة بالاستقلال على الاستعمار البغيض نزول العقاب من السحاب ، والنار من الشهاب ، كانت الفترة الذهبية مناسبة كريمة تألقت فيها الوطنية وتلاحمت فيها العزمات ، وتبلورت فيها الخطب والكلمات ، وقدمت فيها مصلحة الوطن على كل شيء وتجمهر فيها آلاف من ابطال الشعب المغربي في مدنه وقراه يفدون وطنهم بالنفس والنفيس ، غير مبالين بما يلاقونه في سبيل ذلك ، من تعذيب ، وتنكيل ، وحبس ، ونفي ، وتشريد . لا فرق في ذلك بين جميع المواطنين الذين تذرعوا بعزيمة فولاذية ، وحماسة منقطعة النظير ، والسنتهم تردد قول الله تعالى : « ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوي عزيز » ، والمظاهرات في كل مكان ورصاص الاستعمار يحصد الارواح ، والوطنيون الصناديد في معركة الكفاح يتلون قول الله تعالى :

« رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

ان وثيقة الاستقلال كانت بشير خير ويمن وبركة جاءت تؤكد ان الحرية في ظل الملكية الدستورية هي وحدها السبيل القويم للوصول الى ما يصبو اليه المغاربة من عزة وكرامة وازدهار في جميع الميادين ، وانما يتم ذلك بتضافر الجهود في سبيل الصالح العام ، رغم استهتار جيوش العرقلة الذي حكم الله عليهم بقوله :

« يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون » .

وبالمناسبة اسجل للحقيقة والتاريخ ان علماء القرويين – شيبا وشبابا – تحمسوا لهذا الموقف التاريخي العظيم ، فكتبوا في تأييده رسالة تلفح بالآيات والاحاديث عززوا بها الموقف السياسي الشجاع الذي نحتفل اليوم بذكراه وسافروا الى الرباط بقيادة مدير القرويين اذ ذاك الاستاذ السيد محمد الفاسي ، وحينما ظفروا بمقابلة جلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس رضوان الله عليه وتقدم الاستاذ الفاسي والقى الرسالة المذكورة على مسمع جلالته في لهجة مؤثرة سمعته رحمه الله يقول : ( يسرني أن ارى رجال التعليم بالقرويين يعيشون احداث البلاد ويدلون فيها بآرائهم وفتاويهم ، ونحن عشنا في بلادنا احرارا ، والتاريخ لا بد ان يعيد نفسه ، والعرش العلوي الذي قاد الامة في الماضي الى ما فيه خيرها وصلاحها لا بد أن يقودها في المستقبل الى ما فيه خيرها وفلاحها ) ، وبالفعل صمد رحمه الله هو واسرته الكريمة يتقدمهم عضده الايمن جلالة الحسن الثاني الذي كان يوم ذاك وليا للعهد ولم يرهبوا ما بيت لهم الاستعمار البغيض من نفي وابعاد ، حتى حق الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، فعاد ملك المغرب المفدى بالمهج والارواق – من المنفى – يحمل راية الاستقلال والحرية ، وينثر على مسامع شعبه الآية الكريمة : ( الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ) فتمت النعمة على المومنين ، بتحقيق مطلب حبيب الى انفسهم يتبلور في فك اسرهم من براثن الاستعمار ، وتنفسهم الصعداء لما كان جاثما على صدورهم ، واخذوا يخطون الى الامام ، والى الامل البسام ، بخطى ملؤها الايمان ، والعزم الصادق ، والتوكل على الله ، وتنتقل القيادة الى الملك الهمام جلالة مولانا الحسن الثاني رائد المسيرة الخضراء فيواصل الليل بالنهار لاسعاد شعبه وتعزيزه ورفع راسه عاليا بين الامم ، ويعمل على توفير اسباب الرفاهية والازدهار ، ويدافع بحكمته ودهائه عن كل شبر من التراب المغربي ، ويجود بوقته الثمين لصالح الاسلام والمسلمين ولصالح المغرب والمغاربة في جميع المجالات وما زال جلالته منذ ولاه الله امر هذه الامة ينهض بها من حسن الى احسن فيجمع شتاتها ويوحد ترابها ، ويضم صحراءها ويرفع لواءها ، ويصد عنها اعداءها ويعيد اليها نضارتها ورواءها ، وتقبس من جلالته حصانتها وسناءها ، وسبق لي ان حبرت في الموضوع قصيدة اقتبس منها الابيات الآتية :

وطيد العزم ان يسير بشعب<br>لازدهار متنوع الخير نامي

هذه ارضنا وتلك سدود<br>بيننا تزدهي بخير نظام

فالوف الحقول تزخر طيبا<br>في وهاد مخضرة ومرامي

والسدود التي تصون مياها<br>جمة تغدق الغراس بطامي

فتحيل الجفاف عنقود تمر<br>وتروي عطاشنا من اوام

ذاك تفكير عاهل وامام<br>بنبي الهدى وثيق التحام

جده المصطفى تقدس نورا<br>وجلالا يكل عنه كلامي

منذ اضحى على الاريكة شهما<br>رتع الشعب في سنى ، وسلام

واصل الليل بالنهار شغوفا<br>باقتناء للمكرمات العظام

ربط الله بين عرش وشعب<br>برباط الولاء خير عصام

فاستمرت وشائج من قرون<br>رسخت فوق شامخ من دعام

سرها الصدق والمحبة تترى<br>في التحام وقوة ووئام

وعلى دولة العظائم قامت<br>هيبة الملك في كبير اهتمام

والملوك المنعمون اقاموا<br>في وجوه الخطوب سد صدام

وتلقي مشاعل النصر منهم<br>حسن في تعاطف مستدام

حفظ الله عهده واستمرت<br>بولي العهد دور الكرام

فاس : الحاج احمد ابن شقرون

# مزلات في مجالات

للأستاذ محمد بن تاويت

نريد أن نسجل هنا بعض الهفوات والمآخذ المختلفة في القديم والحديث .

فمن ذلك ما وقع لابن رشيد السبتي ، في رحلته وهو يتحدث عن « رابغ » خلال تأديته لفريضة الحج، فقال :

ذكر غريبه عنت لنا به وما عنت ، بل أعنت في معنى الآية وما أقنت ، وهي قوله تعالى : ( يا أيها الذين ءامنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه ورسله بالغيب )

هكذا كتبت الآية في الرحلة ، والصواب فيها إسقاط « ورسله » فهي كذا « ... ليعلم الله من يخافه بالغيب » من سورة المائدة ، أما « ورسله » فهي من آية أخرى ، وردت في سورة الحديد ، هكذا: « وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب » .

وتلا ابن رشيد أبو حيان ، فوقع في تفسيره نحو هذا الخطأ ، حيث انه في سورة الانبياء ، بعد ذكره للآية « وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون » صار يفسرها ، ثم قال : وقرأ الاعمش « زبرا » بفتح الباء ، جمع زبرة ...

تعرض لهذا ، واهما أن الكلمة واردة بهذه الآية ، مع أن « زبرا » لا محل لها هنا ، بل محلها في سورة « المؤمنون » هكذا : « فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا »

وزاد الطين بلة أن أبا حيان ، حين تفسيره لهذه السورة ، لم يتعرض لهذه الكلمة بتفسير او ذكر قراءة لها بعد ذكرها في النص القرآني ، الذي اعتدنا منه ان ياتي به قبل التفسير لمحتواه .

ثم جاء معاصر أبي حيان وتلميذه ابن هشام المصري ، فقال في كتابه ( المغني ) عند تعرضه لكلمة « غير » :

( غير اسم لازم للاضافة في المعنى ، ويجوز أن يقطع عنها لفظا ، أن فهم المعنى ، وتقدمت عليها كلمة « ليس » وقولهم « لا غير » لحن ) .

وهذا الذي ذكره ابن هشام منبثق عما ورد في الكتاب لسيبويه ، حيث قال :

هذا باب يحذف المستثنى فيه استخفافا ، وذلك قولهم « ليس غير » و «ليس الا » كأنه قال ، ليس الا ذاك ، وليس غير ذاك ، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفا ، واكتفاء بعلم المخاطب ما يعني .

اذن فابن هشام أقر الاستعمال الذي نص عليه سيبويه ، وهو « ليس غير » واقتصر عليه ، ولحن من استعمل « لا غير » بدله ، ولكنه مع تقريره لهذا ، استعمل هو نفسه « لا غير » كما نجد في كتابه

« أوضح المسالك الى الفية ابن مالك » ، كقوله فى كلمة « حسب » . والثاني أن تكون بمنزلة « لا غير » فى المعنــى » .

وهكذا استعمل هنا ما لحن غيره به ، وهذا هو المأخوذ به ، والا فان الاستعمال فى حد ذاته ، اجازه بعضهم ، وفيهم ابن مالك ، مستشهدين بهذا البيت :

جوابا به تنجو اعتمد فوربنـا
لعن عمل اسلفت لا غير تسأل

وهو بيت صارخ بالسجدية والافتعال ، ولا حس فيه للعربية العرباء المعتمدة فى الاستشهاد بها .

وكان ابن هشام فى شرحه المذكور ، اعتبـر الاستعمالين معا صحيحين ، ولهذا وجدناه بعد اقل من صفحة ، وهو يتكلم عن المضاف اليه المحذوف ، يقول : ( تارة يزول من المضاف ما يستحقه من اعراب وتنوين ، ويبنى على الضم ، نحو « ليس غير » )

اما المحدثون ، فنجد أول القائمة التي تضمهم ، محمود العقاد ، قد هوى فى هوة سحيقة ، حينمـا تناول سيرة الرسول الاعظم ، فى اطار « العبقرية » فسمى كتابه « عبقرية محمد » ولا نظن ان مسلما ، بل مجرد منصف ، يرضى عن هذا الاطار الذي وضعت فيه صورة الرسول عليـه الصلاة والسـلام . واعتقد ان العقاد ما كان ليرضى عن نفسه ، حينمـا يضعها غيره فى هذا الاطار ، « عبقرية العقاد » فانه يرى نفسه اعظم من العبقرية ...

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل انه اوغل فيه، فجعل هذه « العبقرية » التي جاد بها على محمد اطارا عاما ، يصح أن يوضع فيه غيره من غيـر الانبيـاء والرسل الكرام ، مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلـي وخالد بن الوليد ، وغير هؤلاء من كل من كان له فى العظمة مجال ، اي مجال ...

فكان مرتبة النبي لا تختلف عن مرتبة هؤلاء وغير هؤلاء من نبهاء الرجال ، حكاما وقواد حرب ، وغيـر حكام وقواد ، لا محالة ...

فاني يسوي بين هؤلاء وبين النبي العظيم ، بل اعظم الانبياء على الاطلاق والخلائق على الاستيفـاء والاستغراق وهو الذي – اخرج – امة من العدم الى الوجود ، وجعلها فى ظرف لا يتعـدى نصف قرن ، تعمر الارض فى قاراتها كلها المعروفة للعالم آنذاك ، وتنظم شؤونها وتقيم العدل والطمانينة فى ربوعها .. ويقف احدهم عند ساحل بحر الظلمات ، ويعز عليـه ان ليس وراءه ما يشع عليه النور من اليابسة فيتبعه نور الايمان والعرفان بعد نور الابصار والعيان .

فان العالم القديم كان يرى هذا البحر نهايـة المرحلة التي تقطعها الغزالة فى سيرها اليومي ، ومن ثم سمي « بحر الظلمات » تغيب فيه الشمس ويعم الظلام عالم الكون ، الذي لم يدرك له ابعاد أخرى الا بعد مائات السنين ، حينما اكتشفت القارة الجديدة

ومهما يكن فعمل العقاد ، فى عنوانه هذا مـن الاجحاف بالدرجة التي هي دون ما ينشد فيها :

الم تر أن السيف ينقص قدره
اذا قيل هذا السيف خير من العصا

لانه لا « خيرية » هنا فى هذه « العبقريات » المتعددة بل قصر عما وضعه فيه مؤلف « الابطال » الذي اعطى شخصية الرسول حقها ، وان اشرك فى هذه « البطولة » الذات القدسية ، تعالى الله عنهـا علـوا كبيـرا .

وللعقاد شطحات ، قد يفقد وعيه فى غمراتها ، فيصدر عنه ما لا يحمد فى حق الرسول ، وحدثني استاذ لي ، رحمه الله ، فى مصر انه قال او كتب فى شطحته : « لو كنت موجودا عند الفتح الاسلامـي لبلادي ، وفيه محمد ، لقاتلته بسيفي » .

هكذا تكون علامة الوطنية المفتعلة ، التي دفعت العقاد الى تلك القولة الشنعاء ، ولم تدفعه الى محاربة الانجليز المحتلين لبلاده فيجرد فى وجههم سيفـه المزعوم ، بل انه لم يجرد فى حربهم حتى قلمـه ، الذي على العكس قد خدم به الانجليز طيلة الحرب العالمية ، خدمة لم يجدوها من غيره فى الشرق ولا فى الغرب ، فنشر مائات المقالات فى نصرتهم ، وكتب المؤلفات فى مهاجمة اعدائهم ، ونسي انهم « العدو » على الحقيقة ، فلم يحذرهم ...

وهكذا هام فى حب « بريطانيا » العجوز ، وحمي انفه لحرمتها ، وثبت ثبات الشجعان فى حومة الدفاع عن حوزتهـا :

فقام يذود الناس عنها بسيفه
وقال الا ، لا من سبيل الى هند

ومن هفوات المحدثين ، ما وقع لصاحب المشاهير ، عند تناوله للشاعر الجراوي بحلقة منها ، وقف عند البيتين :

وهل هو الا من اناس تهافتوا
فراشا على اسيافكم وهي نيران

عصوا دعوة المهدي وهي سفينة
فاغرقهم طغيانهم وهو طوفان

موقف المتشكك في ماهيتهما من القصيد ، وقال في القصيدة التي احتوتهما ( يظهر من صنيع صفوان انها غير قصيدة الصابوني ) مع ان قصيدة الصابوني هذه التي ذكر صفوان منها البيتين :

اني لاعجب من خساسة قدره
نسي الذنوب فخانه الغفران

وغدا على مشروعة رهن الردى
فالجو قبر والهوى اكفان

شتان ما بينها وبين القصيدة الاولى فتلك من الطويل ، وهذه من الكامل ، ولا احد يتوفر على حظ من العروض يمزج هذين البحرين او يمزج بينهما ...

ومن هذا القبيل ما وقع لاحد الادباء الشرقيين، وشعرائهم النابغين ، وكان يدرس العروض بالكلية « عن جدارة واستحقاق » ...

فقد اعترضت على ورود بيت ابي ذؤيب الهذلي، في رسالة كنت اناقش صاحبها :

فالعين بعدهم كان جفونها
كحلت بشوك فهي عور تدمع

بتشديد كلمة « كحلت » لانه لا يستقيم به الوزن . فما كان من الدكتور الا ان انبرى كاستاذ للعروض من بين الحاضرين المستمعين ، معترضا على هذا الاعتراض ومدعيا بان هذا التشديد مستقيم به الوزن ... ولعمري ، كيف يكون ذلك كذلك ، وهو يلزمنا ان نشدد التاء من « متفاعلن » فيصير « مستفاعلن » ، وليست هناك زيادة حرف ساكن في هذه التفعلة . ولم يخلقها الله حتى الآن من صلبها ، حتى يتأتى للدكتور العظمة ان يدعيها متطفلة .

واخيرا ، وهذه تخصني ولي فيها وجهة نظر . فقد تصفحت كلمة « الطيف » في بيت ابي الربيع :

يا ايها الطيف خبر
ما للحبيب لدينا

فبدا لي ان الكلمة المصحفة ، هي « الطير » ثم تبين خطاي ، بعد مراجعة ما سطرته بيدي فيها .
ووجهة نظري في هذا الاستظهار اولا ، ان الطيف لا يرى الا مناما ، فلا يمكن ان يخاطبه الشاعر في يقظته . نعم انه كان معقولا ان يتحدث عنه بالمضي الزمني كان يقول : فقلت للطيف في حلمي « يا ايها الطيف خبر » ، او حدث مني بعد ذلك كذا ، كما قال الشاعر :

فقمت للطيف مرتاعا فارقني
فقلت اهي سرت ام عادني حلم

وكقول غيره ، ولم يفصح بالطيف وان كان هو المقصود :

عجبت لمسراها واني تخلصت
الي وباب السجن دوني مغلق

المت فحيت ثم قامت فودعت
فلما تولت كادت النفس تزهق

اما ان يتمثل الطيف شاخصا في اليقظة ، فينادى ويومر ، فهذا ليس معقولا ولا مالوفا من الشعراء ، مهما بلغت بهم احلام اليقظة . ثم ان مخاطبة الطير مالوفة لدى الشعراء في الجاهلية والاسلام ، في العربية وفي غير العربية ، خصوصا عند الرومنسيين منهم . فلهذا كان الزلل له ما يبرره بهذه الوجهة من النظر ، وهذا التبرير لا يخرجه من نطاقه ، وان اخذ الشاعر بنقد موقفه من هذا الصنيع .

**محمد بن تاويت**

جولة تاريخية حول :

# الدولة الفاطمية -2-

للدكتور محمد كمال شبانة

**الفاطميون فى افريقيـــة :**

لقد تولى عبيد الله المهدي زمام الامور بالقيروان، بينما كانت دول افريقية الثلاث آنئذ تتدهور احوالها، وتضعف قواها ، الامر الذي سهل للفاطميين أن يرثوها كاملة ، وهكذا بداوا بتونس ، حيث استولوا على ملك الاغالبة ، واستشرى نفوذهم حتى الجزائر ، فاسقطوا ملك آل رستم ، ثم دانت لهم مراكش حينما تم لهم القضاء على بقايا الادارسة ، وبذلك اضحى الشمال الافريقي تحت امرتهم ..

وفى عام 303 هـ انشا عبيد الله مدينة « المهدية » ، واتخذها عاصمة لملكه الشاسع ؛ كما خلع على نفسه لقب « امير المؤمنين ، وخليفة المسلمين ، وامام الملة » .

لكن ما من شك فى أن ما ورثه الفاطميون من ملك الاغالبة وامكانياتهم قد ساعد الى حد بعيد فى مواصلتهم نشاطهم على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ، حتى لقد تطلعوا الى فتح مصر ..

كذلك ما من شك فى أن الفاطميين ـ ككل دعوة سياسية ـ قد لاقوا فى طريقهم بالشمال الافريقي عدة ثورات بأماكن متفرقة ، على أن من اشد هذه الثورات التي صادفتهم تلك الثورة التي اشعلها « أبو يزيد مخلد بن كيداد » الملقب بصاحب الحما ، حيث كان يتخذ من جبال أوراس مركزا له ، وقد انضوى تحت لوائه كثير من المغاربة ولا سيما فئة الخوارج ، اولئك الذين كانوا لا يسايرون الشيعة معتقداتهم ، وقد كانت بداية شرارة هذه الثورة عام 326 هـ باشارة من زعيمها الذي قام بسب الصحابة .. واستمرت ثورته طيلة عشر سنوات ، واشترك فى مقاومتها كل من الخليفة القائم ، ثم ابنه الخليفة المنصور . ويروي ـ بهذه المناسبة ـ انه لما مات القائم اخفى المنصور موته حتى لا يتقاعس جنده ، او تدب فيهم روح الضعف لوفاة الوالد . بيد أن الفاطميين قد ربحوا فى الجولة الاخيرة من تلك الحرب بالذات ، بعد أن تكبدوا خسائر جمة فى الارواح والعتاد والاموال ..

وتجدر الاشارة هنا الى أن الفاطميين ـ من الجانب المذهبي ـ لم يتمكنوا من نشر التشيع فى شمال افريقية بالرغم من انتصاراتهم العسكرية ، ذلك لان الحرب التي قاموا بها علمتهم أن استقرارهم السياسي يتوقف على تنازلهم عن بعض معتقداتهم ، فآثروا السلامة ، وتخففوا من حماسهم لمذهبهم ، وسادهم نوع من الاعتدال تجلى عند دخولهم «مصر» خاصة وانهم رأوا انفسهم تجاه جماعات مثقفة بأرض الكنانة ، ووضح لهم انه ليس من السهل على هذه الجماعات أن تتقبل المزاعم الشيعية كقضية مسلمة او بديهية لا تحتاج الى جدال .. يضاف الى هذه المعارضة المفترضة ما كانت تتسم به مزاعم الشيعة من اشتطاط فى كثير من المسائل ..

**الزحف الفاطمي نحو مصر :**

منذ ظهر الفاطميون على المسرح السياسي بالشمال الافريقي وانظارهم تتطلع الى مصر ، فلم تكد تظهر دولتهم حتى اخذوا يستعدون للاستيلاء على الديار المصرية ، وقد واتتهم الفرصة حينما كانت مصر تجتاز مرحلة من الفوضى والاضطراب خلال الفترة الواقعة بين سقوط الدولة الطولونية عام 292 هـ ( 906 م ) وقيام الدولة الاخشيدية عام 323 هـ ( 935 م ) ، حيث آل حكم مصر في تلك الفترة الى سلطان العباسيين مباشرة ، ومن جهة اخرى فان الدولة العباسية نفسها كانت تمر آنئذ بفترة لا تحسد عليها ، وانعكس ظلها القاتم على الاقطار التي كانت تدين لها . .

وفي تلك الاثناء قام الفاطميون بمحاولات لاقتحام الاراضي المصرية ، فكانت محاولتهم الاولى عام 301 هـ ( 913 م ) تحت قيادة ابي القاسم بن عبيد الله المهدي ، وبمعاونة حباسة بن يوسف ، وبهذا استطاعوا الاستيلاء على برقة ثم الاسكندرية . لكن العباسيين لم يألوا جهدا في الدفاع عن مصر ، حيث بعث الخليفة المقتدر خادمه مؤنسا وتحت امرته جيش عظيم تمكن بوساطته من أن ينزل الهزيمة بجيش الفاطميين الذي ارتد على اعقابه .

اما المحاولة الفاطمية الثانية فقد كانت بقيادة ابي القاسم ايضا عام 307 هـ ، وكان الزحف هذه المرة بجيش بري بمعاونة بعض السفن الحربية التي ورثها الفاطميون عن الاغالبة ، حيث استولت هذه الحملة على الاسكندرية مرة اخرى ، ولكن القائد مؤنسا بدوره قد وصل الى مصر ، وقام بمهاجمة الفاطميين وتمكن من ارغامهم على الجلاء عن الاسكندرية عام 309 هـ (1) ، وقد رحب كثير من المصريين بهذا الانتصار ، ولكن كان الفرح مضاعفا وعلى قاعدة شعبية أوسع بين الاوساط المصرية عقب الحملة الثالثة التي تمت عام 321 هـ ، ويرجع الترحيب المصري بهذه الحملة الى الرغبة في التخلص من الفوضى التي كانت تعاني منها مصر يومئذ ، الامر الذي تمكنت معه الحملة من دخول الاسكندرية والاستقرار بها طيلة ثلاث سنوات ، فلم يجد الخليفة العباسي بدا من ان يرسل الى مصر واليا قويا تكون له السلطة ولاولاده من بعده ، وهكذا اختار الاخشيد عام 323 هـ الذي استطاع ان يرد الفاطميين (2) وان يوقف زحفهم الى مصر ، وبذلك استقرت الاحوال بالقاهرة نوعا ما ، ومن الجانب الآخر فقد تأجلت فرصة الفاطميين في الاستيلاء على مصر بعض الوقت .

**المعز لدين الله في مصر :**

لقد آلت الخلافة الفاطمية الى المعز لدين الله عام 341 هـ ، وتكاتفت الظروف لتوحي بامكان معاودة الكرة لو حاول الفاطميون من جديد الزحف على مصر ، وكانت شخصية المعز من أهم المؤشرات لتوقع الانتصار النهائي هذه المرة ، فقد كان هذا الحاكم مشهورا بسعة الثقافة ، واجادة بعض اللغات ، شديد التعلق بالادب ، ميالا الى العلم ، حسن التدبير ، مهيب الجانب ، بالرغم من التناقضات التي اتسم بها بعد . .

كانت الخلافة في عهد المعز قد استردت شبابها ، بعد ان ازيلت آثار ثورة ابي زيد التي تقدم ذكرها ، وعم البلاد بالشمال الافريقي نوع من الهدوء والاستقرار ، كما انتصر على سلطان القبائل التي كانت قد انتشرت في مراكش اثر ضعف الادارسة ، وكانت الجيوش الفاطمية التي أخذت على عاتقها القضاء على تلك الفلول بالمغرب — بقيادة القائد جوهر الصقلي ، والذي دلل على مدى الانتصارات الفاطمية بهذه المناطق بقيامه بارسال هدية الى مولاه الخليفة المعز ، وهي عبارة عن مجموعة من الاسماك المختلفة من المحيط الاطلسي ، اعلانا ببلوغ النفوذ الفاطمي مداه غربا . .

هذا ، وبعد أن أمن الخليفة ظهره ، وضمن استقرار الاحوال بالشمال الافريقي — اتجه نحو الشرق يحدوه الامل العظيم في الاستيلاء على مصر ، وقد ساعده على هذا أن الدولة الاخشيدية كانت قد

---

(1) الكندي في « كتاب الولاة والقضاة » ص 277 ،

(2) العبر ، لابن خلدون ، ج 4 ص 39 .

انقرضت ، وان الاحوال قد سادت بالقاهرة ، وغدت فى اضطراب سياسي واقتصادي ، كما أن ضعف الدولة العباسية يومئذ لم يكن ليستطيع ـ بطبيعة الحال ـ ان يسيطر على الحالة بمصر ، ولا ان يرد عنها جيش الطامعين ، فكان من آثار ذلك الاضطراب ان كتب بعض وجهاء المصريين الى المعز رسائل تفيض بالترحيب بالتقاء مصر بافريقية تحت امرته ، وانه لن يصادف لدى وصوله مقاومة تذكر ، وفعلا اختمرت الفكرة لدى المعز ، وبادر الى تنفيذها ، وذلك عندما قام يعقوب بن كلس وزير كافور بمغادرة مصر الى افريقية ، حيث اغرى المعز بفتح مصر ، واتخاذها مقرا لسلطانه ، فاخذ المعز أهبته واعد عدته لهذه الجولة ، وذلك بأن قام بانشاء الطرق وحفر الآبار ، وتجهيز الجيش بالزاد والعتاد ، وجعل على رأسه كاتبه جوهر الصقلي ، واقلع زاحفا فى 14 ربيع الاول عام 358 هـ ، واستولى على برقة خلال فترة وجيزة ، ثم تمكن من الاستيلاء على الاسكندرية دون عناء يذكر ، وبهذه المدينة تقدم جعفر بن الفرات الى جوهر الصقلي للمفاوضة فى شأن التسليم ، حيث اتفق كلا الجانبين على الاقرار بالوضع الفاطمي بمصر ، على أن يضمن للمصريين ان يمارسوا عقائدهم فى حرية تامة ، وان يتولى النظام الجديد نشر العدالة وبث الطمأنينة فى النفوس ، والقيام باوجه الاصلاح التي تتطلبها البلاد ، بالاضافة الى تأمين مصر ضد اى عدوان عليها من الخارج ..

وهكذا انضوت الديار المصرية تحت لواء الدولة الفاطمية ، واتخذ المعز من القاهرة مركزا لخلافته .

## اعمال جوهر الداخلية بمصر :

ما ان استقرت عملية الفتح الفاطمي للديار المصرية .. حتى بادر القائد جوهر الصقلي الى تخطيط وبناء « القاهرة المعزية » نسبة الى مولاه المعز لدين الله ، واختار لها المنطقة الواقعة حول الفسطاط بادىء ذي بدء ، ثم امتد الانشاء والتعمير حتى شمل أحياء أخرى مجاورة .. فاستغرقت فترة انشاء القاهرة حوالي ثلاث سنوات تقريبا ( 358 ـ 362 هـ / 969 ـ 972 م ) ، بحيث تم ذلك قبيل قدوم الخليفة المعز الى مصر . كما بنى جوهر « الازهر الشريف » ليكون مركزا للدعوة الفاطمية ، ثم تحول من بعد الى منارة للعلوم الاسلامية ، ومقصدا للدارسين من كافة الاقطار التي تدين بالاسلام . وبهذا غدت القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية واجزائها التي امتدت من مراكش غربا حتى نهاية الاطراف المصرية ، وذلك بانتقال المعز اليها عام 362 هـ / 972 م ، ومعه أسرته وخدمه واتباعه وامواله ، بل ولم ينس ان ينقل الى القاهرة جثث آبائه الخلفاء الذين قضوا نحبهم فى « افريقية » !

## وضع « افريقية » بعد انتقال المعز لمصر :

لقد كان خلفاء الفاطميين يودون ان تظل منطقة « افريقية » تابعة لهم ؛ وخاصة عندما ولى عليها المعز احد قواده المشهورين وهو بلكين بن زيري الصنهاجي ، لكن سرعان ما دب دبيب الانسلاخ بين اقطار الشمال الافريقي بصفة عامة ، وهكذا بدأ الامر بقيام حركة استقلالية بمراكش ، وتزعم تلك الحركة بعض القبائل التي استقلت حينئذ بمكناسة ومغراوة وغيرها ... كما تم استيلاء آل زيري على ما تبقى من الشمال الافريقي ، وهؤلاء بدورهم انشقوا الى فرعين : فرع بني حماد فى الجزائر ، وفرع المنصور ابن زيري الذي ظل يحكم من « المنصورية » عاصمة الفاطميين من قبل ، وباتجاه هذين الفرعين الى الاستقلال تمكنا من التخلص من التشيع ، وبالتالي عاد الى الارتباط ببني العباس ، الا ان الفاطميين وقفوا فى وجه آل زيري ولا سيما فى تونس المتاخمة لمصر ، والتي كانت تضم كلا من برقة وطرابلس ، وحيث كانت مقر الخلافة الفاطمية لعدة سنوات قبل فتح مصر ، وبها عاصمتان اطلق عليهما ـ لاهميتهما ـ اسم خليفتين من خلفاء الفاطميين وهما : المهدية والمنصورية ، لهذا لا نعجب اذا ما رأينا الفاطميين يتمسكون بسلطانهم على تونس بالرغم من الحركات الاستقلالية التي تزعمها آل زيري فى المنطقة ، الامر الذي ادى الى اشتباك الفاطميين مع مناوئهم فى معارك سجلوا فيها بعض الانتصارات بغية تثبيت سلطانهم بافريقية وارساء قواعدهم السابقة .

ومن مظاهر حركات الاستقلال فى النهاية ما حدث عام 435 هـ من نبذ لمذهب التشيع فى أكثر من بلد بالشمال الافريقي ، والعودة الى المذهب المالكي ، وقد قوى هذا الاتجاه عام 440 هـ حيث ابطلت الخطبة للفاطميين وعقدت لبني العباس ، ووصل مثل هذا التغيير الى برقة ، فكان ذلك تهديدا مباشرا لخلافة الفاطميين ، فاضطر الخليفة المستنصر الى أن يكتب للمعز بن باديس متوددا

ومهددا فى آن واحد حين خاطبه بقوله : « .. هلا اقتفيت آثار آبائك فى الطاعة والولاء ! ؟ » ، ولكن ابن باديس أجابه بشدة وغلظة .. فاغتاظ الخليفة الفاطمي ، واستشار وزيره أبا محمد اليازوردي فيما يستطيع ان يقوم به ضد هذا الثائر ، فاشار عليه بأن يستميل اليه بعض القبائل العربية التي كانت تعيش فى مصر آنذاك دون استقرار ، امثال بني هلال وبني سليم ، فوافق الخليفة على هذا الراي الذي يرمي الى توطين تلك القبائل بافريقية ، وهكذا أرسل وزيره اليهم ومعه وعد لهم بأن لهم عمالة أفريقية التي تلدهم الخليفة امرها .. وزودهم بالمال والعتاد والمؤن ، وخاطبهم بقوله : « .. قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس ، فتحمسوا طامعين ، واتجهوا بجموع حاشدة وغفيرة ــ بلغت حوالي اربعمائة الف ــ نحو برقة عام 444 هـ ، حيث نزلوا بها مقتحمين امصارها ، واستباحوها سلبا ونهبا ..

حقا .. لقد كان مثل هذا الاجراء انتقاما شنيعا اتخذه الخليفة الفاطمي ضد المعز بن باديس ، فقد امعن بنو هلال ــ خاصة ــ فى انزال الهزائم المتوالية بالمعز مرات .. كما ان هؤلاء الغزاة قد تبلورت حركتهم الى تدمير بالغ ، حتى انهم احدثوا انقلابا كبيرا فى شمالي افريقية من حيث السياسة والاقتصاد بل والسلالات ، واضحت البلاد وقد غلبت عليها البداوة ، وضعف سلطان الحكومة المركزية ، واضطرب الامن ، وسقطت بعض المدن الكبيرة فى أيدي هؤلاء العرب ، بل واستقل غيرها بأمر نفسها ، يحكمها امراء من اهل البلاد قفزوا الى السلطة فى خضم تلك الاحداث .

هذا ، وقد ارتدع بعض امراء زيري مما حدث لهم ، فعادوا يعترفون بالسلطان للفاطميين ، ومن هؤلاء يحيى بن تميم ، ثم ابنه علي ، ولكن لم يعد الفاطميون يبسطون سلطانهم على الشمال الافريقي بنفس القوة الماضية ، وخاصة بعد نقل مقر حكمهم الى مصر ، فلا عجب اذا ما نظر المؤرخون الى آل زيري ــ بالرغم من كل ما حدث ــ على انهم الحكام الحقيقيون لافريقية فى اعقاب الفاطميين الذين انحسر ظلهم عنها منذ ذلك الحين تباعا .

**الخلافة الشيعية :**

كان لاستقرار الخليفة الفاطمي بمصر اثر بالغ فى حدوث المنافسة بين الفاطميين والعباسيين ، حيث بدا المعز لدين الله يعمل على بسط دولته لتبلغ اقصى الشرق ، ونهج منهجه فى هذا خلفاؤه حتى وصل سلطانهم الى الشام فى عهد العزيز بالله ( 365 هـ ــ 975 م ) وهكذا آل ملك الاخشيديين الى الفاطميين فى الحجازوالشام ، وأصبح يدعى للخليفة الفاطمي من على منابر المساجد يوم الجمعة ، من مراكش غربا الى البحر الاحمر ودمشق ومكة واليمن.

وفى نفس الوقت لوحظ ان سلطان العباسيين قد ضعف كثيرا ، حتى ان اسم الخليفة الفاطمي قد ذكر مدة اربعين جمعة متتالية من أعلى منابر مساجد العاصمة العباسية نفسها ، وهو الخليفة المنتصر الفاطمي ( 427 هـ ــ 1025 م ) واقتدت مساجد البصرة بمساجد بغداد فى هذا ، الامر الذي حير ولاة الامور العباسيين ، حتى قيل ان الخليفة القائم العباسي كاد ينزل عن خلافته للفاطميين ، وهكذا تصدرت الخلافة الفاطمية فى العالم الاسلامي يومئذ، وأصبحت الدولة التي يشار اليها نفوذا وسلطانا فى شرق البحر المتوسط ، كما أن أسطولها كان رمزا للسيطرة بل والتفوق على اسطول الامبراطورية البيزنطية فى العتاد والضخامة وقوة الاستعداد ، يضاف الى هذا تحدي الخلافة الفاطمية للخلافة الاموية بالاندلس ..

**انهيار الدولة الفاطمية :**

بالرغم مما بلغته الدولة الفاطمية من عظمة الشهرة ، واتساع المساحة ، والعناية الفائقة بالشعوب التي انضوت تحت لوائها .. الا أنها لم تتمكن من استقطاب اهل السنة اليها ، فقد نأى عنها هؤلاء ، وزاد الامر جفوة بين الطرفين عندما ادعى الخليفة الحاكم بأمر الله (386 هـ 996 م) الالوهية، حيث فقدت الدولة الفاطمية هيبتها فى قلوب العامة .

ومن زاوية اخرى ، فان الحاكم بأمر الله قد اصر على الدعاية لمذهبه ، واضطهد الطوائف التي عارضته ، وامتد هذا الاضطهاد الى الاقباط واليهود، حتى كانت النتيجة أن اغتيل ليلا على يد رجل سني فى صحراء جبل المقطم بالقاهرة ، وتم هذا بايعاز من اخت الحاكم المسماة « سيدة الملك » .

ولقد عمرت الدولة الفاطمية فترة ليست بالوجيزة بعد مقتل الحاكم ، فقد استجلبت اجناسا

مختلفة من البربر والترك والسودان والارمن لتعزيز قواتها ، ولكن ذلك من جهة اخرى قد اثار ضدهـا الكراهية وخاصة فى مصر ، فقد تنافست هـذه الاجناس لا سيما فى دوائر الجيش ، وكثرت ثوراتهم، فاضطرب الامن ، وبالتالي خمد النشاط الاقتصادي والثقافي للدولة ، وقد طفح الكيل ابان عهد الخليفة المستنصر ، حيث اشتد على الشعب الغلاء ، ودامت هذه الحالة سبع سنوات عانى منها الناس ما عانوا ... حتى تمكن بعض الوزراء العظام من اقالة عثرات هؤلاء الحكام ، امثال بدر الجمالي فى عهد المستنصر ، واخيرا الوزير شاور على عهد العاضد .

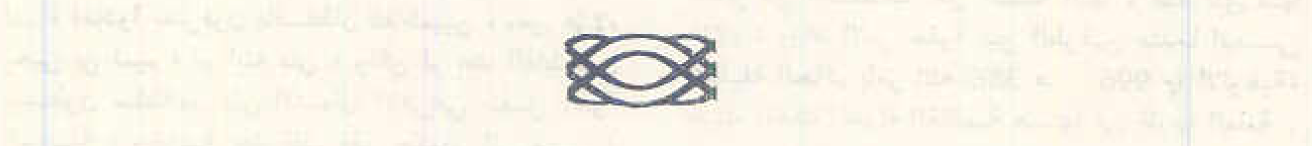
اما الخطر الحقيقي الـذي احدق مؤخـرا بالفاطميين فهو ظهور الدولة السلجوقية التي اخذت تزيح السلطة الفاطمية من بلاد الشام ، كما واكب هذا انتشار الصليبيين فى الشرق وقضائهم على نفوذ الفاطميين هناك ، كل هذا بالاضافة الى استقلال ولاتهم بالشمال الافريقي بحيث لم يتبق لهـم مـن سلطانهم سوى الديار المصرية ليس الا !!

هذا ، وقد تطورت السياسة فى مصر لغيـر صالح الفاطميين ، وذلك حينما سمح الوزير الفاطمي « ضرغام » للصليبيين بالتدخل فى شؤون الدولة ، وزاد فوافق على ان يدفع لهم قدرا من المال كل سنة ليضمن شد ازره ضد منافسه فى الـوزارة وهـو الوزير « شاور » ، الذي لجا بدوره الى نور الدين بن زنكي ، وهكذا اصبحت مصر ميدانا يتنافس عليه كل من الصليبيين والنوريين ، وانجلى هـذا الصراع بتحقيق النصر لجيوش نور الدين ، ومقتل الوزيـر « ضرغام » ثم ما كان من مقتل « شاور » بعدئذ على يد صلاح الدين الذي تولى الوزارة بالتالي ، وتمكن بفضل اتساع افقه واحكام الخطط ــ التي شاركه فى حبكها اهله وخاصة اباه ــ من ان يمنـع الخطبـة للفاطميين من على منابر مساجد القاهرة عام 567 هـ ــ 1171 م ، وكان الخليفة العاضد وقتئذ مريضا مرض الموت فلم يدر شيئا عما حوله حتى توفي فى نفس تلك العام ، وبوفاته انتهت الدولة الفاطمية فى هدوء لم يكن منتظرا بالقياس الى مختلف الجهود التي بذلتها الدولة العباسية فى سبيل القضاء عليهـا حربيـا وسياسيا دون جدوى ..

وعلى اثر سقوط الدولة الفاطمية بمصر قامت الدولة الايوبية بزعامة القائد الشاب صلاح الديـن الايوبـي .

« تمـت »

د. محمد كمال شبانة



# مطلع قرن جديد

للأستاذ عبد القادر العافية

اصبح العالم الاسلامي قاب قوسين أو أدنى من نهاية القرن الرابع عشر الهجري ، ومعنى نهاية القرن هو مرور الف واربعمائة من السنين على انطلاق الدعوة الاسلامية لتشق طريقها في المجتمع البشري وبين سكان دنيا الناس هذه .

ومن المعلوم ان الدعوة الاسلامية بعد ما تخطت البداية الصعبة ـ التي هي من سنن الحياة ـ تلك البداية التي استمرت نحوا من خمس عشرة سنة ، بعد تخطيها لتلك البداية انطلقت لتبشر برسالتها شرقا وغربا ، فتفتحت لها افئدة ملايين المتعطشين الى العدالة والحق ، والامن والاستقرار ...

ولحكمة بالغة ، كان مبدأ هذه الانطلاقة هو مبدأ للتاريخ الاسلامي ، وهكذا بدأت السنوات تتوالى ثم توالت بعد ذلك القرون الى ان اصبحنا اليوم أمام نهاية القرن الرابع عشر ، وأمام مطلع القرن الخامس عشر ، وخلال هذه المدة الطويلة من الزمن عرفت الدعوة الاسلامية تقدما وازدهارا وانتشارا بين سكان المعمور مع صمود ، وتحد ، مستمرين . وانتشرت كلمة الله فى كل مكان ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وساد النظام الاسلامي امما واقاليم وشعوبا واقطارا ...

وازدهرت الثقافة والعلوم الاسلامية وعرف العالم اجمع بسبب ذلك الازدهار حضارة جديدة تمثل السمو الانساني بأكمل معانيه ، وفى أجلى مظاهره ...

وتفيأ ظلال هذه الحضارة المبنية على الايمان وعلى تعاليم القرءان المنزل من لدن رب العالمين ـ تفيأ ظلال هذه الحضارة أجناس شتى من بني الانسان فوسعتهم جميعا ، واستوعبت حضارتهم وافكارهم ... واستطاعت الثقافة الاسلامية ان تهضم في يسر وسهولة مختلف ثقافات وحضارات تلك الامم والشعوب وبذلك اصبحت الحضارة الاسلامية حضارة رائدة ومتفتحة على العالم اجمع وانتفع بها الانسان أيما انتفاع .

بل ما لبثت ان اصبحت الحضارة الاسلامية أساسا متينا للتقدم العلمي والازدهار الحضاري فى عصرنا الحاضر ، وكان لها الفضل فى ربط حلقات الفكر الانساني قديمه وحديثه ...

والسبب فى ذلك هو ان الثقافة الاسلامية هي ثقافة متفتحة لا تعرف التمييز بين لون ولون ، ولا بين شعب وشعب ، ولا بين جنس وجنس ... وحتى معاهدها التي كانت منبع اشعاع فكري لم تميز فى حلقاتها فى يوم من الايام بين غني وفقير ، ولا بين طبقة وطبقة ، فلقد كان التعليم فى المعاهد الاسلامية تعليما مفتوحا فى وجه الجميع ، وبهذا التفتح استطاع أن يفيد ويستفيد ...

وعلى هذا الاسلوب انتشرت المدارس الاسلامية فى كل انحاء العالم الاسلامي : فى الكوفة والبصرة

وبغداد ودمشق ومصر والقيروان ، وقرطبة ، وفاس، وفيما وراء النهر من الاقطار والاقاليم الاسلامية ...

ومعنى هذا ان الاسلام انطلق منذ اربعة عشر قرنا ليسعد الانسان بمبادئه وافكاره ، وبعدالته وتسامحه ... وبفضائله وسمو اهدافه ...

واذا كان من سنن الحياة انها لا تسير على وتيرة واحدة ، ولا فى درب واحد ، فان الذي وصل اليه حال المسلمين فى القرون الاخيرة ينذر بجفاف منابع الايمان فى قلوبهم ، ويشير الى ان كيد أعداء الاسلام قد اثر على سمو مبادئه فى نفوس المسلمين . وبذلك اصبح الكثير ممن ينتمون الى الاسلام تخدعهم شعارات زائفة ، وفقاقيع جوفاء ملونة بالاحمر تارة ، وبالازرق تارة اخرى ، وبالاصفر طورا آخر ...

وخلال القرن الاخير ـ سجل التاريخ وبكل اسف ـ ان معظم المسلمين اضحوا منساقين وتابعين، وجاعلين من انفسهم انصارا مصفقين لهذا الجانب او ذاك !! ناسين انهم اصحاب عقيدة وأصحاب مبادىء فعالة ، وحضارة انسانية خالدة ، وارباب ثقافة رائدة ...

ناسين ان الذي حل بهم هو نتيجة اهواء وزعتهم، ونتيجة اغراض تافهة فرقتهم ...

ناسين انهم بمئات ملايينهم وبما حباهم الله من خيرات يستطيعون أن يكونوا أعظم أمة على وجه الارض ...

ناسين انهم اصحاب أهم رقعة على وجه الكرة الارضية ... وانهم بمساحاتهم الشاسعة يكونون اعظم قوة فى العالم ... وانهم قلب المعمور والنابض بالحياة ، والزاخر بالخيرات ...

وغافلين بعد سر كل هذا عن سر عقيدتهم التي تجمع بينهم جميعا ، عن ذلك السر الذي يستطيع ان يوحد بين قلوبهم وان يحيلهم الى قوة مرهوبة لا يستطيع احد ان ينالها بسوء مهما كان عظيما أو « متقدما » .

انهم بنسيانهم هذا وغفلتهم تلك ، اصبحوا مطية سهلة ، وغنيمة يتسارع حولها الشرهون والنهمون من هنا وهناك ...

واصبح الغريب فى امر المسلمين هو انه بقدر ما جهلوا انفسهم ، وقيمتهم الحقيقية ، عرفهم أعداؤهم وأصبحوا يحسبون لهم الف حساب ويضعون فى طريق وحدتهم الاشواك والالغام ، والعراقيل والمثبطات .

لانهم يدركون حق الادراك ان هذا العالم المترامي الاطراف والزاخر بالخيرات لو استيقظ من سباته ، وتنبه من غفلته واتحد وتماسك لكان شيئا آخر غير الذي هو عليه اليوم ، ولكان شيئا فريدا فى عالم الناس .

ويدركون كذلك انه لو قدر له ان يستيقظ ويتنبه لتلاشت أمام مبادىء عقيدته كل ايديولوجيات الشرق وما فيها من مغريات ، وجميع افكار الغرب وما فيها من ترف وصلف ...

الا انه ـ ومما يؤسف له ونحن فى نهاية قرننا الرابع عشر ـ هو ان اعداء امة الاسلام يوجدون اليوم اكثر اطمئنانا على انفسهم وعلى مصالحهم من اي وقت مضى . لانهم اصبحوا يحركون ويتحكمون فى بعض هيئاته ودويلاته كما يريدون !!

واصبحوا كذلك باستطاعتهم ان يسفهوا ويميعوا أفكار المخلصين منا كما يشاؤون . يرهبون ويرغبون الحكام والقادة ، وبذلك يكبلون الشعوب والجماعات، ويستغلون الخيرات والامكانات ...

وها هي القرون تمضي والاعوام تنسلخ والعالم الاسلامي ما يزال فى تمزقه وخذلانه وتقوقعه ... وكان الزمان الذي يسير بسرعة مذهلة لا يعمل الا على تخديره ، والزيادة على تعميق الهوة بينه وبين ادراك حقيقة نفسه .

اننا ـ نحن المسلمين ـ سنودع عما قريب قرونا كاملة بسنواتها العديدة وبشهورها وايامها بل وبساعاتها ولحظاتها ... سنودع هذا الزمن الطويل الذي حدثت خلاله تطورات عجيبة فى ارجاء هذا العالم ، وعرفت خلاله كذلك تحولات جذرية فى كثير من المفاهيم والنظريات ، بل فى انظمة الحياة وموازن القوى ...

سنودع هذا الزمن الطويل بكل ابعاده واحداثه.

وهنا يجب أن نسأل انفسنا بجد : هل اقتربنا من معرفة انفسنا . وادركنا كنه حقيقتنا وذاتيتنا ؟؟ ام ما زال الجهل بذلك يملأ عقولنا وبصائرنا ؟ ! ويخيم على مداركنا ؟؟ .

لقد كانت احداث القرنين الماضيين كفيلة بان

تهزنا هزا عنيفا وبأن تبعد النوم عن أجفاننا . لان عدونا خلال تلك الحقبة من الزمن اجهز علينا بكل قواته ، فمزقنا شر ممزق ، واستعبدنا أعنف استعباد، واستعمرنا أبشع استعمار ... وسخرنا لاغراضه الدينية تسخير العبيد الاذلاء ، فاستباح حرمنا وداس كرامتنا وسفه أحلامنا ، واهان مقدساتنا ... وكلما شعر بهمسات صوت حر مخلص ، الا واخمد الانفاس وسلط الحديد والنار ... ثم تفنن بعد ذلك في تدبير المؤامرات والاغتيالات ، والانقلابات ... الى آخر القائمة التي نعرفها جميعا ، وهدف بمخططاته الى مسخنا وإبعادنا عن مقوماتنا ...

والحقيقة التي لا مراء فيها هي أننا عانينا ـ وبا ما أقسى ما عانيناه ـ خلال القرنين الماضيين، عانينا من ويلات اعائنا ومن جبروتهم وحقدهم واحتقارهم ، واستغلالهم ... ومـا زال اعداؤنا يستكثرون علينا ان نحيا آمنين ولو في ظل العبودية والخنوع !!

واذا كان من طبيعة هذا الوجود أن المحن تصهر الانسان لتزيل ما الصقته به الاهواء من جهل وغفلة وضلال ...

فهل نحن يا ترى قد استفدنا من المحن ، ومما عانيناه ومما لا نزال نعانيه ؟ ! ام ما زلنا ننتظر محنا جديدة تمحقنا محقا ـ لا قدر الله ـ ان الكبوة قد طال امدها واستحالت الى سقوط مهول !!

الغريب في امرنا هو ان الالام والاحزان ، والبؤس والشقاء كل ذلك لم يعمل بعد على وحدتنا واتحادنا ، اتحادا ينهضنا من الكبوة يجعلنا ننطلق انطلاقا حضاريا يناسب عقيدتنا ، ومبادئنا ، ويناسب عددنا ، مساحة ارضنا وامكاناتنا ومقاومتنا ، ويناسب ماضينا ودورنا في الحياة ويناسب ما بذلنا، بسخاء من اجل تقدم البشرية جمعاء .

ان آمالانا واحزاننا التي عانينا منها وما نزال ، لم تعمل بعد على توحيد خطتنا من اجل النهوض نهضة توقف عملية استغلالنا واسباب تخاذلنا ...

واليوم ها نحن على مشارف مرحلة تاريخية جديدة من حياة امتنا الاسلامية الممتدة من أقصى الشرق الى اقصى الغرب ، فما هي مخططاتنا ؟ وما هي تدابيرنا ؟ وما ذا اعددنا لمواجهة المراحل الجديدة من حياتنا ؟ لقد سئمنا الذل والهوان والانقسام والخذلان ، فها هو مسجدنا الاقصى ينادي من وراء الاسلاك والقضبان ، ويعاني من المسخ والتشويه ، وها هي معارك اخواننا بلبنان قد دمرت مدينتهم وشردت اسرهم ، ولا رحيم ولا مغيث ! وها هي أحداث أفغنستان وباكستان ، وإيران ، وايرتيريا والصومال ، وما يعانيه اخواننا في الفلبين وكاميوديا وفي كل مكان .

فماذا اعددنا لمواجهة المستقبل يا ترى ؟ ان احتفالنا بمطلع القرن لا يتم الا بالتصميم وعقد العزم على الخروج من هذه الدوامة التي تفصلنا ابشع فصل ، وتمزقنا شر ممزق ... وتجعلنا اكلة سائغة في فم اعدائنا ؟؟

ان القرون الماضية من حياتنا تختلف أشد الاختلاف عن زمننا الحاضر ، لان الحياة اليوم أصبحت لا مجال فيها للمتواني أو المتردد ، وعلينا ان نأخذ مواقعنا الحقيقية في هذه الحياة ، وان نأخذ مكانتنا الجديرة بنا كأمة اسلامية تتكون من ( 750 مليون ) وتمتد من طنجة الى جاكرتا ... والا فسنظل تافهين مخذولين بالرغم من مئات ملايينا وبالرغم من تعدد شعوبنا وخيراتنا ، لان كل ذلك سوف لا ينفعنا ما دمنا لا نخطط لانفسنا بانفسنا وما دمنا آلة توجد أزرارها خارج ذاتينا وخارج بلادنا .

**تطوان : عبد القادر العافية**

# يمينك يا شعب المسيرة صادق

شعر : الأستاذ وجيه فهمي صلاح

تبسم ثغر الورد فالجو عاطر — وحبل القوافي طيع وجميل

وفي النفس شوق للقريض يهزها — اراه بغير الشعر ليس يزول

رويدك شعري انني اليوم ملهم — بمن الهم الجلمود كيف يقول

اطل علينا عاهل البشر والندى — تحيه أرواح لنا وعقول

مواكب عرفان تدور بفكره — وفى روحه مجد الجدود اثيل

مليك له بين القلوب منازل — وليس له بين الملوك مثيل

اذا لاح فى ركب رعته قلوبنا — ويقفو خطاه الشوق حيث يجول

امام النهى والفكر والخير والهدى — اليه قلوب المسلمين تميل

اذا اشتد خطب تطرق الغرب بابه — فتشرق آمال به وحلول

بليغ يفيض النور فى نبراته — فتسمع صوت الحق حين يقول

دعانا الى قطع المفاوز فانبرى — شباب يلبون الندا وكهول

وفاض على الصحراء زحف مقدس — له مرشد فى ملكنا ودليل

على هدي آي الله كان مسيره — فكان الى الفتح المبين سبيل

وكا التفاف الشعب حول مليكه — فكان الى القصد النبيل وصول

حدوك يا شعب المسيرة يصطلى — ورملك موفور العطاء ظليل

صداك على الآفاق دوى مكرما — وغنت له فى العالمين عقول

سوى رهط حساد يموت بغيظه — وينفث سما بعده سيزول

فذا الرمل فى الصحراء اينع غرسه — وهلل فيها مزهر وخميل

حمائم يمن في رباها طليقة ... لهن على خضر الغصون هديل
يرها المعافى وهي جذلى طروبة ... وليس يراها حاسد وعليل
سمت ارضنا بالعرش واعتز أمرها ... وبالعرش تسمو أرضنا وتطول
سقاها بماء كاللجين فأثمرت ... وهشت جبال بالمنى وسهول
سعود تصون الخصب أن عز غيثنا ... كما صان في اوض الكنانة نيل
فبالحسن المقدام تشرق دارنا ... يزين رباها باسم وجميل
ايا موطني يا بسمة الحب والمنى ... حداك جليل للعلا وجليل
ملوك على مر العصور اشاوس ... وشعب عظيم التضحيات نبيل
اذاقوا غزاة الدار في الحرب علقما ... فذل عدو ههنا ودخيل
لهم في جبين الدهر اسفار ماجد ... عليها كنور الشمس قام دليل
سمو بلواء العلم ، والكون مظلم ... فروع له دانت بهم واصول
وذادت عن الدين الحنيف سيوفهم ... لها رنة يوم الوغى وصليل
يمينك يا شعب المسيرة صادق ... وانت على هام الوفاء فعول
تظل وفيا كالجدود لتربتنا ... فيحمل جيل ما حملت فجيل
عرفناك يا شعب المسيرة شامخا ... تنال الاماني جمة وتطول
بلوناك في الهيجاء نارا ضريمها ... يصول بساحات الوغى ويجول
فدم في ظلال العرش شعبا مكرما ... يسراك جيلا سيد وجليل
تزول الرواسي الشامخات وتنحني ... وانت العريق المجد لست تزول

**الرباط : وجيه فهمي صلاح**

قراءة في أدب مغربي حديث :

# أيامنا الخضراء

شعر : الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي
عرض وتقديم : الأستاذ أحمد تسوكي

ان أعمال احمد عبد السلام البقالي الادبية ، لم تلق لحد الآن من يتناولها بالنقد والدراسة والتحليل تناولا شموليا ، برغم أن تلك الاعمال بلغت حتى الآن ثلاث مجموعات قصصية ، ورواية واحدة ، وديوان شعر صدر له في اواخر عام 1976 .

وتجربة ادبية طويلة وعريضة ، وبهذا التعدد والتنوع ، وبهذه الخصوبة الممتعة ، لا بد وأن تخلق لدى الناقد المتتبع ـ فضلا عن القارئ ـ اغراء يصعب مقاومته للكتابة عن الاديب أحمد عبد السلام البقالي ، لكننا سوف نصاب بخيبة امل عميقة ، لان اديبا اصيلا مثل احمد البقالي ، لم يلق ما يستحقه من النقد والدراسة والبحث من طرف من يتصدون لذلك عندنا .

الا يحق لنا التساؤل بجد عن اسباب هذه الظاهرة ، وما تنطوي عليه من « خطر » على ادبنا ونقدنا الحديثين ؟ ولمصلحة من هذا الصمت عن خمسة أعمال ادبية جادة لكاتب مغربي تمتد تجربته الادبية الى نحو ثلاثين سنة حين كتب قصيدته : تحية المتنبي سنة 1948 ؟ أن تجربة احمد البقالي الادبية تغطي على امتدادها الزمني مسيرة ثلاثة أجيال على الاقل ، بالمعنى الادبي والمعنى الزمني على السواء . ورغم ذلك فاعماله الادبية لم تحظ بعد من النقاد والدارسين بما تستحقه ، مع أن أعمالا أدبية اخرى لشعراء وأدباء أقل شانا من احمد البقالي قد لقيت من الحظوة عند هؤلاء قدرا لا يستهان به .

ان الشاعر احمد عبد السلام البقالي متواضع ، لذلك يبدو وكانه لا يابه بالشهرة وذيوع الصيت ، ولا يسعى الى الاضواء كما يعدو وراءها شعراء وكتاب اقل قيمة ادبية وفنية منه ... هل بسبب هذا التواضع واختياره الوقوف في منطقة الظل ، لم تحظ اعماله بالدراسة والنقد والتحليل كما حظي به الآخرون ـ وهم عديدون ـ واقل شاعرية منه ؟ !

لقد ابدع فى صمت ، وعانى فى صمت ، وخرج ديوانه فى صمت ، ولم يلتفت اليه الا قلة قليلة من الكتاب والنقاد . لقد آثر اذن أن يكتب ويعيش فى صمت — ومنذ البداية — كما يفعل المبدعون الحقيقيون عادة !

وبعد ، ألسنا امام ظاهرة غير صحية فى حياتنا النقدية بصفة خاصة والثقافية بصفة عامة ؟ !

ولا اود ان استطرد فى ما لا يتصل بمشروعي هنا — اساسا — ، فتجرني ذيول الظاهرة معها الى هموم ، لو جرفتني فى تيارها لاصاب نفسي الاسى والحزن مما نعيشه ونشهده فى حياتنا الثقافية من سلبيات منكرة ، تنغص على من يعيش هذه الحياة واجواءها ، وقته وتكدر صفوه .. ولان المجال هنا ليس مخصصا لذلك ، فمن الخير أن ابتعد عن هذا الموضوع حتى لا تنتقل عدوى ما اصابني الى القارىء، ولكن الى حين !

لقد كان بودي ان ابدا هذه القراءة لاعمال احمد البقالي من حيث بدأ هو ، اي ان اعود الى الوراء عشرين سنة لابدا فى قراءة مجموعته القصصية الاولى : « قصص من المغرب » المنشورة عام 1957، مرورا بمجموعته الثانية « الفجر الكاذب » ( سنة 1964 ) و « يد المحبة » ( سنة 1973 ) ، ثم ديوانه: « ايامنا الخضراء » ( سنة 1976 ) ، تليه روايته « المومياء » ( سنة 1977 ) ومجموعته القصصية : « الطوفان الارزق » المنشورة فى نفس السنة ... وتلك هي اعماله الادبية المنشورة الى حد الآن ، علما بان للشاعر اعمالا اخرى بعضها تحت الطبع ، وبعضها الآخر لا زال مخطوطا ينتظر دوره (1) .

قلت : كان بودي أن افصل ذلك ، لاتتبع مع الشاعر الاديب أحمد البقالي الخط الذي سارت فيه وعليه تجربته الادبية الخصبة التي تعكسها اعماله المنشورة ، لكني آثرت طريقا آخر لايماني انني لا الحق ضررا بتلك الاعمال ولا بتلك التجربة لو سلكت السبيل الذي اخترته ، وهو الوقوف أمام ديوان الشاعر : « ايامنا الخضراء » وقفة قد تطول وقد تقصر ، ولاعتقادي كذلك أن هذا الديوان يتيح لنا أن نطرق تجربة الشاعر من اوسع ابوابها ، لان الديوان يترجم لنا تلك التجربة اكثر من اي عمل ادبي آخر ، ترجمة امينة وصادقة ، ولانه — من جهة اخرى — يمثل حياة الشاعر وتجاربه تمثيلا حيا .

فارجو أن اكون قد وفقت !

لقد اعتاد الشعراء ان يسندوا مهمة كتابة مقدمات دواوينهم الى نقاد وكتاب ، اما ان يكونوا منحازين الى الشاعر فى غالب الاحيان ، أو منحازين ضده ، لكن الشاعر أحمد البقالي يخرج عن هذا التقليد ويكسر تلك القاعدة ، فيفاجئنا فى ديوانه بمقدمة كتبها بنفسه ، لقد اختار اذن من البداية اسلوبا صريحا فى حواره ولقائه مع القارىء والناقد والباحث والدارس .

والمقدمة ، ليست مما يعهد عادة ويألف فى مقدمات الدواوين ، فالشاعر لا يتحدث فيها عن شعره وتحولاته وتطوراته وخصائصه وهيئاته ، أو كيف بدا ينظم الشعر ثم ينشده وينشره على الناس ، اذ لا يلمس ذلك ، ولا يقترب منه الا فى أقوال وعبارات مبعثرة هنا وهناك من المقدمة ..

فما ذا فى المقدمة اذن ؟

سوف اكون قاسيا على الشاعر وعلى القارىء ايضا — كما كنت قاسيا على نفسي — حين اقول انها اشبه بالنفس الاخير الذي يحتفظ به الانسان فى الحياة ، أو بالصرخة الاخيرة التي يطلقها الغريق قبل ان تبتلعه أمواج البحر المحدقة به ، الهادرة من حوله .. !

بعد ثلاثين سنة من الابداع والخلق الشعري ، يقف الشاعر أمام ذلك الركام من القصائد — اختلف شكلها كما اختلف مضمونها — يختار منه ما يقدمه للناس وهو راض عنه بطريقة أوبأخرى ، لكن الشاعر يصاب بالدهشة لانه يجد نفسه فى موقف فيه من الحرج الشيء الكثير ، « فقصائد الديوان كتبت فى بحر الثلاثين سنة الماضية .. وربما كتبها عشرة أو عشرون شخصا معنويا سكنوا جسدا واحدا ، ثم غادروه لساكنه الجديد ... هذا الساكن — الذي هو انا الآن — والذي ورث ركاما هائلا من تجارب سابقيه ، يختلف عنهم فى السن الزمني ، والعقلي ، والعاطفي ... ويخالفهم الراي فى بعض ما كانوا يؤمنون أو يكفرون به » — المقدمة ص 5 — الا ان

(1) صدرت للمؤلف بعد كتابة هذا المقال مجموعة قصص تحت عنوان « اماندا وبعدها الموت ودماغ المكروط » . ( دعوة الحق )

الشاعر صادق مع نفسه لانه يكلفها بعض الجهد والمشقة والعنت حين يجمع هؤلاء الاشخاص فى هجرة واحدة — رغم ما بينهم من اختلاف — « لا ليحاكمهم على ما اجترحوه من آثام ، ولا يقسو عليهم فى ما يصدره من احكام ... انه اقرب الناس اليهم ، واعرفهم بحقيقتهم ، واكثرهم تقديرا لظروفهم ، وفوق ذلك اقواهم ايمانا بانهم صدروا فى كل ما كتبوه ، عن شاعرية حقة ، ونقاء فى الضمير ، وصدق فى الوطنية ، وجهاد من اجل الحرية والعدالة الاجتماعية ، وايمان بمبادىء الحق والخير والجمال» — المقدمة ص 5 —

ثم يتساءل الشاعر : هل ما يزال للشعر قراء فى غير النوادي الادبية ، وخلف جدران الجامعات ؟ وهل بلادنا فى حاجة الى دواوين ؟ » المقدمة ص 6.

ان السؤال مرعب ، شبيه به قولنا او سؤالنا : هل ما يزال للشعر قراء فى هذا الزمن ؟ وهل ما يزال له دور فى عصرنا ؟

ان الشاعر يجيب بنعم ، لكن هذه « النعم » مشوبة — عندي لا عنده — بالشك ، بالتحفظ ، انها تنم عن « خجل » دفين فى اعماقه ، لقد كان بوده ان يقول « لا » ، لكن حتى هذه « اللا » ستنطوي بدورها على الشك ، والتحفظ ، وسيخجل الشاعر من التصريح بها ايضا . لماذا ؟

ان الشاعر مفجوع ، او بتعبير أصح « مصدوم». ممـاذا ؟

دعنا اولا نفسر ونشرح معنى هذه « الصدمة »: فى سنة 1977 اصدر كاتب امريكي اسمه اليفن توفلر كتابا بعنوان : « صدمة المستقبل » ، وكان قد استخدم هذا المصطلح « صدمة المستقبل » لاول مرة سنة 1965 للدلالة على التغير السريع الذي يشهده عصرنا فى الفكر والمادة ، وعلى الاحساس بالخوف لدى الانسان من المستقبل وعجزه عن مسايرة التغير السريع ، ولذلك جاء مؤلفه « صدمة المستقبل » ليقدم كلمة العصر الى الانسان من أجل انقاذ ذاته بملاحقة التغيير ، وتحقيق التوازن فى داخله ، قبل ان يجرفه تيار التكنولوجيا ، وتعصف به العاصفة العاتية فيصاب بالشيخوخة المبكرة ( البروجريا ) . لقد كان فرانسيس بيكون ( 1561 — 1626 ) يقول فى بداية عصر الفلسفة التجريبية : « المعرفة هي القوة » وذلك خلال دعوته لتاسيس فلسفة جديدة تقوم على تعليم الانسان كيف يزيد من قدرته على السيطرة على الطبيعة والبيئة وسخر مواردها واخضعها لرغباته ونزواته . وكما يقول توفلر : « اذا كانت التكنولوجيا هي المحرك الضخم للتغيير ، فالمعرفة هي وقود هذا المحرك » .

فهل يقدر الانسان على مواجهة سرعة التغير ، وينتصر من جديد على « صدمة المستقبل » كما انتصر من قبل على تحديات اخرى ؟ وهل ينجح فى صراعه مع سرعة التغير حتى يكتب له البقاء وتستمر حضارة البشر على الارض ؟

ان للشاعر — حين يسوق قصة هذه الصدمة فى مقدمة الديوان — يفضي به الى القول مع توفلر : ان سكان الارض حاليا عبارة عن مسافرين فى قطار يجري بسرعة مذهلة فى منحدر حاد ، بدون سائق ، فى ظلام دامس ، واوجههم الى الخلف ، واعينهم معصوبة » . فهل يشك الشاعر — هنا بالذات — فى دور الشعر ووظيفته فى هذا العصر المتغير الذي يصفه توفلر بتلك الكلمات الحادة وينعته بالقسوة والتفاهة ، مما دفع شاعرنا الى وصف حضارة العصر بالضحالة الحضارية الورقية العابرة ؟

لقد عاش الشاعر فى ذلك المجتمع الذي كتب عنه توفلر ما كتب ، أزيد من عشر سنوات من حياته، فعانى كثيرا مما تحدث عنه توفلر « من عبورية وتغير وسرعة زوال بالنسبة للوجود المادي للاشياء كالآلات والادوات اليومية والمخترعات ، أو بالنسبة للعادات والتقاليد ، والقيم الروحية والمبادىء الاخلاقية ، والمقاييس الحضارية والاجتماعية ، والجمالية « — المقدمة ص 8 — كما عاش الشاعر « فى رعب دائم من القنبلة ، والتلويث ، والحرب الثالثة ... » و « شعرت فى كثير من الاحيان بانني كاس من ورق ساسحق ويلقى بي فى سلة المهملات حال الاستغناء عني » — المقدمة ص 8 .

لقد قلت ان الشاعر « مصدوم » ، هل كانت السطور السابقة محاولة للاجابة عن ذلك ؟ ان مقدمة الديوان جاءت اشبه بالنفس الاخير الذي يحتفظ به المرء فى الحياة ... هل كان الشاعر يحس بهذا الاحساس حين قذف بديوانه الى المطبعة ، هل كان يشعر — من حيث يدري أو لا يدري — بلا جدوى

الشعر في هذا العصر الذي عاش فيه الشاعر الاحساس بصدمة المستقبل ؟

ان مقدمة الديوان تلقي اضواء كاشفة على تجربة الشاعر ، وهي تكاد تكون أحد المفاتيح الرئيسية لفهم هذه التجربة واستيعاب أبعادها . لقد اراد الشاعر لنا ان نفهمه بواسطة الشعر فقط ، ولكنه وضعنا في قلب عالم رفضه الشاعر ووقف من مجتمعه المتغير موقف المعارضة روحيا وفكريا وحضاريا ووجدانيا . وسنرى في ما بعد آثار وانعكاسات ذلك الرفض والمعارضة في شعره الذي كتبه في الولايات المتحدة بصفة خاصة .

ان الشاعر ابن أصيل لمدينة صغيرة عريقة ، تتجلبب بالسكون والطمأنينة ، لا يكسر هدوءها الجذاب ، وسكينتها الهادئة ووداعتها ، الا حين توقع امواج البحر الحانها الصاخبة على ساحل المدينة المتلألىء ، وحين تضفي الشمس ، ساعة الغروب ، الوان اشعتها على ابراجها السامقة ، وصوامع مساجدها الشامخة ، وصخورها التي ترك عليها التاريخ بصماته البارزة ، ونقش في ذاكرة المدينة ذكريات لا زالت تشع بالوميض ، وتنبض بالحياة في دروبها وبروجها وأزقتها ، وعلى قسمات وجوه سكانها ... انها مدينة اصيلا !

من تلك المدينة التي تعيش كحلم في ذاكرة العصور ، الناعسة في أحضان البحر تتدفأ في أعماق صدفاته ... ومن تاريخها ، ومن طبيعتها وهيئتها الخاصة بها ... تفجر الهام الشاعر وتأججت قريحته . وهو يحمد الله لانه لم يولد في مدينة كبيرة ... والا — على حد تعبير — لكان أصيب بالعقم من عامه الاول !

ولا ادري هل اشاطر الشاعر هذا الرأى أم اخالفه فيه ! فالمدن الكبيرة ، شأنها شأن المدن الصغيرة ، تنجب ايضا شعراء كبارا ، والقرى كذلك تنجب الشعراء ...

انها قولة تصدر عن شاعر عاش في مخاض صدمة المستقبل ، وعانى آلامه ، وتكبد أحزانه ، فانطوى عليها وجدانه وضميره ، ولانه شاعر أصيل، فقد ظل بعيدا عن تشرب القيم الثقافية والفكرية لمجتمع : صدمة المستقبل رغم معاناته ومكابدته له.

ان الشاعر حين كتب مقدمة ديوانه بنفسه لنفسه ، كان واعيا أكثر من غيره بالدوافع والعوامل والشروط التي تكمن في باطن تجربته كشاعر ، ولو قيض لاحد غيره ، أن يكتب مقدمة الديوان لما كان في مقدوره قط أن يلمس هذه الدوافع والعوامل ويمسها كما فعل صاحب الديوان .

الديوان — كما يقول الشاعر نفسه — ليس له وحده — وهو يقصد بذلك انه لم يكتبه « وحده » ، بل كتبه أكثر من « شاعر » . فالثلاثون سنة الماضية التي كتبت في غضونها قصائد الديوان ، تمثل حيزا زمانيا وحيزا مكانيا تنقل فيهما الشاعر احمد البقالي وكتب فيهما قصائد مختلفة ، حتى ليبدو أن لكل قصيدة في الديوان شاعرها الخاص ، لكن صاحبها ومبدعها اولا واخيرا هو احمد البقالي ، ولذلك فالقارىء والباحث والدارس سيجدون جميعا تفاوتا وتباينا في قصائد الديوان ، سواء من ناحية الشكل أو من ناحية المضمون ، الا ان « كلا منها وليد ظروفه ، ومعاناته ، ومخاضه ... » .

فاذا استطاع هذا الديوان — يقول الشاعر — ان يضيف الى تراثنا الثقافي قطرة واحد ، فليذهب قرير العين لان وجوده لم يكن سدى » .

أن العلاقة بين تلك « القطرة الواحدة » هنا ، وبين صدمة المستقبل ، هناك ، لا زالت قائمة ، وهي علاقة لا تحدد ملامحها وأبعادها وتأثيراتها وانعكاساتها ... مقدمة الديوان فحسب ، بل وكذلك الديوان نفسه .

ولكي نعرف الديوان ، لا بد في البداية من تعريف القارىء بصاحب الديوان — وهو في الواقع امر لا داعي له لولا أن احمد البقالي هو : ايامنا الخضراء ، وايامنا الخضراء هي أحمد عبد السلام البقالي ! ولذلك اجلت بقية الحديث الى بحث آخر باذن الله .

**الرباط : احمد تسوكي**

كتاب

# فواصل الجمان

## وتأثر النثر المغربي بالمدرسة النثرية الأندلسية

- 2 -

لأستاذ الحسن الشاهدي

**أسلـــوب فواصــــل الجمــــان :**

ان القارىء لهذا الكتاب لا يعسر عليه ان يلاحظ ظاهرة شائعة فى مجموع صفحاته ابتداء من الاهداء والمقدمة ، تلك هي ظاهرة السجع . يقول المؤلف فى مقدمة كتابه :

«ان انفس ما تتوجت به عقائل الوسائل وتبرجت به صدور الكتب والرسائل ، ولهج به لسان المتذلل السائل من عظيم الفضل السائل حمد من امتع احداق العقول فى حدائق النقول ، واودع راحة الملول من معاناة الدال والمدلول ، وابانة الصحيح والمعلول ، فى استجلاء مخدرات النوادر ومبتكرات الخواطر ، فترشف من ريقها المعســـول كؤوس الشمـــول ، واستنشق من ردنها المسدول ارج القبـــول ، اذا جرت على البطاح الذيول فاصبح فكره كعين الديك صفاء ، وزهوه كوعد الكريم وفاء ، ليس بمعروف ولا بمعدول ولا فى مضمار المساجلة بمخذول » (1) .

فالاسلوب يطغى عليه السجع ويبدو فيه الالتزام بالموازنة بين جملتين او اكثر ، مما يحدث وقعـــا موسيقيا محببا ، كما يبرز الجري وراء المحسنات البديعية كالجناس التام او الناقص ، والميـــل الى استخدام التشبيهات على عادة الاندلسيين ، وتعمد استعمال الالفاظ العلمية النحوية فى شكل توريـــة — كالصحيح والمعلول والمصروف والمعدول — على طريقة اهل عصره (2) ايضا كما يلاحظ قصر الجمل المستعملة ، لكن هذا لا يمنعه من اعادة الضمائر على ما هو بعيد ، الشيء الذي جعل كتابته تمتاز بطـــول النــــفس .

ومثل هذا الاسلوب وان كان مقبولا فى المقدمة، وشيئا يحرص عليه كل المؤلفين فى تلك الفتــــرة ، ويتعمدونه فى مقدمات تآليفهم ، لاظهار مقدرتهم فى التعبير والبيان ، وتلوين الكلام ، لكن غريب بلتـــزم السجع والمحسنات ايضا فى تراجم الاعلام والتعريف بهم ، حيث يحسن ان تكون الكتابة لها سمة علمية ، يقول عن ابن المواز المتوفى فى بداية هذا القرن : « روض علم سقيت بماء الادب ادواحه ، فزهت ثماره وذكت ارواحه ، كالقلم ظرفا وقامة ، والعلم شموخـــا وشهامة ، والسيف حدة وصرامة » (3) ، فملاحظـــة السجع ، فى هذه الترجمة ، والاعتماد على التشبيه والموازنة بين الجمل لا تحتاج الى كثير بحث ونظر .

وتبرز فى الكتاب بوضوح ظاهرة الاستطـــراد والتقصي للاخبار والاحاطة بكل ما له علاقة بالموضوع، ففي ترجمته مثلا للحاجب الوزير ابى عمران موسى المتوفى فى نهاية القرن الماضي (4) يستطرد للتفصيل

(1) فواصـــل الجمـــان ، ص 1 .
(2) فواصـــل الجمـــان ، ص 255 .
(3) فواصـــل الجمـــان ، ص 183 .
(4) فواصـــل الجمـــان ، ص 76 .

فى الرتبة النبوية والخلافة الباطنيــة والظاهريــة والسلطة القهرية .

وحين يذكر غريط الرسالة الشعرية التي كتبها اكنسوس عن المولى عبد الرحمن مخاطبا باي تونس يستطرد لذكر الجواب عنها من نظم قباذ التونسي ، وكذلك الامر حينما يثبت رسالة اكنسوس فى تهنئة المولى التهامي فانه يشير الى ما تضمنته من كلام ابن الخطيب ، ثم يورد رسالة ابن الخطيب المنقول منها، يؤدي به هذا الى تتبع كلام ابن الخطيب فى انتــاج اهل عصره مثل رسالة الدمناتي فى جوابه للفقيه ابي علي العطار ، حيث ارجع الكثير منها الى رسالة ابن الخطيب ، كل ذلك يسوق غريط الى ملاحظة التأثر بهذا الاديب الاندلسي والاخذ من نثره فى رسالــة شيخ الاسلام حسن خير الله فى الممالك العثمانيــة مما يفرض على المؤلف غريط طرح السؤال : هــل مثل هذا يعتبر سرقة على نحو ما هــو معروف فى السرقات الشعرية ؟ ويلجأ فى الجواب عن سؤاله الى ابي العباس البلغيثي موردا رسالته اليه والجواب عنها شعــرا ونثــرا .

هذا نموذج لما نصادفه فى كل تراجم الكتــاب من الحرص على الاحاطة والاستطراد الى ذكر المعلومات المتعددة وان كان لا يجمع بينها الا اشارة بسيطة .

فما هو سبب ميل محمد غريــط الى هــذه الظاهرة ؟ لعل ذلك راجع الى اسباب عديدة منها :

1 ـ كونه اديبا متذوقا وشاعرا قبل ان يكون مؤلفــا لذلك لا يستغرب ايراده للاشعار التي استهوته، وانتقاؤه للنماذج التي راى فيها روعة وفنا فى موضوع معين ، كتتبعه لكــل الاشعار التــي استحسنها فى وصف القلم بعد ان أورد شعر اكنسوس (5) فى هذا الموضوع .

2 ـ ثم انه مثقف متمكن من جوانب الثقافة اللغوية والادبية ، لهذا طغت موسوعيته على طريقته فى فى التاليف ، تجلى ذلك فى سوقه لكثير مــن الاشعار ، واشارته الى الكتب والفنون المختلفة مما يدل على اطلاعه عليها كالفقه والفلك والنحو واللغة ... وفى استشهاده بالشعر والقرءان والحديث . كما تتجلى موسوعيته فى حرصه على ذكر السند والرواية بالنسبة للمنقول وذلك باحالته على مصادر تلك الآثار المنقولة وتعليقاته المناسبة عليها ، وتبدو هذه الموسوعية ايضــا فى اشاراته التاريخية الكثيرة كوصفه لعامــل فاس ـ اثناء ترجمة الشرفي ـ بالتجبر « كان زيادا حشو ثيابه ، وابا مسلم آخر بركابــه ، والحجاج واقف ببابه » (6) ؛ وفى اهتمامــه بالشرح اللغوي فى بعض الاحيان ، فورود الخال مثلا فى قول ابي عبد الله اكنسوس :

ضاءت به سرج العلاء وطرزت
وجه الفخار بنقط خال وشام

يجعله مدفوعا الى ايراد قصيدة للامام البشري فى معاني الخالي لغة وهي تتضمــن واحــدا وعشرين معنى ، يتبعها بثلاثة معاني اخــرى اثناء الشرح والتوضيح ، نتيجة اهتمامه اللغوي وقدرته فى هذا الميدان .

3 ـ وترجع ميزة الاستطراد ايضا الى طبيعة التأليف فى عصره والتي كانت تعني ايــراد الاخبــار وتقصي الحوادث ، وتسجيل النوادر والحكايات، والاشارة الى التاريخ والقصص ، ويعتــرف غريط بذلك فى آخر كتابه قائلا : « انما هــي ثمرات أوراق التقطتها وفاكهة وقيمة ادخرتها من كل نادرة خفيت على العموم ، وان علمهــا الخصوص ، ونبا لم يكن فى كتــب الاخبــار بمنصوص ، وشعر يلاحظ قائله او يستمد منه ناقله ، ونثر تحلى به اجياد المحاضرة ، وتحلى به اكواب المذاكر ة، وليس لي فى تاليف هذه الاصول الا مزية الجمع وزينة السجع » (7) .

4 ـ وياتي اخيرا اهتمامه التاريخي الذي اعرب عنه فى مقدمة الكتاب ، والذي كان احد الحوافز له على التاليف بعد ان اهمل التاريخ بين اهــل عصره « فكم من حادث وقع بالامس فنســي بالغد ، ثم ما تذكر ولا فى السمع تجــدد » (8)

---

(5) فواصل الجمان ، ص 173 وما بعدهــا .
(6) فواصــل الجمــان ، ص 210 .
(7) فواصــل الجمــان ، ص 305 .
(8) فواصــل الجمــان ، ص 2 .

لذلك بدا حرصه الكبير على سرد الحوادث التاريخية كلما سنحت له فرصة مناسبة ، مما جعل كتابه زاخر بالمعلومات والوقائع والاخبار التاريخية ، تعرف من خلاله الفتن والثورات التي قام بها جيش الودايا والبخارى ، كما يحوي تفاصيل تمرد عامل فاس ، والاحداث التي صحبت ظروف الحماية من بيعة وعزل وثورة وتدهر في الاحوال الاقتصادية .

وتتراءى للدارس ظاهرة التأثر بالادب الاندلسي في كتابة غريط من تمثله للشعر والنثر الاندلسيين ، لذا فهو حريص في فواصله على ان يشير الى مواطن الالتقاء والتأثر في أدب كل من المغرب والاندلس نثرا وشعرا فابيات العمراوي مثلا يراها شبيهة بأبيات ابن عبد ربه التي يقول في مطلعها :

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا
ورشا بتقطيع القلوب خليقا

وكما سبق فان غريط يرى بأن نثر ابن الخطيب مبثوث في كثير من انتاج الادباء المغاربة ، وان الكتب الاندلسية تعتبر عنده قمة البلاغة لذلك فحفظ قلائد العقيان وغيره شيء اساسي لدى الاديب المغربي (9) .

فهل كان غريط نفسه متأثرا بالادب الاندلسي في كتاباته وتآليفه ؟

وللجواب عن هذا السؤال يجدر بنا الوقوف على الانتاج الاندلسي للتعرف على خصائصه .

**فما هي خصائص النثر الاندلسي اذن ؟**

اذا اعتبرنا ان فترة ازدهار الادب الاندلسي تبتدىء من القرن الخامس الهجري في عهد ملوك الطوائف ، فان الظاهرة التي نسارع الى ملاحظتها هي ان النثر ازدهر واصبح حظه اعظم من حظ الشعر اذ لم يعد مقصورا على تلك الفروع التقليدية البسيطة كالرسالة والخطبة والوصية،بل اتسعت دائرته لتشمل القصة والتاليف على نطاق واسع ، واصبح النثر يستعمل في التعبير عما كان خاصا بالشعر من قبل كالغزل والمديح والهجاء والفخر والوصف بأسلوب « فيه تاثيرات لطريقة الجاحظ ، ولطريقة ابن العميد، ولطريقة بديع الزمان » (10) وامسى التانق في الكتابة شرطا أساسيا حتى في ميدان التاليف ، فمن قراءتنا للذخيرة يتأكد لنا الراي القائل بأن « الكتاب كلهم غمرهم ذوق السجع » (11) واستمروا كالمشارقة « يعنون بالغريب وبالامثال والاقتباس من القرءان كما عنوا كثيرا بحل الشعر وتضمينه » (12) وتعمدوا اظهار مقدرتهم العلمية بعرض المعلومات التاريخية ، والتعرض للامثال والوقائع والاراء . ويمكن اعتبار نثر ابن زيدون في رسالتيه نموذجا لهذا النوع من النثر الذي سيطرت عليه الصنعة .

ولعل كتاب « الذخيرة » اهم المراجع التي تعكس سمات النثر الاندلسي لهذه الفترة عامة ، نظرا لمحتوياته الكثيرة ، ومختراته النثرية المتنوعة ، والاخبار التاريخية الماخوذة من مصادر عديدة ، وترجع اهميته الى ان الكتاب لا يمثل نثر ابن بسام فقط بجزالته واشراقه وتقلب السجع عليه بل تعرف من خلاله طريقة الكتابة عند الذين اورد ابن بسام نماذج من انتاجهم كأبي المغيرة ابن حزم ، وابن الشهيد ، والقرطبي ، وغيرهم .

الا ان النثر يبلغ قمة الصنعة البديعية على يد ابن الخطيب الذي وصف بانه « ابرع كاتب اخرجته الاندلس في عصورها الاخيرة » (13) حيث عرف اسلوبه بالاطناب والترادف الى حد الملل مما جعل اسجاعه احيانا متعسفة مستثقلة ، كما عرف بظاهرة التصنع لمصطلحات العلوم اللغوية ، وأسلوبه على العموم لم يبتعد عن أسلوب الكتاب الاندلسيين فقد لاحظ المقري بأن ابن الخطيب سلك في مؤلفاته وتراجمه أسلوبا « على طريقة صاحب القلائد والمطمح ابى نصر الفتح بن عبيد الله المدعو بابن خاقان بليغ

(9) فواصل الجمان ، ص 26 .
(10) الادب الاندلسي . د. احمد هيكل ، ص 415.
(11) الفن ومذاهبه في النثر العربي للدكتور شوقي ضيف ، ص 325 .
(12) نفس المرجع .
(13) الفن ومذاهبه في النثر ، ص 334 .

الاندلس غير مدافع ، وعلى نهـج مباريــه ابن بسام صاحب الذخيرة » (14) .

### الادب الاندلسي والمغربـي :

وكما كان التنافس بين الاندلس والشـرق على اشده ، واحيانا تبعية الاندلس للشـرق فى كـل المجالات اخصها الادب والثقافـة ، فان المغـرب والاندلس تبادلا التأثير والتأثر أيضا نتج عن ذلـك تنافس كل من الادباء المغاربة والاندلسيين ، والسعي لتغلب احد الفريقين على الآخر والتفوق عليه ، وفى هذا الاطار تدخل المراسلات بين ادباء العدوتين فى الافتخار وتعصب كل الى فريقه ، فلقد شهدت بلاد المغرب بأدب الاندلس والرغبة فى احتذائه ، والنسج « ضربا من الملاحاة والمفاخرة بين ادباء البلدين »(15)

الا انه مع ذلك كانت هناك روح اعجاب بين ادباء المغرب بأدب الاندلس والرغبة فى احتذائه ، والنسج على منواله ، والانكباب على تدارسه ، بل وحفـظ مؤلفات أصحابه ، حتى صارت ثقافة الاديب المغربي لا تكمل الا بحفظ قلائد العقيان وغيـره ، واصبـح الانتاج الاندلسي محط اهتمام المغاربة الادباء زمـن المقري فى القرن الحادي عشر الهجري يقول متحدثا عن ابن الخطيب : « اما نثره فهو البحر الزخار ، بل الدر الذي به الافتخار ، وناهيك ان كتبـه الآن فى المغرب قبلة أرباب الانشاء التي اليها يصلون ، وسوق درزهم النفيسة التي يزينون بها صدور طروسهـم ويحلون » (16) فلا عجب بعد ذلك اذا وجدنا ان نصوصا من اقوال ابن الخطيب وشذرات من مؤلفاته منتشرة فى نثر المنشئين المغاربة ، كما يتبين مما ورد فى فواصل الجمان ، حيث سهل لدى غريط ارجاع الكثير من اقوال ابن الخطيب الى مصدرها من نثره .

ولقد استمر الادباء المغاربة فى عصر النهضة يسيرون على منوال ابن الخطيب فى فنون النثـر المختلفة ، فلم تستطع هذه النهضة وعواملها ان تبعد الكثير منهم عن الالتزام بقواعد النثر الاندلسي مـن « التزام السجع ، وتضمين الامثال السائرة ، والاقوال المأثورة ، واعتماد المجاز والاستعارة والكنايـة فى اداء المعنى المراد ، فضلا عن ارتكاب وجوه التحسين اللفظي المتعددة التي تدخل فى نطـاق الصناعـة البديعية » (17) ندرك صحة هذا من عرض النماذج المختلفة فى فنون النثر المتنوعة التي تناولها كل من الادباء الاندلسيين والمغاربة ، من رسالـة ووصف ، ومقامـــة .

فمن قراءتنا لوصف الروض مثلا عنـد محمد الفاطمي الصقلي المتوفى سنة 1311 نتبين بصمات المدرسة الاندلسية فى الشكل والمضمون جاء فى وصفه « بروض طوق جيده بالنهر ، ورصع بساطـه بالزهر ، واختالت أشجاره ، وانهارت أنهاره ، وتفتح سوسنه وشقيقه ، وتطلع من خد الورد عقيقـه ،

وغضى النرجس من الحياء طرفه ، ومـن المنثـور اصابعا اذ فتح النسرين كفه ، وابتسم ثغر اقحوانه.. وبه منتزه يفوق الخورنق والسدير والزاهي ، والابلق وقصر الرصافة والباهي ، والثمانين والبديع تكـاد ابراجه تزاحم كيوان » (18) .

فالتشابه واضح بين هذا الوصف وبين ما عرف عن الاندلسيين عامة من براعتهم فى هذا الميـدان واستغلالهم لقدرتهم البلاغية واظهـار فصاحتهـم وتلوينهم للكلام . يقول ابن الخطيب مثلا واصفا نهر قرطبة : « حيث كرائم السحاب تزور عرائس الرياض الحبائب ، فتحمل لها من الدر نثارا ، حيث شمـول الشمال تدار الادواح ، بالغدور والرواح ، فتـرى الغصون سكارى وما هم بسكارى ، حيـث ايـدي الافتتاح تفتض من شقائق البطاح ابكارا ، حيث ثغور الاقاح الباسم تقبلها بالسحر زوار النواسم فتخفـق قلوب النجوم الغيارى » .

ففى الوصفين معا حرص على التفوق فى الصناعة البديعية ، والتزام بالسجع والموازنة بين الجمل ، والتشخيص فى الوصف ، والاشارات التاريخيـة ، واستخدام الخيال والشاعرية فى النثر أيضا .

---

(14) نفـح الطيـب ج 6 ص 220 .
(15) ادب المغاربة والاندلسيين للاستاذ محمد رضـا ، ص 116 .
(16) نفـح الطيـب ج 6 ، ص 164 .
(17) احاديث عن الادب المغربي للاستاذ عبد الله كنـون ، ص 22 .
(18) احاديث عن الادب المغربي ، ص 22 .



وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
رقم ..................

ويبدو التشابه ايضا بين مقامات عبد السلام المحب ، وهو معاصر لغريط ، والمقامات الاندلسية المتعددة في طريقة الوصف ، واستخدام الجمل الحالية ، والسجع ، والجناس ، والتشبيه ولا يفوتنا ونحن نرصد أوجه الشبه بين الادب الاندلسي والمغربي من حيث التقيد بالبديع والالتزام بالصناعة، ان نشير الى حقيقة لا بد من الاعتراف بها ، وهي انه منذ بداية القرن الحالي ، ونظرا لانتشار الصحافة ، وشيوع المقالة ، اخذ الكتاب للمقالات يتخلصون شيئا فشيئا من القيود التي اثقلت كاهل النثر والفها الكتاب في العهود السابقة ، فظهرت المقالة باسلوب يحمل طابع الجدة والحرية والابتكار للمعاني ، والدقة في التعبير عنها ، وتجنب الموضوعات التقليدية بالخوض في مجالات جديدة استدعتها ظروف حياتهم.

ومن هذه المقالات التي تتسم بالتحرر والتجديد ما كتبه محمد السليماني ( ـ 1344 هـ ) حول الشؤون الاجتماعية في موضوع التبذير والاسراف (19) فلقد اتت مقالته بعيدة عن التكلف ، مجنبة للسجع ، والتكرار الممل ، بل نسقت جملها وحبكت الفاظها بدقة علمية تعكس التطور الذي طرا على النثر الادبي .

وتدخل ضمن هذا التطور شكلا ومضمونا مقالة الاوراوي ( ـ 1350 هـ ) في الرياضة البدنية (20) التي اظهرت سعة معرفة صاحبها وقدرته على التوضيح والمقارنة ، فدعوته الى ممارسة الرياضة انبنت على نواحي علمية وتاريخية لا على الخطابة واثارة العواطف.

وفي هذا الجو الذي بدا الجديد يكتسح فيه كل شيء نهض الشباب الذين اطلعوا على الثقافتين العربية والاجنبية بنوع من المقالة ، تخلص من كل محاكاة وتقليد ، كمقالة عبد القادر الوزاني في موضوع الاقتصاد السياسي ، فهي بمادتها الخصبة واسلوبها العلمي الذي تفرضه الترجمة لاقوال علماء الاقتصاد الاجانب ، قد تحدد فيها التعبير عما تضمنته من معاني وافكار فلم يزد شيئا ولم ينقص عن المواد ، وهي فوق ذلك تدل على طواعية اللغة للكاتب الذي استطاع ان يؤدي حقائق الاقتصاد السياسي بهذه السهولة في وقت مبكر جدا من الاطلاع على هذا العلم لا في المغرب فقط بل في العالم العربي أجمع » (21) .

**فكيف كان النشر التاليفي في هذه الفترة ؟**

هل كان هو الآخر متاثرا بالكتابة الاندلسية متمثلا الماضي محتذيا حذوه ، متمسكا بروح المحافظة كما لاحظ الاستاذ عبد الله كنون ؟ الحقيقة ان هذا قد ينطبق على الكتب والتاليف في العهد الماضي ؛ اما في عصر غريط ، فانه قد طرا تحول فكري وادبي عظيم شمل كلا من المضمون والشكل ، فتنوعت موضوعات التاليف ومناهجه ، اذ لم تعد تلك الموضوعات تقليدية مقتصرة على العلوم القديمة المعروفة من فقه ونحو وبلاغة وتفسير ، مع اعتناء بالمتون وشرحها ، بل اصبح المؤلف يتفاعل مع مجتمعه ، ويتاثر بما يحيط به فكانت موضوعات التاليف جديدة مستوحاة من المحيط واهتمامات الساعة آنذاك ، ككتاب كشف الغمة للكردودي الذي دعا فيه الى الجهاد ، وكتاب الفكر السامي في الفقه الاسلامي لمحمد الحجوي الذي تناول فيه الفقه بطريقة تختلف عن المالوف من شرح وحاشية ، وكتاب اللسان المعرب للسليماني الذي هو تاريخ بطريقة خاصة ، وكتب التراجم مثل جواهر الكمال للكانوني ، والادب العربي بالمغرب الاقصى للقباج وتاريخ الشعر والشعراء للنميشي وغيرها من المؤلفات والكتب .

فالظاهرة التي تبرز لمن اطلع على هذه المؤلفات ان تناول المؤلفين فيها كانت تطبعه الصبغة العلمية في تجنب السجع المتكلف ، والبديع المستثقل بل كان اهتمامهم ينصب على الفكرة في الغالب فلم يصطنعوا السجع الا في مقدمات هذه الكتب جريا على عادة الكتاب في ابراز مقدمتهم في تلوين الاساليب واستعمال اوجه البيان والبلاغة في مقدمة التاليف بل ان الكاتب أحمد النميشي في كتابه عن الشعر والشعراء بفاس تجنب الاهتمام بالمحسنات البديعية من جناس وغيره حتى في المقدمة التي درج كتاب عصره على تنميق عباراتها والتفنن في جملها وتعمد الغريب من الالفاظ المستعملة لاظهار الباع اللغوي

---

(19) نفس المرجع ، ص 44 .
(20) احاديث عن الادب المغربي ، ص 46 .
(21) نفس المرجع ، ص 49 .

والقدرة التعبيرية ، ففي مقدمة (22) الشعر والشعراء يبدو الحرص الكبير على توضيح المعاني باستعمال الفاظ دقيقة ، وتجنب الغريب ، والبعد عن التكلف.. مما يحملنا على القول بأن النثر تطور ومال الى البساطة واليسر ، نتيجة رواج الصحافة ، وانتشار المسامرة وما كتاب « الشعر والشعراء بفاس » الا ثمرة من ثمرات هذه المسامرات .

فلماذا انفرد غريط عن الكتاب في « فواصل الجمان » بالتزامه السجع والبديع في مجموع الكتاب من المقدمة الى الخاتمة ، واحتذائه حذو الاندلسيين في اسلوبه وخاصة ابن بسام ، بل ان الكتابة الحقة في عرف غريط ليست الا الكتابة المزخرفة بالبديع ، فلقد قال في ترجمة العمروي : « اديب تنفث الدر اقلامه ، ويخجل الزهر نظامه ، لم يبلغ كاتب بعده في الصناعتين مده ولا نصيفه » (23) .

فما سبب تعلق غريط اذن اكثر من اهل عصره بالادب الاندلسي وطريقته ؟ لعل الاسباب المهمة تكمن اولا في اعتزازه بأصله الاندلسي ، يقول مؤكدا هذه النسبة « هؤلاء الاغريطيون كانوا ممن هاجروا بدينهم من الاندلس الى المغرب » (24) لهذا كان حريصا على ابقاء هذه الصلة بالاندلس في اسلوبه وطريقة كتابته ؛ فالتزامه بشكل النثر الاندلسي شيء طبيعي يكمل شخصيته الادبية . بالاضافة الى هذا هناك الاسباب العامة المشار اليها من انتشار الثقافة الاندلسية بالمغرب منذ عهد المقري ، وغرم المغاربة عامة بحفظ الكتب والمؤلفات الادبية الاندلسية .

لكل ذلك مال غريط الى هذا النوع من النثر والصناعة البديعية ، فهو يبدو في كتابه وكانه يحاول مسايرة ابن بسام في الذخيرة لا في البديع والتزامه فقط ولكن ايضا في طريقة تناوله للموضوعات وموسوعيته فيما ينقل ، والاهتمام الادبي الذي لا يغفل الجانب التاريخي ، والتعامل مع كل من الشعر والنثر ، والاستطراد الى قص الحوادث وذكر النوادر الادبية ، واقتصاره في مؤلفه على من عاصرهم من الادباء والذين سبقوهم مباشرة فقط . فيكون « فواصل الجمان » صورة مصغرة لكتاب الذخيرة من حيث الشكل والمحتوى .

ويتعدى تأثر غريط بأسلوب ابن بسام وطريقته الى التأثر بالادب الاندلسي عامة نلمح ذلك في الوصف (25) الذي تخلل كتابه في مواضع مختلفة ، فنفسه الطويل ، ودقته في نقل الموصوف ، والوقوف على جزئياته ، واعتماده على التشبيهات ، والتشخيص ... بجعله كل هذا مسايرا لطريقة الاندلسيين في الوصف وخاصة ابن الشهيد في مقامته (26) او ابن الخطيب في وصفه (27) .

* * *

ونصل اخيرا الى نهاية هذه الدراسة لكتاب « فواصل الجمان » بعد ان نكون قد تعرفنا على احوال قرن بكامله سياسيا واجتماعيا وثقافيا ، وادركنا من خلاله نمط الكتابة في هذه الفترة لا في طريقة التأليف عند غريط واسلوبه فقط ، ولكن ايضا فيما صادفناه من نماذج اوردها المؤلف لمن ترجم لهم في الكتاب .

لهذا يعتبر الكتاب اهم الوثائق التاريخية للفترة التي تناولها ، والتي عرفت باضطرابات وقلاقل سياسية واجتماعية وصراعات ثقافية ففيها تم اعلان الحماية على المغرب مع ما صاحبه من احوال اجتماعية واقتصادية متردية وتأرجح الثقافة بين التخلف والتطور وحيرتها بين التقليد والتجديد .

والكتاب ايضا مصدر هام لرصد تطور الكتابة والنثر في الادب المغربي ابان النهضة الحديثة ، مما يساعد على تكوين حكم نقدي قريب من الحقيقة . وهذا له اهمية بمكان .

---

(22) تاريخ الشعر والشعراء بفاس ، ص 251 .
(23) فواصل الجمان ، ص 142 .
(24) فواصل الجمان ، ص 63 .
(25) انظر مثلا وصفه في ص 286 من كتاب فواصل الجمان .
(26) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ق 1 ج 2 ص 180 .
(27) نفح الطيب ج 6 ص 445 .

دراسات في الأدب المغربي:

# مظاهر الثقافة

## لمغرب مابعد الأدارسة وقبل المرابطين

للأستاذ عبد الكريم التواتي

اما وقد القينا بعض الاضواء على مجالات من مظاهر وابعاد الثقافة المغربية لهذا العهد ، نرى ان من تتمة هذه الاضواء تقديم عرض موجز عن شخصية او شخصيتين ممن عاش هذه الفترة تقدمها وآثارها كنموذج لتجسيم تلك المظاهر الثقافية لننتقل بعد ذلك للحديث عن مظاهر الثقافة ادبا وشعرا لعهد المرابطين وللتعرف على بعض معالم ووضعية هذه الثقافة ، ونرى ان شخصية القاسم بن ادريس الثاني خير من يمثل ادبه بعده الحقبة بضحالة انهارها وجفاف اوديتها وبساطة تناولاتها ، وسذاجة نظرتها الى الناس والاحداث .

والملاحظ باديء بدء انه على الرغم من انتشار ذلك العديد من المراكز الثقافية التي ألمحنا لبعضها فيما سلف والتي رأينا كيف انها كانت منبثة ـ تقريبا ـ في مختلف العواصم التي كانت تمثل النقاط الحيوية سياسيا واجتماعيا في المغرب ، ولهذا العهد الذي نحاول التعرف على بعض ابعاده من الوجهة الفكرية ، والتي نبادر الى القول بانها لم تكن قاحلة بالمرة ، ولا محلة من رسوبات الثقافة الانسانية التي ايقظها الاسلام او ورثها المجتمع المغربي من تباين الديانات والمعتقدات المتعاقبة عليه ، اقول على الرغم من كل ذلك ، فان حركة ادبية كتلك التي شهدتها العواصم العربية الاسلامية المعاصرة لهذه الحقبة ، بغداد ـ دمشق ـ مكة ـ المدينة المنورة ـ القيروان والاندلس الناشئة ، لم تحتضنها المراكز الثقافية المغربية ، ولم تتعرف الا الى الاقل القليل من عوالم الفكر اليوناني والفارسي والهندي التي كانت تفتحت عليها عواصم الشرق العربي ، كما انها بالتالي لم تعالج القضايا النفسية والانسانية والمجتمعية للحقبة التي ظهرت فيها ، ولم تدغدغ الخلجات العاطفية بنفس القوة والاسلوب اللذين عولج بهما الاداب خارج المغرب .

وهكذا ففي الوقت الذي نجد في الشرق والقيروان والاندلس العدد الضخم من النبغاء والافذاذ والفطاحل في كل فنون الادب ومجالات الفكر ، خطابة وترسلا وانشاء وشعرا ، بل تأليفا في مختلف العلوم وفروعها المعروفة للانسان عهدئذ ، اذا بنا نفاجأ بهذا الضمور بل النضوب الذي تصطبغ بهما الحياة الفكرية والادبية في المغرب عموما ، سواء في ميدان العلوم الدينية من حديث وتفسير ، او التشريعية من فقه واصوله ، او اللغوية من نحو وصرف وعروض ، او الانسانية من تاريخ وفلسفة وجغرافيا .

ثم اذا نحن حاولنا القيام بجرد مقارن للنوابغ والشوامخ في كل من بلدنا المغرب ، والشرق العربي ، بل بيننا وبين القيروان والاندلس ، فاننا لن نستطيع ان نجد بالمغرب لتلك الحقبة ، في الخطابة امثال :

1 ) داوود بن علي اخي العباس السفاح المتوفى سنة 132 هـ ـ او 2) شبيب بن شيبة المنقري التميمي المتوفى سنة 170 هـ الخ .

ولا في الكتابة امثال : 1) عبد الله بن المقفع ( 106 — 142 ) صاحب كليلة ودمنة ، والادبين الصغير والكبير ، والدرة اليتيمة — وهو كتاب مفقود او 2) احمد بن يوسف ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، والجاحظ والمبرد ، وابراهيم الصولي ، وابن العميد وابي بكر الخوارزمي ، وأبي اسحق الصابي ، والصاحب بن عباد ، وبديع الزمان الهمداني ، واحمد ابن عبد ربه ، وابن سيده ، وابراهيم الرقيق ، والقزاز ، والحصري ، وابن رشيق ، وبن شرف الخ .

ولا في الشعر امثال : بشار بن برد ، والسيد الحميري الشيعي ، ومروان بن ابي حفص ، والعباس ابن حنف ، وابي نواس ، ومسلم بن الوليد صريع الغواني ، وابي العتاهية ، وابن تمام ، ودعبل ، وابن الرومي ، والبحتري ، وابن المعتز ، وابي الطيب المتنبي ، وابي العلاء المعري ، وابي فراس الحمداني ، والتهامي ، والشريف الرضي ، واحمد بن عبد ربه ، وابن هانىء الاندلسي ، وابن زيدون ، وتميم بن المعز الفاطمي ، وابي بكر بن عمار الخ .

وبتقصينا للمراجع التاريخية والادبية — التي بأيدينا — والتي حاولت في عهود متأخرة معالجة معطيات هذه الحقبة من حياتنا الفكرية ، وخاصة في الشعر والادب ، لا نعثر الا على تراجم مقتضبة صيغت على اسلوب صاحب الذخيرة ابن بسام ، تشير بتعابير مجملة الى من اعتبروا جهابذة الفكر ، وطلائع الثقافة ، دون تقديم سوى النزر اليسير من الآثار لهؤلاء كدليل على ما وصفوا به من نبوغ .

على ان من الملاحظ ان رجالات هذه الحقبة — لا يمكن تناولهم جغرافيا — اى يصعب تحديد مناشئهم ، والاصقاع التي تأثروا بها ، او المجتمعات والبيئات التي بلورت اتجاهاتهم المعتمة ، بسبب فقدان آثارهم الادبية .

كما ان تمييز البيئة المغربية المحضة من خلال ما يمكن العثور عليه من تلك الآثار ، عن البيئة الاندلسية لا يمكن تحقيقه ؛ فقد كان تعاور السلطة الزمنية بين الامويين بالاندلس وبين العبيديين من جهة ، وبين هؤلاء جميعهم وبين المغاربة السكان الاصليين من جهة اخرى مما احدث تقلقلا ، في مناشىء الكتاب والشعراء او مقاماتهم ، او احدث ما نطلق عليه في عصرنا الحاضر ، هجرة الادمغة المفكرة ، التي كانت تمثل دائما بالنسبة للسلطة الزمنية حركة الكواكب السيارة مع الشمس ، ولهذا فقد يعسر على الباحث ان ينسب — في تأكيد — هذه الشخصية لهذه المدينة في المغرب دون تلك او ان يتناولها بالبحث بعيدا عن غير المجتمعات التي يظن انها بها نشأت ، او طالت بها الاقامة ، وخاصة عند ما يحاول الباحث تتبع آثار تلك الآداب في كتب الشرق ، ما سجله مؤرخو هذه الحقبة التي تتحايل العثور لها على مميزات وخصائص ذاتية .

ولقد بذلت جهودا متواضعة ، بحثا عن شخصيات ادبية وعلمية مثل التي اومأت الى بعضها في مطلع هذا البحث — وفي مجال الادب والشعر او في ميادين الثقافة عامة ، اتخذها نموذجا ، فما عثرت الا على عدد ضئيل جدا ، يتصدرهم — على الاطلاق — لا فيما يخص مدينة فاس فحسب — بعد ادريس الثاني ، القاسم بن ادريس صاحب قلعة حجر النسر .

ومن غريب ما يلاحظ ان جميع المؤرخين الذين تناولوا تسجيل احداث الدولة الادريسية ، وبدون استثناء ، عند ذكر ابناء ادريس انما يذكرون عدد هؤلاء الابناء دون الاشارة الى تاريخ ولادتهم .

ثم اذا كان أولئك المؤرخون قد اعتنوا — على العموم — بتواريخ الوفيات ، والفوا فيها الكتب الخاصة والمطولة احيانا ، فانهم — فيما يخص مترجمنا القاسم ابن ادريس — لا يذكرون شيئا لا عن تاريخ ولادته ولا عن تاريخ وفاته ، مقتصرين على الاشارة الى بعض الاعمال التي تقلدها سياسيا اثر وفاة ابيه ادريس الثاني ، وتسلم أخيه ابي القاسم ، الاكبر محمد زمام السلطة المركزية ، كما لم ينسوا ان يذكروا كيف أن محمدا هذا قسم المغرب اداريا الى عدة مناطق بعدد اخوته نزولا عند رغبة أمهم السيدة كنزة . ويذكرون ايضا كيف ان القاسم هذا اسندت اليه شؤون طنجة وسبتة وقصر مصمودة وقلعة حجر النسر ، وما انضم الى ذلك من القبائل والبلاد ، اى انه اختص بامارة الجزء الشمالي من المغرب .

والمؤرخون — بعد ذلك — مجمعون على ان القاسم هذا ، كان أكثر اخوته تدينا ، ولعل مما يدل على هذا التدين ويؤكده ، رفضه الانصياع لاوامر اخيه محمد بالتوجه لمجابهة جيوش اخيهما عيسى الذي كان اختص بادارة أقاليم زمور وشالة وتامسنا ، والذي كان حاول بعد استقلاله بتلك الاقاليم ان يثور على اخيه محمد صاحب السلطة المركزية وينتزع من

بديه هذه السلطة بعد ان كان تمكن في بداية انتفاضه من استمالة الكثيرين من السكان ، حتى لقد أوشك ان يهدد أمن الدولة ، ويعرض وحدتها للتمزق ، مما اضطر معه أخوه محمد الى شن حرب ضروس ضده ، محرضا عليه سائر اخوته لمناهضته ووضع حد لانتفاضه ، ولكن القاسم ـ فيما يذكره المؤرخون ـ فرض الاستجابة لنداء أخيه مفضلا عليها البقاء بعيدا عن نزاع الاخوين او هذا ما اتخذه في الظاهر على الاقل ...

ولكنا نحن ـ نفضل في هذا المقام ان نصف موقف القاسم من نزاع الاخوين بانه موقف الحياد الايجابي ان صح التعبير ، اذ ان دراسة تحليلية مركزة للقصيدة الشعرية الواردة عنه في هذا الحياد توضح ـ وبما لا يدع مجالا للشك ـ ان الرجل كان يحس غبنا في نصيبه من تركة ابيه ، وانه لم يكن راضيا تمام الرضى عما كان خصص له من مناطق مغربية تعد ـ اذا قيست بباقي التراب المغربي ـ مناطق فقيرة اقتصاديا فكان يحس لذلك ـ تجاه الاخوين المتنازعين معا ـ بشبه نفور ، بل وقد نذهب الى القول بأن قلبه، لم يكن بالاضافة الى عدم رضاه بنصيبه وما ناله مع قلب عيسى الثائر والا لما تقاعس عن نصرته ولا تركه يواجه مصيره لوحده ، ولكن القاسم ، تجاه الحرب الناشئة بين اخويه ، او هذا لسان حاله على الاقل ، يتمذهب بقالة ابي سفيان في غزوة احد ( لم آمر بها ولم تسؤني ) على انه ليس من المستبعد ولو نظريا على الاقل ـ ان يكون في حالة انتظار وترتب للاصطياد في الماء العكر اذا لم يتمكن احد الاخوين من ربح المعركة والتغلب على أخيه ...

ثم تقول التسجيلات التاريخية ، ان القاسم حين رفض خوض حرب ضد اخيه الثائر عيسى ، كما هي تعليمات صاحب فاس الامير محمد ، قرر هذا شن حرب ضد القاسم ايضا بوصف ان موقفه تمرد وعصيان ، وهكذا أصدر تعليمات صارمة في الموضوع الى اخيه عمر والي غمارة ، وتيكساس بأمره مهاجمة القاسم ، ولو لارغامه على الانسحاب من الميدان على الاقل ولاقناعه وغيره من قوة السلطة المركزية وانها ليست قادرة فحسب على ردع الثائرين وانما أيضا لتاديب غير المستجيبين لتعليماتها .

ويظهر ان الامير محمدا اغرى اخاه عمر بشن هذه الغارات على القاسم تحقيقا لما يومن به من استراتيجية الحفاظ على وحدة الامة وبقاء جميع اقاليمها خاضعة للمركزية ، اذ الحدود بين امارتي القاسم وعمر مشتركة ، ومتى استطاع احد الاخوين الانفصال عن السلطة المركزية فليس من المستبعد ان يحذو الاخر حذوه ، على انه ليس من المستبعد كذلك ان عمر فكر هو الآخر في سلوك نفس السبيل ، وحين امره أخوه محمد بالاغارة على القاسم فكر في اهتبال الفرصة واغتنامها لتحقيق مكاسب على حساب الاخوين معا ، القاسم المغضوب عليه والمهاجم من طرف السلطتين المركزية وسلطة اخيه محمد ، فلم اذن لا يستغل الوضع المتأزم لحسابه الخاص ، سيما وتلك العهود لا تعرف الا تكوين هذه الامارات الاقطاعية وتوزيع مملكة ادريس كانت النواة لهذه الطائفية ، على انه اذا استطاع تلبية اوامر اخيه محمد فقد يزداد عنده مكانة وجدارة تؤهله للحلول محل القاسم اولا ثم محل الاخوين المتنازعين معا ...

وهكذا انطلق عمر ـ تنفيذا لاوامر اخيه محمد ـ يطارد القاسم دون رحمة او هوادة وانما يعنف وقسوة ، حتى ارغمه على اختيار الاخلاد الى الزهد ونفض يديه من شؤون الدنيا والحكم والسياسة ..

واذا كانت الاخبار تؤكد ان القاسم لم يضع السلاح في بداية المواجهة . لم يستسلم منذ الوهلة الاولى ، وانما كان اظهر مقاومة مستميتة ، واستبسالا رائعا ، وحاول في شهامة اثبات وجوده كأمير ، فانه يبدو ، من جهة اخرى ، أن ما ترسب في اغواره من تدين حمله في النهاية على اعتناق مذهب الرفض لشؤون الدنيا والتخلي عن مواصلة الحروب ، والركون الى جانب الدعة والهدوء ، ثم الرضى بالالتجاء الى الزهد والتصوف والاستغراق في العبادة ، حيث قرر اخيرا ونفذ ان يلتجىء الى كنف اخيه يحيى الذي بادر الى وضع حصن ( تاهدارت ) الواقع على شاطىء مدينة اصيلا رهن اشارته ، وهكذا اخلد صاحبنا القاسم الى حياته الجديدة وانهمك في اقامة مسجد بمنفاه سجن فيه نفسه يتعبد ويتحنث معرضا عن كل شؤون الحكم ومشاغل السياسة ومطامع الدنيا !

ولكن الروايات التاريخية ـ من جهة اخرى ـ لا تجيب عن مثل هذا السؤال ، هل ان الامير محمد، الذي اتخذ قرار نفيه والزامه الاقامة الجبرية بتاهدارت واوعز الى اخيه يحيى بتسهيل هذا القرار واعد الجو المناسب له ام ان الامير محمدا حين لمس صدق اخيه القاسم في تجرده من اغراض الدنيا

واقباله على عالم النسك والعبادة كف عن مطاردتـه مقضيا عن فسح يحيى لهذا المتنسك المقام ؟ ام ان الام كنزة ـ وقد كانت يومئذ ما تزال على قيد الحياة ـ رات ان تتدخل بين الاخوين حقنا للدماء ، وحفاظا على الاخوة ، فحملت الامير محمدا على ترك اخيه القاسم لما اختاره من زهد ، وفي نفس الوقت اوعزت الى يحيى بوضع ذلك الحصن رهن اشارة القاسم ؟

الا ان تحليلا متانيا للقطعة الشعرية الوحيـدة المنسوبة لهذا القاسم قد تفيد بان اقامته بأصيلا كانت شبه اجبارية ، لم تكن اختيارية ، لان في هذه القطعة ما يفيد ان القاسم كان يفكر في مغـادرة المغـرب والهجرة الى الشرق حيث الاهلون والاحباب ، ولدى مطارحته هذا الشوق يؤكد انه ـ لو تمكن من هـذه الامنية ـ لما اسف على مفارقته المغرب رغم ما يتمتع به من صيت وعظمة وتقدير ...

وفي هذه القطعة ايضا يشير الى تفضيله العزلة والابتعاد عن الحكم صونا للقرابة ، وكراهية الدخول في حرب اهلية يتقاتل فيها الاخوة والابناء الاشقاء مما لن يورث سوى الضغائن والاحقاد ، وان كنا نعلم ان جل الزهاد والعباد انما يلجاون الى اتخاذ هذا القرار عندما ينهزمون في غمار الحياة وتنوء كواهلهم عن تحمل الاحداث ، وهذا النهج للقطعة الشعرية ، ومن خصوص هذه الزاوية ، قد يحملنا على الطعـن بان القطعة قيلت قبلان يقرر صاحبها البقاء نهائيـا في منفاه بأصيلا ، والتفرغ لبناء مسجده بها ، على انـه ليس من المستبعد ان يكون القاسم انشد قطعته هذه في الساعات التي كان يخلو فيها الى نفسه يراجـع ذكريات الماضي ويجتر احلامه الهاجعة ... ومـن غير المحقق ان يكون للقاسم اشعار اخرى ضاعت في خضم الاحداث او ضيعت لحاجة في نفس متلقيها .

وهذه هي القطعة الشعرية التي استطاعـت كتب التاريخ ان تحتفظ بها للقاسم ، وان تدرجـه بسببها ضمن شعراء الدولة الادريسية بالمغـرب ، وهي قطعة تدل مسحتها العامة بالمقارنـة الى الآثار المعروفة لتلك العهود على ان صاحبها ليس غريبا عن الميدان الادبي والشعري ، الا ان تكون من نظم غيره ثم نسبت اليه ، فان الفاظها واسلوبها الذي صيغت به تدل على ذوق لا باس به واختيار غير مبتذل وان قوقعتها السياسية في دائرة خاصة اشبه ما يكـون بالتهويمات الذاتية ... قال :

ساترك ـ للراغب ـ الغرب نهبا
وان كنت في الغرب قتيلا وندبا

واسمو الى الشرق في همـة
يعز بها رتبا ، من احبـا

واترك ( عيسى ) على رايـه
يعالج في الغرب هما وكربـا

ولو كان قلبي على قلبـه
لكنت له في القرابة قلبـا

وان احدث الدهر من ريبـه
شقاقا علينا واحدث حربـا

فاني ارى البعد سترا لنـا
يجدد شوقا لدينا وحبـا

ولم نجني قطعا لارحامنـا
نلاقي به آخر الدهـر عتبـا

وتبقى العداوة في عقبنـا
واكرم به حين نعقـب عقبـا

وارفق من ذاك جوب الفـلاة
وقطع المحارم نقبـا فنقبـا

والقطعة كما ترى صورة حية نابضة ببـوادر النزاع على السلطة الزمنية بين أولاد ادريس الثاني ، حين تقاسموا ـ بايعاز من امهم فيما قبل ـ تركـة ابيهم السلطوية ، وابياتها تفوح بروائـح التنافـر والاضغان بين الاخوة ، وبتباين اتجاهاتهـم ، وان لا احد منهم على قلب الآخر :

واترك عيسى على رايـه
يعالج في الغرب هما وكربـا

ولو كان قلبي على قلبـه
لكنت له في القرابة قلبـا

على ان في هذين البيتين ما قـد يوحـي بان القاسم قام بمبادرة لتوحيد خطته مع اخيه عيسـى ففشلت،الشيء الذي ربما كان الحامل لهعلىالتفكير في مغادرة المغرب بدل الانحياز الى احد اخويه .

ساترك للراغب الغرب نهبـا
وان كنت في الغرب قتيلا وندبا

وهو حين يفكر فى مغادرته المغرب بفضل الاتجاه الى المشرق حنينا للمنحدر واصل منبت العشيرة، واسموا الى الشرق فى همة ... حتى اذا اعيته حيلة فى تحقيق الرحلة الى الشرق حيث من الممكن استئناف حياة جديدة بين العشيرة والاحباب ، ورأى ان لا حياة له فى مجتمع الناس الا بين فكي رحى الحرب الدائرة بين الاخوة المتنافرين المشاجرين على الحكم والسلطة اختار بدل خوض هذه المعارك الدموية التي لا شك ستورث قطيعة الارحام ، وتؤجج الاحن بين الاعقاب ، اختار بدل ذلك سكنى الصحاري ومصاحبة الفلوات ... وقد يكون موقفه فى نفس الوقت تقديرا للمواقف الانسانية التي على كبار النفوس ان يقفوها فى المدلهمات من الاحداث .. وان يكن القاسم لم يتقيد عمليا بهذه السلبية التي ضمنها شعره هذا ، حاول فى صدق الدعوة لها كمذهب الا بعد ان انهزم امام جيوش اخيه عمر الفلابة ، ولله فى خلقه شؤون.

فاس : عبد الكريم التواتي

في العدد القادم :

**ملكان شهمان شاركت قواتهما في تحرير بلاد المشرق**

- يعقوب المنصور الموحدي بطل ( الأرك )
- الحسن الثاني محرر الصحراء

للأستاذ سعيد أعراب

# إلى الإمام الغزالي

للشاعر الأستاذ سليم الرافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الاخ رئيس تحرير مجلة دعوة الحق حفظه الله

اشكر لكم مواصلة اصدار مجلتكم الرائعة الزاخرة بالفكر المتوقد ، وارسال أعدادها التي على الرغم مما اصاب لبنان ـ فهي لنا بلسم ، وكم من بلسم جاء من المغرب .. حماه الله ورعاه شعبا عظيما وحكما رحيما وأملا كبيرا مقيما .

ارفق بهذه الرسالة قصيدة بعنوان « الى الامام الغزالي » بعد مطالعة بعض كتبه فى التصوف . وشكرا لكم . واسلموا للاسلام

طرابلس ـ لبنان سليم الرافعي

انرت لي التصوف ـ وهو ليل ـ تضل به مع الشهب البدور

رايت القوم فيه بغير عقل وهل يهدي بلا عقل شعور ؟

توانوا عن مطالبهم .. وباتوا يقوم لهم مع الليل الشخير

وغـرهـم قشـور أو حـواش ... وهل تغنى من اللـب القشـور ؟

ولكن التصـوف حيـن تحكـي ... سجايـاه .. مكاشفـة ونـور

هدى فى القلب لـيس العقـل الا ... قيادا حيـن يستهدي الضميـر

وراي ملهـم وجمـال نـفس ... تحس الكـون فى فلـك يـدور

مراتبـه النبـوة حيـن يسمـو ... وادنـاه التقشـف والنفـور

وبين الرتبتيـن سـداد عقـل ... بنيـر الـدرس منـه ما ينيـر

* * *

اويت الى الحقيقـة فى ذراهـا ... كما تـاوي الى القمـم النسـور

هناك الحـور طي الحب يمضـي ... بـه الخيـر المكـون والحبـور

هناك الضـوء ينبـع والروابـي ... مفوفـة تكللهـا الزهـور

هناك النـفس فى مجـد قديـم ... تجـدده مـع الزمـن الدهـور

هناك ارادة لا زيـغ فيهـا ... تديـر الكـون ... فهو بها يسيـر

هناك الله ... كيف اقـول ربـي ... ومنه النـفس تسكـن أو تثـور

مكان واحـد والـروح تـسري ... باشبـاح مكثفـة تمـور

فعيـن أو فـؤاد أو لسـان ... وشعـر أو صـلاة أو عبيـر

اجل . تلك الاداة فهـل تراهـا ... لغيـر محـرك واع تصيـر ؟



## وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية في مؤتمر اسطامبول:

# المراصد الفلكية تعزز للرؤية المجردة

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

انعقد في اسطامبول بين 27 و 30 نونبر 1978 مؤتمر اسلامي حول توحيد رؤية الاهلة في المواسم والاعياد الاسلامية ، وقد تلقيت خطابا للمشاركة في هذا المؤتمر ، حيث رافقني العالم الفلكي الاستاذ عبد الوهاب بن عبد الرازق والقيت بحثا مقتضبا ابرزت فيه ضرورة الاستناد الى الرؤية الصحيحة مع الاعتماد على المراصد الفلكية التي يجب ان تعمم في كافة الدول الاسلامية للتاكد من صحة الرؤية ، وقد اشرنا الى اننا نتفق في المغرب انطلاقا من الرؤية بالعين المجردة مع ( الباكستان ) مثلا لانها في خط عرض واحد مع المغرب وكذلك الكوفة بالنسبة لأسفي في حين ان استناد الجزائر الى الحساب وحده يجعلها دائما في خلاف مع المغرب لعدم اعتمادها على الرؤية . ومما ورد في كلمتي : لا يمكن ان نتحدث عن رؤية الهلال وابعادها وشروطها ومقوماتها العلمية دون أن نضعها في اطارها وهو ( علم الفلك ) المعروف ايضا بعلم الهيئة وهو علم يتحدث عن العالم الكوني الذي تسبح فيه النجوم والكواكب ومختلف الاجسام المعروفة بالاجرام السماوية وهذا المجال العام سمي فلكا لقوله تعالى ( قل كل في فلك يسبحون ) فهو علم الفلك الكوني أو الهيئة الكونية و ( علم التنجيم ) جزء منه وهو المسمى وهو من الفروع التطبيقية بخصوص مسار النجوم والسدم في الفضاء الكوني ، وقد تهلهلت معطياته وتسربت اليه عناصر دخيلة فأصبح كما يقول ابن خلدون عبارة عن استنزالات وتكهنات للمستقبل انطلاقا من تحليل المطامع ولذلك اختلطت كلمة (منجم) بمفهوم كلمة ( كاهن ) أو ( عراف ) .

ونحن نسمي العالم الفلكي بالمغرب ايضا بالموقت اقتباسا من الآية الشريفة ( يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ) .

وان حيادنا عن الفكر القرآني الصحيح هو الذي يجعل بعض علمائنا في معزل عن الحقيقة العلمية القائمة اليوم ، فالكثير من هؤلاء العلماء قد انكروا مثلا امكان وصول الانسان الى القمر ظانين كالمنجمين أن القمر في السماء الاولى والشمس في الرابعة مع ان الصحابي الجليل عبد الله بن عباس كان اول من تحدث عن ( المجموعة الشمسية ) في تفسير قول الله تعالى : ( انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ) الآية ، ملاحظا ان الكواكب السبعة معلقة في سقف السماء الدنيا كتعلق اية ثريا بأي سقف آخر ، أما ما ورد في حديث الاسراء فهو شيء آخر .

ويبدو من خلال الاحاديث القيمة التي استمعنا اليها اننا نسير في خطين متباينين : الرؤية من جهة والحساب من جهة اخرى . وكلنا يستشهد بآيات واحاديث صحيحة ولكن هل تحرينا الدلالات والمقارنات الصحيحة في هذه النصوص ؟ ان اختلاف المبنى في الحديث يدل لا محالة على اختلاف المعنى ولكن هل جمعنا ــ كما يقول المحدثون ــ اطراف الحديث ؟ فقد

قال عليه السلام حسب الروايات الثلاث « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة ثلاثين او فاقدروا له أو فاقدروا ثلاثين » . فالذين لم يطلعوا على الرواية الاخيرة وهي تحديد القدر بالثلاثين اولوا قوله عليه السلام فاقدروا له بمعنى احسبوا ولكن الرواية الاخيرة أوضحت هذا الاجمال كما يقول الامام النووي فى ( التقريب ) فقصره على الثلاثين ومع ذلك فان القائلين بالحساب انطلاقا من الحديث المذكور يقولون أن الرسول عليه السلام قد اقر المنهجين معا اي الرؤية والحساب ، فالرؤية الصحيحة الثابتة عن الثقاة كافية وحدها حقا ولكن اذا استحالت الرؤية بسبب غمام فاما أن نكمل عدة ثلاثين يوما فى حالة تعذر الوسائل الحسابية واما ان نرجع الى الحساب وهو ( التمحيص الفلكي ) لاثبات وجود الهلال الذي حال الغمام دون رؤيته ، وقد يتم ذلك فى نظرهم حتى يوم التاسع والعشرين لا الثلاثين بمعنى أن الحساب يمكن ان يقوم مقام الرؤية فى هذه الحالة ، ولكن اذا حاولنا تحقيق المناط ـ كما يقول الاصوليون ـ علمنا ان الرؤية فى الروايات كلها هي الاصل وان الحسابات الفلكية انما جاءت لدحض الرؤى الزائفة كشهادة نفي لا اثبات ، ولهذا قال الشيخ ( طنطاوي جوهري ) بأن الحساب يجب ان يتخذ كسلاح وهو ما كان يقصده الايمة الكبار امثال ابن السبكي عندما ركزوا على التدقيقات الفلكية لان الرؤية الصحيحة لا يمكن أن تتنافى مع الحساب الفلكي المنطلق من اساس صحيح ، فاذا ما وقع اختلاف فالشك فى صحة الرؤية ، وقد أكد ذلك الامام مالك نفسه فلا يجب أن نفترق هنا فريقين : القائلين بالرؤية والقائلين بالحساب ، فعلماء الفلك المسلمون قد كانوا منذ أزيد من اثني عشر قرنا فقهاء وفلكيين يعززون الرؤية بالرصد ومنهم من ضم الى الفقه والتضلع فى علوم اخرى كالجغرافية نظرا لاهمية ما يسمى بالاحداثيات .

وهي الاطوال والعروض فى المقاسات الجغرافية والفلكية معا ، واذا ما اقتصرنا على الاشارة الى فلكيي المغرب الاقصى امكن القول بأن ( الشريف الادريسي ) قد اهتم فى القرن السادس الهجري ( وهو الذي وضع خريطة العالم لرجير الثاني ملك صقلية وظل أستاذ أوربا طوال أربعة قرون ) أقول انه اهتم بقياس الاطوال بين شقي العروبة والاسلام من الاسكندرية الى طنجة فوفق فى ذلك كل التوفيق ولم يغلط الا فى نصف درجة فقط فى حين غلط ( بطليموس ) صاحب ( المجسطي ) الذي توفى قبل ذلك بالف سنة ( اي عام 140 م ) فى ثمان عشرة درجة وكذلك ( أبو علي المراكشي ) صاحب ( المبادىء والغايات ) الذي وضع مائة وأربعين احداثية بين مصر والمحيط الاطلسي تمحيصا لمعدات التوقيتات الفلكية والمقاسات الجغرافية من مزاول وازياج ومخمسات ومربعات وجيوب الخ ومع ذلك فقد كان الحساب عندهم ميزانا لتحليل صحة الرؤية فلا خلاف فى الواقع بين المنهجين : الرؤية وحساب المراصد لانهما يتكاملان بشرط صحة ثبوت الرؤية فهما اذن كالعقل والشرع لا يختلفان اذا اتفقت الدول الاسلامية على المناهج الصحيحة كما ابرز ذلك ابن تيمية فى كتابه ( موافقة الشرع الصحيح للعقل الصريح ) .

وقد أعطانا فضيلة العالم الفلكي الجليل الشيخ ابن عبد الرازق صورا لهذا الزيف فى الرؤية مع ابراز ضرورة الاستناد آنذاك الى التدقيق الفلكي لبيان هذا الزيف .

واذا توحدت المقاييس والمنطلقات فاننا سنرجع الى ما أعلنه علماؤنا وفلكيونا منذ قرون عديدة حيث اكد علماء المغرب والاندلس ومنهم ابن عبد البر ان الهلال اذا رؤي وراء خراسان يعمل به فى الاندلس ولا يمكن ان يخالف الحساب ذلك والتعليل الفلكي أن المسافة بين الباكستان والمغرب مثلا تستلزم خروج الهلال من أشعة الشمس وذلك بانفصاله عن الشمس بقدر اثنتي عشرة درجة ، اما فيما بين الشمال والجنوب فان الرؤية تتحد بين اقطار تقل المسافة الفاصلة بينها بـ 2226 كلم .

على هذا سار سلفنا الصالح الا ان وسائل المواصلات لم تمكنهم آنذاك من تطبيق هذه الفكرة بالنسبة لاقاليم مختلفة وما دامت وسائل التخابر البعدي السريع قد توفرت اليوم فانه لم يعد هنالك عائق دون توحيد الشهور بين الكثير من اقطار العالم الاسلامي .



**للشاعر الأستاذ محمد البوعناني**

> **« مرت الذكرى الاولى لوفاة صديقنا الشاعر الكبير ادريس الجاي ، بدون ان تهتم الاوساط الثقافية والفنية بذلك ... وهذه القصيدة التي نظمها صديقه الشاعر محمد البوعناني غداة وفاته تنشر لاول مرة »:**

الليل مات فوجه الافق معكوس ... وكل خيط من الانوار منكوس !

وأفرغت ضفة الوادي مرارتها ... وعمم الشمس كلف ، ثم تعبيس

وفى الحدائق لا زهر ، ولا نغم ... ولا ثمار على عش ... وطاووس

فالنهر ملتهب ، والزهر مكتئب ... والشعر مغترب ، والقبر عريس (1)

والبدر يعرج لا ينهي استدارته ... جبينه فى ظلام الطين مغموس !

اما النوادي ، فلا صوت يغازلها ... يرتج فيها من العيدان تكديس

تلك الدوالي على أكتافنا دمعت ... ظلالها ، فأباحتها النواميس

يزيغ فى كل عنقود بها شبح ... مدثر بشباك الحزن محبوس !

وكم نحرنا على الخدين دمعتها ... فضاع فى جفنة القربان قسيس

اليوم لا موعد تنسى الديار به ... حلالها ... وتناغينا الفوانيس

واليوم لا نكتة عجلى تدغدغنا ... ولا قواف اميرات ، وتخميس (2)

* * *

---

(1) مأوى الاسد .

(2) التخميس فى الشعر اضافة ثلاثة اشطر لشطري البيت .

اين الندامى ؟ واين الراقصات وقد ... هز المناكب احواش وحيدوس ؟ (3)
اين الجداول والنحرور توقظه ... اشواق كرمتنا الحبلى ... وتانيس ؟
بل أين سهرة عكاظ ... وكاتبة ... ولهى تكحل جفنيها القواميس ؟
ونحن نفسح للدنيا ضفيرتها ... ولا رئيس يقاضينا ومرؤوس
اني لاذكر افراح ( السنابل ) في ... جوانب (السين) ترويها الاحاسيس (4)
ووجهك الضاحك الغماز برسمه ... على موائدنا يونان رمسيس (5)
تخال بسمته الهام كل فم ... وتحت اطراقه تبكي فراديس
فللاماسي مواويل ومدفأة ... وللصبيحة تمرين ، وتدريس
وجردت حولنا الايام منقبة ... لم تبتدعها نفرتيتي وبلقيس

* * *

الليل مات وكانت بعض أنجمه ... يضيء فيها على الخلان ادريس
ادريس يا زارع الاطياف في بلد ... تعثرت في مغانيه الاباليس
تبكيك فاس وتطوان الشباب كما ... تبكي الرباط ويبكي الريف والسوس
غلقت للصاعدين الفجر في قبل ... لا يعتري لونها ضعف وتدليس
والقدس في كل شعر تاج ملحمة ... والقدس تفقأ عينيها المدانيس
حتى المساجد قد ضاقت بمئذنة ... حتى الكنائس سبتها النواقيس
وجيش صهيون مختال بغطرسة ... وفي المعاهد تقتيل وتدنيس
فلا خطيب سعيد فوق منبره ... ولا فقيه ، ولا قس ، وقديس ..
ادريس كنت نشيد الحق في فمنا ... والحق في حفرة الازبال مدسوس !
تقوم للدين لا تلهو بحرمته ... وفي قصيدك للاسلام تكريس
والمغرب العربي عهد يؤكده ... ابطالنا وابن خلدون وباديس (6)
والعروبة تتويج ، ومكرمة ... وللمغاربة الابرار تقديس
من يحرس المنهل الشعري في غدنا ؟ ... وليته بكبار الاهل محروس !

* * *

(3) من اهازيج الاطلس .
(4) السنابل مجلة كان يصدرها بباريس الاخ احمد عويدات ، والسين هو النهر الذي يقطع باريس .
(5) صديقنا الرسام المصري رحمه الله .
(6) الزعيم الجزائري المصلح عبد الحميد بن باديس .

لله قلبك – والآيات شاهدة … بأن قلبك بالاحباب مروس
أضحى سخاؤك عنوانا لاكرمنا … وليس خلقك أملاك ولا كيس
خيالك الرحب رد المستحيل الى … حقيقة ، فهو كالياقوت ملموس
فكان وجهك بالايمان مروحة … وليس تحصر عينيه المقابيس !

* * *

الحزن يصرع دنيانا ، يؤرقنا … وان غفا الحزن لا تغفو الوساويس
والموت اكبر من كل الحقائق ما … فى الله شك ، وما فى الموت تلبيس
فلتنشد فاس وتطوان ، وخلفهما … شدت بصوتك مدريد وباريس !

اقرأ فى العدد القادم
الخاص بعيد العرش

- **الأصالة سمة العرش المغربي**
- تاريخ الأقاليم المغربية فى العصر الحديث
- **عيد العرش** بمفهومنا الدينى والوطنى
- الإشتراكية المغربية من خلال الخطب الملكية
- مصادر **التاريخ المغربي** في المكتبات
- **التشريع** الإسلامي **والحضارة** المغربية
- دور **العرش والأمة** في استكمال الوحدة الوطنية

# الفراش

## قصة قصيرة

للأستاذة ليلى بوزيد

انفض الاجتماع فى القاعة الفخمة الواقعة باعلى الطوابق العشرين التي تاوي مكاتب مؤسسة كبرى شبه عمومية . وفتحت دفتا الباب العريض فاندفع الدخان والضجيج ، ووقف رجل يقارب الاربعين فى بدلة الفراشين يشيع الشخصيات المنصرفة دونما اكتراث . خرجوا مثنى وجماعات ، وامتلأ الرواق باصواتهم العالية وضحكاتهم ، وسمع رجلا منهم يخاطبه بدهشة :

— بشير ؟ سبحان الله ! اين انت ؟ .

نظر فى وجهه بامعان . تأكد لديه انه رآه من قبل وطافت بذهنه فى لمحة عدة صور واحتمالات ، وحاول ان يضع هذا الوجه فى مكان معين ، ان يمسك بخيط يذكره ولكنه لم يستطع وضايقه ذلك .

عاد الرجل يسال وهو يشده بلين من مرفقه المنثني .

— لم تعرفني ؟ انا ابن اخيك محمد .

— اصبحت رجلا ومسؤولا كبيرا فوق ذلك .

قالها وهو يضحك بابتهاج بعدما رجعت الذكرى دفعة واحدة . وتعانق الوزير والفراش وكلاهما يسال فى وقت واحد وبلا توقف عن الاحوال والاولاد ويضرب براحتيه على ظهر الثاني ضربات متتالية .

وقال الفراش :

— عشر سنوات تغيرك لهذا الحد ؟ .

— المسؤولية تشيب الراس .

— نحمد الله اذن على انه لم يبتلنا بمحنة المسؤولية .

عدت للمزاتك والفاظك التي تغلف بها معاني غير معانيها . لا فائدة ، لن تتغير .

قال ذلك لنفسه ، ثم وهو يوجه له الكلام :

— كفاية انه ابتلاك بالعداوة .

— استدعيتكم فى عرسي ولم تحضروا .

— دعنا من الحساب وتعالى نتناول شايا فى بيتك .

وغادرا البناية الى الشارع الذي تقوم عليه مكاتب شركات الطيران المعروفة ووكالات اسفار . ومشيا جنبا لجنب مدة طويلة . وقال المسؤول الكبير بعدما فتح له باب السيارة من الداخل :

— ليس بالامر الهين ان يجد الانسان مكانا لسيارته فى الدار البيضاء ، كأن السيارات تفوق عدد المارة .

ولاذ الفراش بالصمت اذ كان يمر بنظره حوله ببطء ويقول لنفسه : فى حياتك لم تركب مثل هذه السيـارة .

وجدا الطرقات على فساحتها مزدحمة بحركة المرور فى تلك الساعة من آخر النهار التي تشهد عودة العمال والموظفين الى بيوتهم فانطلق محترسا من ركاب الدراجات النارية الذين ينفذون بين السيارات كالسهام . وبعدما عبرا الشوارع الوجيهة الزاخرة بالمتاجر والمقاهي والعمارات الشاهقة دخلا فى الاحياء الشعبية . وسار ببطء شديد ، يفسح السبيل بمشقة وسط امواج المارة الذين يسدون الطريق امامه لان الارصفة تحتلها عربات الباعة والبضائع المعروضة على الارض .

وبعد ذلك قطعا مسافة طويلة قبل ان يجدا نفسهما فى ضاحية مترامية خارج المدينة بنت فيها الحكومة مساكن شعبية على انقاض مدينة الصفيح ، ولاحظ انها تضج بالاطفال . اوقف السيارة عند باب المسكن الصغير بعدما اثار خلفه غبار الطريق غير المعبدة ودخل فسلمت عليه زوجة عمه فى حياء ظاهر وبادرت تفرش له على الحصير النظيف لحاف صوف ناصع البياض يكتنفه خط عريض أخضر فجلس متربعا يتتبع حركات الفراش وهو يحضر الشاي. وساد الصمت مدة كان هذا الاخير يسترق فيها النظر اليه وقد بدا له منسجما مع الجلسة والمكان ، وقال فى نفسه :

انت هو انت برغم السيارة العجيبة والمنصب، فى حين ابتسم الآخر لذكرى طافت بذهنه ثم ضحك حتى اهتز جسده وقال :

— كم كنت شقيا لانني لم اكن اناديك بعمي

— كان من الاهمية عندي بمكان ان أكون مهابا لديك لاني اكبرك بثمان سنوات !

— انها عمر طفل

— لكنك لم تكن ذكيا فسعيت لذلك بالقوة . وكنت انا اعرف نقطة ضعفك فلا انفك اناديك امام اصحابك باسمك المجرد والوذ بالفرار.

— منطق اطفال

— « اطفال » من ينفق وقته فى التانق ومعاكسة البنـات

— كنا نقتل الوقت ولا ندري انه هو الذي يقتلنا وعاوده الضحك وهو يقول :

— تذكر يوم سرقت قدر طبيخ يغلي على النار فى عتبة أحد البيوت .

— لانه كان يضايقنا فى لعب الكرة . وقد كفت النساء من ذلك اليوم عن وضع المواقد ونشر القمح في الشـارع .

— من المؤسف انك لم تستغل عبقريتك تلك فى الدراسة ، ولو فعلت لكانت لك اليوم حياة اخرى.

— الدنيـا ...

قالها وهو يتنهد بمرارة وعبس وجهه ثم انشغل بصب الشاي فى الكؤوس الرخيصة . وندم الوزير على افلات الملاحظة مع ادراكه لانفة عمه وحساسيته المفرطة . وخيم الصمت ثانية فى حين كرر الفراش لنفسه : الدنيا يا ابن اخي .. ترفعك الى الوزارة وتشدني الى ( الاسفل ) .. الدنيا .. تجعلك رجلا عظيما ولم تكن الا بئيسا من البؤساء. نسيت اقوالك المأثورة: الانتهازية. الشعب .العدالة.. نسيت ممارسة الزعامة بين رفاقك حين كنت تتضخم وتلقي خطبك المرصعة بالكليشيهات السياسية الجاهزة . نسيت حملاتك على الاغنياء واصبحت واحدا منهم .

واطرق الآخر فراى فى الحصير بقعا تآكلت حتى بدا اسمنت البلاط ، وتصبب عرقا من الحر وركود الجو فتخلص من السترة وفتح ياقته . فى الخارج ترامى الخلاء من خلال باب البيت المفتوح وراى ما يغطيه من نفايات وآثار أكواخ منقرضة . وفى الداخل جرى ابناء عمه الصغار بعضهم فى اعقاب بعض من حجرة ثانية الى المطبخ ومن المطبخ الى الحجرة فبدوا له اكثر من عددهم الحقيقي واختلطوا عليه حتى دارت به الدار من ذلك ومن الحر ، وسمع الفراش يقول اخيرا :

— بعض الناس محكوم عليهم بالاعمال الحقيرة .

— العمل الشريف ليس حقيرا .

فمر الفراش بالسبابة والابهام على شاربه فى عصبية وقد اطبق شفتيه ، ثم نظر اليه نظرة نافذة فقال فى تودد يحاول ان يصلح الموقف :

— لا تكترث سنجد لك عملا افضل .

— تتوسط لـــي ؟

ولما لا ؟ لو حوسب الناس على ذلك لما ظل فيها صاحب نفوذ واحد .

وضحك ضحكة افرجت التوتر ودخل صبي فى حوالي التاسعة من العمر مسرعا يخبرهم ان الاولاد يعبثون بالسيارة وخرج الفراش اليهم ينهرهم فابتعدوا ولكن ليعودوا بمجرد اختفائه ثم رجع وهو يمسك الصبي من قفاه الحليق ويقول :

— ابنـــي عمـــر

— ارى انك ما زلت تحب عمر بن الخطاب .

فاجابه جوابا له دلالته :

— كان حاكما مستقيما يكره الفساد ويقومه فى أولياء الامور بحد السيف .

— ومع ذلك قتلـــوه .

واختفى شعاع الشمس الشاحب النافذ من كوة فى الجدار فقام المسؤول الكبير منصرفا،ورأى الاطفال انفضوا من حول السيارة . وحين هم بفتحها لاحظ انهم كتبوا على بابها بآلة حادة « يحيى المغرب » .

وقبل ان يمضي سجل له عنوانـــه على علبة سجائر فارغة من النوع الرفيع وأعطاه ورقتين من ذوات المائة درهم ثم أوصاه بالاتصال به .

خلال الاسبوع وجد الفراش بين زملائه من يعمل بدلا منه وسافر الى الرباط . وحين وصل الى الفيلا بهت من فخامتها ، ووقف طويلا يتأمل البناية الرشيقة القائمة فى نهاية مرجة فسيحة هادئة الخضرة تكتنفها احواض الورد واشجار صفصاف رقيقة ما زالت فى طفولة مبكرة . ضغط الجرس وانتظر فسمع انفاسه لشدة السكون . وفتح له خادم فى سترة بيضاء ثم سار وهو يتبعه فى المنعرجات المفروشة بالحص حتى دخلا بهوا واسعا لا يكتظ بالاثاث ولكن ما يحتويه لا يخطر على البال . وجال بنظره مبهوتا فعلق بذهنه الى الابد اثر هذه النظرة الاولى : خشب وبسط باهتة وآنيات وورد .. وتساءل عن نوع هذا الخشب والبسط والاواني ومن اين تقتنى وما ثمنها ؟ . وابتسم فى سره من جهله الفاحش اذ انه لم يعرف بالتأكيد الا الورد . ودعاه الخادم للجلوس فى ركن مريح . وبعد حين اقبل المسؤول الكبير يرحب به ويخبره ان اسرته تقضي الصيف على الشاطيء . وعاد الخادم يسألهم عما يشربان فطلب عصيرا ، وقال الوزير :

— لن اشرب بدوري غير العصير احتراما لك .

ثم اخبره انه حصل له على عمل فى ضيعة مسترجعة بنواحي الدار البيضاء فتساءل الفراش بعدما نقل بصره اليه بسرعة من تمثال صغير فى شفافية الشمـــع .

— فـــلاح ؟ .

— وكيل الحكومة المسؤول عن ادارة الضيعة .

فانقبضت نفسه وقال بصوت متقطع تجلى فيه ما يخامر قلبه من وجـــل :

— ولكنني جاهل بالفلاحة وانت تعرف ذلك .

— لن تزيد على الاشراف ومراقبة الفلاحين واداء الاجور . ستتضاعف مهنتك وتكون معفى من الكراء وواجبات الماء والنور . سيتوفر لديك مجانا القمح والخضر و ... كل ما تحتاجه . ستعيش بين الاشجار والغرس والهواء النظيف .

الا انه لم يجد وقعا لهذه المغريات فى نفسه . استحوذ عليه القلق وتخيل نفسه مسؤولا عن جماعة من فلاحي دكالة او الشاوية فشعر بالبرودة تسري الى اطرافه وايقن انه لن يقدر . وتعلل بقرب ميعاد القطار ليعجل بالانصراف فاكد الوزير على حضوره فى مستهل الشهر لتسلم العمل ثم خـــرج يتكلف ابتسامة غلبت عليها الكآبة .

قضى عشرة ايام مشوش البال حتى شحب من التفكير والسهاد وبدت اغوار عينيه واصبح ضيـــق

الصدر ، متبرما وعصبيا على الدوام . ولم تفهم زوجته ما طرا عليه لانه لم يخبرها بما حصل .

وحل أول يوم من الشهر الجديد فاستيقظ منشرحا . جلس القرفصاء عند الحنفية يغسل وجهه ويترنم باغنية شعبية . اخذ الفوطة من اصغر ابنائه وضربه على مؤخرته في ميل طارىء للمداعبة . وفي الشارع تنفس بارتياح ظاهر وقد انزاح عن نفسه هم الايام العشرة الماضية وعادت اليها الطمأنينة . وضح انه قد رسا على قرار . حرك دراجته النارية الصاخبة وانطلق كعادته الى مقر عمله فلم تلبث حركة المرور ان ابتلعته .

في نفس اليوم تسلم المسؤول الكبير برقيته .

« ليس بوسعي قبول عرضك . العمل المقترح يخلق مصاعب في تعليم الاولاد . تشكراتي على المجهود . بشير » .

انتهى المسؤول الكبير من القراءة طوى شفتيه وهو يقول :

— لا فائدة . ستموت كما عشت في البؤس .

ثم وجه الكلام الى احد مساعديه مشيرا للبرقية كأنها تقوم مقام الفراش :

— اعرض عليه ان يكون رئيسا محترفا ويفضل . .

لم يكمل وانما نفخ في امتعاض ، فقال مساعده وهو يجهل صلة القرابة بينهما :

— بعض الناس لم يولدوا ليمارسوا الرئاسة وانما ليخضعوا لها .

وعصر المسؤول الكبير البرقية في قبضته حتى صارت كتلة صغيرة متماسكة ثم ضربها بخفة بطرف ابهامه فهوت في سلة المهملات .

**الرباط : ليلى ابو زيد**

# أوليات

إعداد : الأستاذ محمد العرائشي

**اول مسجد بني في الاسلام :**

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو اول من بنى اول مسجد في الاسلام ، فقد بنى في الجنوب الغربي للمدينة المنورة وهو في طريق هجرته اليها مسجد قباء (1)

روى عن ابن عباس وجماعة : ان مسجد قباء هذا هو المعني بقوله تعالى في الآية الكريمة :

( لمسجد اسس على التقوى من اول يوم ) الآية : 109 من سورة التوبة .

وروى مسلم وغيره : انه مسجده ( صلعم ) الذي بالمدينة . لكن ذكر بعض المفسرين ، ان السياق يقتضي الاول .

**اول مسجد بناه ( صلعم ) بالمدينة :**

كان اول عمل قام به النبي صلى الله عليم وسلم في السنة الاولى للهجرة بعد أن حل بالمدينة المنورة، هو بناء مسجده المسمى باسمه الذي اشتراه لهذه الغاية ، وشارك بنفسه في بنائه مع عدد من المسلمين الذين كانوا يرتجزون اثناء العمل :

لئن تعدنا والنبي يعمل
ذاك اذا للعمل المضلل

وكانت مساحته آنذاك 30 في 30 م.

اما تصميمه حسب ما ورد في كتاب ( في منزل الوحي ) لمحمد حسين هيكل و ( قبس الاسلام ) لمعوض عوض ابراهيم فهو كالآتي :

ارتفاعه نحو القامة . عضادتا بابه من الحجارة ، وسقفه من الجريد ، وعمده من جذوع النخل ، وابوابه ثلاثة :

الاول نحو الجنوب حيث القبلة ، ولما حولت القبلة الى الكعبة سد الباب الجنوبي ووضعت القبة مكانه وفتح في الجدار الشمالي باب مكان القبلة الاولى . والثاني باب جبريل والثالث باب الرحمة .

وقد بقي المسجد على حالته الاولى مدة ست سنوات الى ان غزا المسلمون خيبر في السنة السابعة للهجرة واصبحت المدينة خالصة للمسلمين ، وكثرت العمارة ، عند ذاك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتوسيع رقعة المسجد ، فوسعت ، حيث صارت مساحته 50 في 50 م ولم يغير من نوعية البناء شيء.

وبعد الانتهاء من عملية البناء الاول بني بجوار المسجد بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

(1) تبعد قباء عن المدينة بنحو 3 كلم. سميت باسم بير كانت بدار توبة بن الحسن بن السائب .

**وهو ( صلعم ) اول من اقام سنة عيد الفطر :**

اقامها فى السنة الثانية بعد الهجرة ، كما اقام فى نفس السنة لاول مرة سنة عيد الاضحى وذبح الضحية بعد الصلاة .

**واول من غسل الكعبة :**

لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة عام الفتح (2) غسلها هو وجماعة من الصحابة قصد تطهيرها من الاصنام ثم صار غسلها سنة متبعة الى الآن (3) .

**واول من ختم الكتب فى الاسلام :**

لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية (4) واراد أن يكتب الى ملوك العجم يدعوهم الى الاسلام ، قيل له : ان ملوك العجم لا يقراون كتابا غير مختوم ، قال انس بن مالك رضي الله عنه : فاصطنع خاتما ونقش على فصه ( لا اله الا الله محمد رسول الله ) وكأني انظر الى وبيصه وبياضه فى كفه (5) ثم صار يختم به الكتب الموجهة الى الملوك منذ أن اشير عليه بذلك ولما توفي ( صلعم ) لبسه ابو بكر ثم عمر بعده ثم عثمان فسقط من يده فى بير ولم يقدر على اخراجه منه ، اما قبل الاسلام ، فاول من اتخذ الخاتم لختم الكتب ، هو سليمان عليه السلام . فقد قيل فى قوله تعالى حكاية عن بلقيس (6) ( اني القي الي كتاب كريم ) الآية 29 من سورة النمل : ان المراد بالكتاب الكريم المختوم .

**واول كتابه ( صلعم ) بمكة من قريش :**

عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري ، وبالمدينة ابي بن كعب الانصاري وزيد بن ثابت رضي الله عنهم .

وقد بلغ عدد كتابه صلى الله عليه وسلم نحو الاربعين . تكفل ابن سيد الناس (7) فى كتابه : عيون الاثر بذكر اسمائهم . استكتبهم ( صلعم ) لما جاء الاسلام لكتابة ما ينزل من القرءان الكريم وما يبعث به من رسائل .

**وهو ( صلعم ) اول من املى كتب العهود :**

ومنها عهد نصارى ايلة بخط علي بن ابي طالب كرم الله وجهه . ونص العهد كما ورد فى سيرة ابن هشام (8) :

( بسم الله الرحمن الرحيم . هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة واهل ايلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر ، فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه ، وانه طيب لمن اخذه من

---

(2) كان فتح مكة فى شهر رمضان فى السنة 8 هـ 630 م .

(3) تقام حفلة غسل الكعبة عادة فى العصر الحاضر فى 7 ذي الحجة من كل سنة ، يحضرها ملك المملكة العربية السعودية ، ورؤساء وفود الدول الاسلامية ، ويشارك فى الغسل الملك ورؤساء الوفود ، وسدنة الكعبة . وتغسل الكعبة بماء زمزم الممزوج بماء الورد . وقد اسعدني الحظ فدخلت الى جوف الكعبة وتشرفت بحضور مراسيم الغسل يوم الاحد 7 ذي الحجة الحرام 1391 هـ / 24 يناير 1972 حيث كنت احد اعضاء بعثة الحج الملكية الرسمية لتلك السنة .

(4) واد على مرحلة من مكة ، وقعت فيه بيعة الرضوان تحت شجرة كانت هنالك . وكان ( صلعم ) خرج لتلك الغزوة يوم الخميس غرة ذي القعدة سنة ست هجرية .

(5) الوبيص : البريق واللمعان .

(6) ملكة سبابنت شراحيل . كان والدها من قبلها ملكا جليل القدر ، واسع الملك . ولبت الملك بعده واتخذت سباء باليمن قاعدة ملكها . وسبا كما قال الزجاج : اسم مدينة تعرف بمارب باليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة ايام . وقد ذكرت قصتها فى القرءان الكريم فى سورة النمل .

(7) محمد بن محمد بن سيد الناس المتوفى سنة 734 هـ .

(8) ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافري المتوفى بمصر سنة 213 هـ ساق النص المذكور فى ج 4 ص 181 ، ط . حجازي بالقاهرة تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

الناس ، وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونـــه ، ولا طريقا يريدونه من بر او بحر ) .

**واول داخــل عند التحكيـم :**

قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بنحـو خمس ستين ، هدم السيل الكعبة ، واتفقت قريش على اعادة بنائها واقتسمت القبائل العمــل ، ولمـا انتهوا الى وضع الحجر الاسود فى مكانه ، اختلفـوا فيمن يضعه ، وكاد الامر يفضي الى اشهار الســلاح فيما بينهم ، واتفقوا اخيرا على تحكيم اول من يدخل من باب بني شيبة ، فكان (( صلعم ) اول داخل . عند ذلك طلب النبي صلى الله عليه وسلم رداء ووضع فيه الحجر ، ثم امر القبائل فامسكت باطرافه ورفعتـه حتى اذا وصل الى مكانه من البناء فى الركن الشرقي اخذه النبي ( صلعم ) ووضعه بيده الشريفة فى مكانه.

**واول من نصب القاضــي :**

ورد فى وفيات الاسلاف : ان اول من نصـب القاضي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم حيـن بعث عليا ومعاذ الى اليمن .

**واول من ســمى محمــدا :**

سماه به جده عبد المطلب بالهام من الله تعالى لكثرة خصاله المحمودة ، رجــاء ان يحمده اهـل السماوات والارضين . وقد حقق الله رجاءه .

**واول من ســمى احمــد :**

لم يثبت ان احدا قبل النبي صلى الله عليـه وسلم سمي بهذا الاسم .

واحمد فعل تفضيل مبالغة فى كثرة الحمــد ، فهو اجل من حمد ، وافضل من حمد واكثر النــاس حمدا ، روى عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال: قال رسول الله ( صلعم ) لي خمسة اسماء : انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب . رواه البخــاري .

**واول من اسرى به من مكة الى المسجد الاقصى :**

فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة بثمانية شهور اسرى به صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المسجد الاقصى ببيت المقدس مصداق قوله تعالى فى اول سورة سميـــت باســم الاسراء : « سبحان الذي اسرى بعبــده ليلا مــن المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنــا حوله لنريه من آياتنا انه هو الســميع البصيــر » . واتصل بالانبياء والمرسلين الذين اقــروا بنبوتــه وصلوا خلفه بالرغم عن بعد المسافة بين المسجدين. واكثر العلماء على ان الاسراء كان بروحـــه صلى الله عليه وسلم وبدنه يقظة لا مناما . ومن جملة ادلتهم على ذلك : ان الحركة بهذه السرعة ممكنة فى نفسـها ، فقد جاء فى القرءان الكريم ، ان الرياح كانـت تسيـر بسليمان عليه السلام الى الاماكن البعيدة فى الاوقات القليلة . قال تعالى فى صفــة سيــر سليمـــان : « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهــر » الآية 12 من سورة سبأ . فقد كانت مسافة سيرها فى الصباح الى الزوال مسافة شهر ، ومــن الزوال الى الغروب مسافة شهر . وقال فيمن احضر عرش بلقيس من اقصى اليمن الى اقصى الشام فى مقدار لمح البصر : « قال الذي عنده علم من الكتاب انــا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك » ، الآية 40 من سورة النمــل .

**وهو اول من تنشق عنه الارض ويدخل الجنة :**

ورد فى الحديث انا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر ، واول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر ، واول من يدخل الجنة ولا فخــر .

**واول من حفــر الخنــدق :**

اول من حفر الخندق حول الحصن وتحصن من الاعداء هو النبي صلى الله عليه وسلم ، فعل ذلك يوم الاحــــزاب (9) .

(9) سمي يوم الاحزاب لاجتماع القبائل واتفاقهم على محاربته ( صلعم ) وبالرغم عن ذلك فقــد نصره الله عليهم . قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهــم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » الآية 9 من الاحزاب .

**واول من قال : لاينتطح فيها عنزان :**

كانت عصماء بنت مروان توذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصدى لها عمير بن عدى وقتلها، ثم اتى النبي ( صلعم ) وقال له يا رسول الله : هل يخشى علي فى قتلها شيء ؟ فقال ( صلعم ) : لا ينتطح فيها عنزان . فصار مثلا .

**واول من قال : الآن حمى الوطيس :**

قال ( صلعم ) هذا المثل السائر لما اشتد القتال بين جيشه الباسل، وبين قبيلة هوازن يوم حنين (10) والذي كانت الغلبة فيه لجيش الرسول بمصداق قوله تعالى : « ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » الآية 26 من سورة التوبة .

**واول من كنى عليا ابا تراب :**

دخل النبي ذات يوم على بنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها فوجد زوجها عليا كرم الله وجهه متغيبا عن المنزل ، فقال لها أين ابن عمك : فقالت خرج مغاضبا ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد فوجده مضطجعا فيه وقد لصق بجنبه التراب ، فجعل ينفضه عنه ويقول : « قم ابا تراب قم ابا تراب » تأنيسا له وتلطفا به ، على عادة العرب فى اشتقاق اسم للمخاطب من صفته التي هو عليها نظير ما جاء به الكتاب العزيز فى نداء النبي ( صلعم ) بأول سورتي المزمل والمدثر (11) . فكان ( صلعم ) هو اول من كنى عليا ابا تراب ، وكان هذا اللقب أحب القاب علي اليه .

**وهو ( صلعم ) القائل : اول ما يقضى بين الناس فى الدماء :**

روى البخاري فى صحيحه (12) قال : حدثنا عبيد الله بن موسى عن الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله ( يعني ابن مسعود ) قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : اول ما يقضى بين الناس فى الدماء .

وقد ورد فى عظم جريمة القتل عمدا قوله تعالى:

« ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » الآية 93 من سورة النساء . وقوله ( صلعم ) فى الحديث الذي أخرجه مسلم وغيره : عن البراء : لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله من قتل مؤمن ، ولو أن اهل سماواته وأهل أرضه ، اشتركوا فى دم مؤمن ، لادخلهم الله تعالى النار .

**وهو القائل : اول دم أضعه دم ابن ربيعة بن الحارث :**

قال ذلك فى شأن دم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هشام ، ذكره ابن حجر فى الاصابة **وهو القائل : دحيت الارض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت فهي اول من طاف به (13) .**

**اول لواء عقده ( صلعم ) :**

فى شهر رمضان على رأس سبعة اشهر من الهجرة النبوية عقد النبي صلى الله عليه وسلم لواء (14) لعمه حمزة (15) وأرسله فى سرية فى ثلاثين

---

(10) تقع حنين بين مكة والطائف .

(11) فى قوله تعالى : يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا . وقوله : يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر .

(12) كتاب الديات .

(13) ذكره محمد جرير الطبري مطولا فى ج 1 من تفسيره ( جامع البيان عن تاويل القرءان ) ص 448 ط. دار المعارف بمصر . تحقيق محمود محمد شاكر واحمد محمد شاكر ونقله السيوطي والشوكاني . والحديث وان ذكر ابن كثير انه مرسل وان فى سنده ضعفا ، فانه يعد من أوائل هذه الحلقة بالنسبة لمن لم يطعن فيه .

(14) العلم وهو دون الراية . سمي لواء لكبره فلا ينشر الا عند الحاجة جمع الوية والويات .

(15) عم النبي ( صلعم ) وأخوه من الرضاعة ولد سنة 54 ق. الهجرة ( 556 م ) واستشهد بأحد فى منتصف شوال سنة 3 هـ ( 625 م ) وكان اسلم فى السنة الثانية من البعثة النبوية . سماه ( صلعم ) سيد الشهداء ولقبه اسد الله .

رجلا من المهاجرين يعترض عير القريش التي جاءت من الشام ، وقال له : خذه يا اسد الله . وكان لونــه ابيض ، وحامله هو ابو مرثد كناز بن الحصين الغنوي حليف حمزة . لكن لما التقى الجمعان ، لم يحـدث بينهما قتال . قال المدائني (16) : فكان ذلك اول لواء عقد في الاسلام .

**واول مشهد حربي شهده ( صلعم ) :**

في 17 رمضان سنة 2 هـ الموافق مارس 624م كانت غزوة بدر الكبرى ، وكان ذلك اليوم هو يــوم الفرقان الذي التقى فيه الجمعان في الحرب والنزال: جمع المؤمنين وجمع المشركين ، وكانت الغلبة في الاخير لجيش المسلمين الباسل . وقــد سجـل حضوره ( صلعم ) او مشهد حربي شهده بنفسه .

**واول قتيــل قتلــه ( صلعم ) :**

بينما النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في طريقهم الى الجبل بعد وقعة احد (17) اقبل ابي بن خلف وهو يقول : اين محمد ؟ لانجوت ان نجا ، فتناول النبي ( صلعم ) الحربة من الحرث ابن الصمــة ، ثم استقبل ابيا فطعنه في عنقه طعنة كاد ان يسقط بها عن فرسه ، وفر منهزما يعاني من وقع تلك الطعنة الما مرا، ، فأدركته منيته وهو في طريقه الى مكة . فكان اول قتيل قتله ( صلعم ) بيده الشريفة . وقد عــده صاحب كتاب المحبر (18) من زنادقة قريش .

**اول مشرك امر ( صلعم ) بصلبه :**

لما قتل عقبة بن ابي معيط عند منصرف القوم من بدر ، امر ( صلعم ) بصلبه ، فكان اول مصلوب في الاســـــلام .

**اول فيء افاء الله به على رسوله في الاسلام :**

في شهر رجب على راس اربعة شهرا من الهجرة بعث النبي ( صلعم ) ابن عمته عبد الله بن جـحش الاسدي في اثني عشر من المهاجريــن ، ليترصدوا عير القريش ، فيها عمر بن الحضرمي وعثمان بـن نوفل ابنا عبد الله بن المغيرة ، والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة ، فرمى احدهم عمرو بن الحضرمي فقتله ، وآسروا عثمــان والحكــم ، وفر نوفـل ، واستاقوا العير ، وفيها تجارة من الطائف الى المدينة وكان ذلك آخر يوم من رجب ، فقالت قريش قـد استحل محمد الشهر الحرام واباح القتال فيه . ولما لم ياخذ النبي ( صلعم ) من العير والاسيرين شيئـا ندم عبد الله بن جحش ومن معه على ما فعلوا الى ان نزلت الآية : « يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر بـه والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عنـد الله والفتنة اكبر من القتل » الآية : 217 من البقــرة . عند ذلك اخذها النبي ( صلعم ) وعزل منها الخمس وقسم الباقي بين اصحاب السرية ، وفدى الاسيرين فكان فيء عبد الله بن جحش اول فيء (19) افاء الله به على النبي ( صلعم ) في الاسلام . وكان عمرو بن الحضرمي اول قتيل بالمدينة في الاسلام .

**اول من دفنه ( صلعم ) بالبقيع (20) :**

الصحابي الجليل ابو السائب عثمان بن مظعون ابن حبيب الجمحي هو اول من مات بالمدينة مــن المهاجرين بعد ما رجع من بدر . وهــو اول مــن

---

(16) علي بن محمد البصري عمدة المؤرخين . الف ما ينيف على مائتي مصنــف ، ولد سنــة 135 هـ 752 م وتوفي سنة 225 هـ ــ 840 م .

(17) يقع جبل احد شمال المدينة المنورة ويبعد عنها بـ 5 كلم. وطوله من الشرق الى الغرب 6 كلم . وسميت الغزوة الواقعة يوم استشهاد حمزة باسمه . صعد اليه النبي ( صلعم ) يوم الوقعــة ، واحتمى بشعب من شعابه ، وقال في شانه : ( هذا جبل يحبنا ونحبه ) رواه البخاري عن انس .

(18) ابو جعفر محمد بن حبيب البغدادي المتوفى سنة 245 هـ ــ 860 م .

(19) الفيء : كل من صار للمسلمين من اموال اهل الشرك بعد ان تضع الحرب اوزارها .

(20) مقبرة المدينة في الجاهلية والاسلام ولا يزال مقبرتها الى الآن . يقع شرق المدينة المنــورة ، وبالمسجد النبوي باب ينفذ اليه يسمى باب البقيع . دفن فيه نحو 10 آلاف صحابي ، وقد كان النبي ( صلعم ) يزوره ويستغفر لاهله .

دفنه ( صلعم ) بالبقيع وقال بعد دفنه : نعم السلف هو لنا عثمان بن مظعون ) ولما توفي ابنه ( صلعم ) ابراهيم قال الصحابة يا رسول الله : اين نحفر له . قال : ( عند فرطنا عثمان بن مظعون ) .

**اول ميت صلى عليه ( صلعم ) لما قدم المدينة :**

البراء بن معروف رضي الله عنه هو أول ميت صلى عليه النبي ( صلعم ) بالمدينة بعد الهجرة . وذكر ابن حجر فى الاصابة ، ان البراء هذا : هو اول من بايع بيعة العقبة ، واول من أوصى بثلث ماله واول من استقبل الكعبة حيا يعني قبل تحويل القبلة ، لانه توفي قبل ان تحول القبلة الى الكعبة .

**اول أولاده صلى الله عليه وسلم :**

ولد للنبي صلى الله عليه وسلم سبعة أولاد : ستة من زوجه خديجة رضي الله عنها . واول اولاده منها قبل النبوة : القاسم ، وبه كان يكنى ( صلعم ) ثم زينب ، ثم رقية ، ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم . وبعد النبوة عبد الله ، ويسمى الطيب والطاهر .

وواحد من سريته مارية القبطية ، وهو ابراهيم آخر أولاده ( صلعم ) ولد سنة ثمان هجرية . وكلهم ماتوا فى حياته ( صلعم ) الا فاطمة رضي الله عنها ، فقد ذكر البخاري فى صحيحه (21) ان وفاتها تاخرت عن وفاته ( صلعم ) بستة اشهر . فقد توفيت فى السنة 11 هـ وعمرها اقل من ثلاثين سنة . وقد جمع السجاعي اولاده ( صلعم ) السبعة فى بيتين على ترتيبهم فى الولادة فقال : (22)

اولاد طه قاسم فزينبة
رقية ذات الجمال البسمة
ففاطم فام كلثوم فعبـ
ـد الله ابراهيم وهو الخاتمة

**أول من مات من أولاده ( صلعم ) :**

القاسم هو أول من مات من أولاده صلى الله عليه وسلم توفي وهو طفل ، وقيل عاش الى ان ركب الدابة وسار على النجيبة .

**اول شيء دخل جوف عبد الله بن الزبير هو ريقه (صلعم)**

عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي هو أول مولود بالمدينة من ابناء المهاجرين بعد الهجرة . جاءت امه اسماء بنت ابي بكر الصديق الى المدينة فنفست به فى قباء فى شهر شوال ولما رآه ( صلعم ) اخذه ووضعه فى حجره ، ودعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فمه ، فكان ريقه ( صلعم ) هو أول شيء دخل جوفه .

**اول جمعة اقامها ( صلعم ) بالمدينة :**

لما قدم النبي ( صلعم ) المدينة مهاجرا نزل على عمرو بن عوف واقام عندهم أياما ، ثم خرج يوم الجمعة قاصدا المدينة ، فادركته الصلاة فى بني سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى بهم الجمعة .

واما اول من اقام الجمعة بالمدينة قبل مقدم النبي ( صلعم ) اليها فهو أسعد بن زرارة الانصاري .

**اول خطبة ( صلعم ) بالمدينة :**

ورد فى سيرة ابن هشام (23) أن أول خطبة خطبها النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة انه اقام فى القوم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال :

( أما بعد ايها الناس ، فقدموا لانفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ، ولا حاجب يحجبه دونه : الم ياتك رسولي فبلغك ، وآتيتك مالا وافضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ، فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير

---

(21) باب فرض الخمس .
(22) احمد بن محمد السجاعي المصري صاحب التصانيف العديدة . توفي سنة 1197 هـ — 1783 م .
(23) ج 2 ، ط. المشار اليها آنفا .

جهنم ، فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولـو بشق من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر امثالها الى سبعمائـة ضعف ، والسلام عليكم ) ( وعلى رسول الله رحمة الله وبركاتـه ) .

**اول صلاة صلاها النبي ( صلعم ) بعد ما فرضت الصلاة**

الصلاة هي اول واجب أوجبه الله من العبادات. روى الترمذي والنسائي واحمد عن انس بن مالك قال: ( فرضت الصلاة على النبي ( صلعم ) ليلة اسرى به خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمسـا ثم نـودي يا محمد ، انه لا يبدل القول لدى ، وان لـك بهـذا الخمس خمسين ) .

وصلاة الظهر هي اول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما فرضت الصلـوات الخـمس .

روى عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل عليه السلام فقال : قم فصله فصلـى الظهر حين زالت الشمس ، ثم جاءه العصر فقال : قم فصله فصلى العصر حتى ظل كل شـيء مثلـه الحديـث .

والصلاة هي اول ما يحاسب به العبـد يـوم القيامة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله ، رواه الطبراني . واخرجه النسائي عن ابي هريرة مرفوعا : اول ما يحاسب به العبـد الصـلاة .

**اول مؤذنيـه ( صلعم ) :**

كان للنبي صلى الله عليه وسلم اربعة مؤذنين : اثنان بالمدينة ، وهما : 1) بلال بن رباح وهو أول من اذن في الاسلام . وكانت مساجد المدينة في عهده تسعة ، سوى مسجد الرسول كلها كانت تصلي بآذانه. 2/ ابن أم مكتوم الاعمى : عمرو بن قيس العامري . وواحد بمكة وهو : ابو محذورة : اوس بن مغيـرة الجمحي . امره صلى الله عليه وسلم بالاذان بمكـة عند منصرفه من حنين . وقد بقي الاذان في عقبه الى زمن الامام الشافعي . وواحد بقباء ، وهو : سعـد القرظ بن عائذ مولى عمار بن ياسر اذن بها ثـلاث مرات . وزاد بعضهم زياد بن الحارث الصدائي الذي اذن بين يديه صلى الله عليه وسلم .

وقد جمع الشيخ التاودي ابن سودة (24) اسماء مؤذنيه صلى الله عليه وسلم فقال :

عمرو بلال وابو محـــذورة
سعد زياد خمسة مذكـورة

قد اذنوا جميعهم للمصطفـى
نالوا بذاك رتبة وشرفـــا

**اول ما تلفظ به ( صلعم ) لما نعى نفسه للمسلمين :**

ذكر ابن هشام في سيرته (25) ما ياتي :

قال ابن اسحاق : وقال الزهري : حدثنـي ايوب بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلـم خرج عاصبا راسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به : انه صلى على اصحاب احد ، واستغفر لهم . فاكثر الصلاة عليهم ثم قال : ( ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا ( والاخرة ) وبين ما عنـده فاختار ما عند الله ) قال : ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسـه يريد ، فبكى ، وقال : بل نحن نفديك بانفسنا وابنائنا ، فقال : على رسلك يا ابا بكر ، ثـم قال : انظروا هذه الابواب اللافقة (26) في المسجـد ، فسدوها الا بيت ابى بكر ، فاني لا اعلم احـدا كان افضل في الصحبة عندي يدا منه .

**اول من صلى عليه ( صلعم ) لما توفي :**

بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم على راس اربعين سنة من عمره ، فدعا قومه من قريش بمكـة

(24) محمد بن الطالب بن علي ابن سودة . فقيه عصره ، وعالم المغرب . ولد سنة 1111 هـ/1700 م وتوفي سنة 1209 هـ / 1795 م .

(25) ج 4 ص 327 .

(26) النافـذة اليـه .

ثلاث عشرة سنة ، وهاجر الى المدينة فأقام بها عشرة اعوام . وتوفي ضحى يوم الاثنين 13 ربيع الاول سنة 11 هـ ( 632 م ) وعمره 63 سنة . واول من صلى عليه لما توفي هو عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، ثم بنو هاشم ، ثم المهاجرون ، ثم الانصار ثم الناس رفقا رفقا ، ثم الصبيان صفوفا ، ثم النساء .

**اول اهله ( صلعم ) لحوقا به :**

ورد في الشفا (27) اول اهلي لحوقا بي فاطمة الحديث .

وسبق انها توفيت بعد وفاته ( صلعم ) بستة اشهر .

**اول من لحق به ( صلعم ) من زوجاته :**

زينب بنت جحش الاسدية ، هي اول زوجاته صلى الله عليه وسلم لحاقا به بعد وفاته ، توفيت بالمدينة المنورة سنة 20 هجرية عن 53 سنة ، وصلى عليها عمر بن الخطاب وحملت على نعش ودفنت بالبقيع . ويقال انها أول امرأة حملت على نعش . ثم توفيت بعدها صفية بنت حيى بن اخطب سنة 50 هـ ثم سودة بنت زمعة ، توفيت في آخر ولاية عمر بن الخطاب .

**اول من سمي باسمه ( صلعم ) :**

محمد بن حاطب الحبشي هو أول مولود سمي باسمه ( صلعم ) حين ولد بارض الحبشة . ومن أبناء المهاجرين : محمد بن جعفر بن ابي طالب ، ثم محمد بن ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ثم طلحة بن عبد الله بن عثمان التميمي ثم محمد ابن ابي بكر الصديق .

**اول من سمي احمد في الاسلام :**

والد الخليل واضع علم العروض هو اول من سمي بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأحمد ولذلك يقال له الخليل بن أحمد .

## المراجع


1 — جامع البيان عن تاويل القرءان لابي جعفر محمد ابن جرير الطبري ، ط. دار المعارف بمصر . تحقيق محمود محمد شاكر واحمد محمد شاكر .

2 — الجامع لاحكام القرءان والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان لابي عبد الله محمد ابن احمد القرطبي ، ط. دار الكتب المصرية 1357 هـ / 1938 م .

3 — الاجزاء : 2 . 10 . 15 . 19 . من تفسير احمد مصطفى المراغي .

4 — الجزآن : 5 . 10 . من ارشاد الساري لصحيح البخاري لشهاب الدين ابي العباس احمد بن محمد القسطلاني .

5 — ج 1 من الاصابة في تمييز الصحابة لابي الفضل احمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر .

6 — الاستيعاب في أسماء الاصحاب لابي عمرو يوسف بن عبد البر القرطبي، ط. بهامش الاصابة

7 — الروض الانف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السرة النبوية لابن هشام ، لابي القاسم عبد الرحمن السهيلي .

8 — عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس محمد بن محمد اليعمري الاشبيلي ، ط. 1356 هـ .

9 — نور العيون في سيرة الامين المامون ، له ايضا. ط. مصطفى محمد بمصر 1354 .


(27) مؤلف الشفا بتعريف حقوق المصطفى هو ابوالفضل القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المتوفى في سنة 544 هـ ، قال عنه في كشف الظنون : كتاب عظيم النفع ، كثير الفائدة لم يؤلف مثله في الاسلام . ج 2 ص 1052 .

10 ـ سيرة ابن هشام : ابى عبد الله محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري ط حجازي بالقاهرة . تحقيق محمد محي الدين .

11 ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى لابي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي .

12 ـ مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفا للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن .

13 ـ المحبر لابي جعفر محمد بن حبيب البغدادي تصحيح الدكتورة ايلزة ليختن شتير .

14 ـ وفاء الوفا بأخبار المصطفى لنور الدين علي السمهودي .

15 ـ زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم الجوزي .

16 ـ محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر لعلاء الدين علي دده السكتواري ط. 1311 هـ .

17 ـ معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان للدباغ ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الانصاري .

18 ـ حاشية القادري : محمد على شرح الازهري لبردة البوصيري .

19 ـ ج : 2 من صبح الاعشى لابي العباس احمد القلقشندي .

20 ـ قبس الاسلام لمعوض ابراهيم .

21 ـ فى منزل الوحي لمحمد حسين هيكل . ط. 1952/2 .

22 ـ الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني ط. 1329/2 هـ .

23 ـ رحلتي للبقاع المقدسة سنة : 1972/1391 . ( منظومة خ عدد ابياتها 225 بيتا ) لكاتب سلسلة الاوليات ( محمد العرائشي ) .

24 ـ ج : 1 و 6 من الاعلام للزركلي .

25 ـ ج : 1 من التراتيب الادارية للكتاني عبد الحي . ط. الاهلية بالرباط 1346 هـ .

**امحمد العرائشي**

## اليلصوتيون بشمال المغرب

● فى البحث الذي نشر بالعدد الماضي عن : « اليلصوتيين بشمال المغرب » وقع غلط فى كتابة كلمة « الاسرة اليلصوتية » فى ثلاثة اماكن وذلك بتقديم الصاد على اللام وهو غلط . والصحيح هو ما جاء فى العنوان « الاسرة اليلصوتية » .

فمعذرة




للأستاذ : عبد القادر زمامه

781 — 767

**767 — صنعة العلم كاسدة ... !!**

وجدت فى كتاب « نزهة الحادي » عند الكلام على سيرة احمد المنصور الذهبي : ص 158 ط. هوداس .

« وقد وفد عليه مرة . ( القاضي عبد الواحد الحميري ) مع بعض الطلبة فى بعض المواسم . فلما انصرفوا من الحضرة جمعتهم الطريق بأرباب الموسيقى . واصحاب الاغاني من اهل فاس وقد كانوا وفدوا ايضا معهم على سبيل العادة . فاخرج بعضهم ( شبابة ) من الابريز مرصعة . أعطاها له المنصور وبعضهم قال : أعطاني كذا ... وقال الآخر اجازني بكذا ... فما لم يتط مثله للقاضي وشيعته من الطلبة ... !

فقال القاضي الحميري :

— ان بلغت فاسا لاردن اولادي لصنعة الموسيقى ... ! فان صنعة العلم كاسدة ... ! ولولا ان الموسيقى هو العلم العزيز ما رجعنا مخففين ... ! ورجع اللالي بشبابة الابريز ... !!! »

**768 — ابن تيمية فى فتح عكة ... !**

وجدت فى كتاب « الاعلام العلية » لمؤلفه الحافظ عمر بن علي البزار المتوفى سنة 749 هـ ص 69 ط. بيروت 1396 هـ .

« وكان اذا ركب الخيل يتحنك ويجول فى العدو . كأعظم الشجعان . ويقدم كاثبت الفرسان . ويكبر تكبيرا انكى فى العدو من كثير من الفتك بهم . ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت ... !!

وحدثوا انهم راوا منه فى فتح عكة امورا من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها ... !

قالوا : ولقد كان السبب فى تملك المسلمين اياها بفعله ومشورته وحسن نظره ... !! »

**769 — من كلام اهل طرابلس**

وجدت فى مخطوطة رحلة « المنى والمنة » لمؤلفها وجامعها احمد المصطفى بن طوير الجنة . انه سمع اهل مدينة طرابلس يقولون :

« العلم واداني ... والتمر فزاني ... والعبد سوداني ... »

**770 — وادان ... !**

ووجدت فى مخطوطة الرحلة المذكورة :

« وادان : تثنية واد ... ! واد من العلم ... وواد من النخيل ... ! »

**771 — يوم ابن عباد بفاس وخلوته ... !**

ووجدت فى مخطوطة الرحلة المذكورة :

« ... وابن عباد وله يوم معلوم . وهو يوم الجمعة يجتمع عند قبته مشاهير اهل فاس ويلعبون عند قبته تعظيما لذلك الولي القطب رضي الله عنه..!

واما خلوته فهي عندنا في المقصورة التي انزلنا فيها السلطان نصره الله ... !!! »

### 772 — سفينـــة لمغربـــي ... !

ووجدت في مخطوطة الرحلة المذكورة :

« وركبنا في البحر من المرائش من الغـرب قاصدين ( قزن ) لان السفينة لفاسي متوطن (بقـزن) وهي مدينة عظيمة من مدائن النصارى على شمـال البحر في جانب العدوة التي فيها الاندلس ... !!! »

### 773 — يقيمون الصلاة بـلا اذان ... !

وجدت في كتاب « الفنون » لمؤلفه ابي الوفاء ابن عقيل ، القسم الثاني . بيروت 1971 ص 748 .

اقاموا الديدبـان على يفـاع
وقالوا لا تمـر للديدبـــان

فان آنست شخصا من بعيـد
فصفق بالبنان على البنـــان

تراهم خشية الاضياف خرسا
يقيمون الصـلاة بـلا آذان

### 774 — اســم الله الاعظــم

ووجدت في كتاب « الفنون » القسم الثانـي ص 747 .

« قال وكيع بن الجراح : رأيت في المنام رجلا بجناحين ... ! فقلت : من انت ... ؟ فقال : ملك بن دينار .. فقلت : ما اسم الله الاعظم .. ؟ فقـال : الله ... ! قلت : وما الدليل على ذلك ... ؟ قال : قوله تعالى لموسى : « اني انا الله ... !! ولو كان له اسم اعظم منه . قال تبارك وتعالى « انا » وتسمـى بذلك الاسـم ... !!! »

### 775 — قولوا لاولاد عبـد المومـن ... !

وجدت في ترجمة الثائر عبد الرحيم ابن الفرس الذي ثار على ـ الناصر ـ الموحـدي في سوس ، وقتل سنة 598 هـ . هذين البيتين . وهما من نظمه كما في كتاب ( الاحاطة ) ج 3 ص 477 . ط. عنان.

« قولوا لاولاد عبد المومن بن علي
تأهبوا لوقوع الحادث الجلـل

قد جاء فارس قحطان وسيدهـا
ووارث الملك والقلاب للدول »

### 776 — حنبـــل

وجدت في كتاب « معجم الالفـاظ العاميـة المصرية ذات الاصول العربية » لمؤلفه الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال . ص 20 ط. القاهرة 1971م

« ومثل قول اهل الاندلس لبعض بسط الصوف ( حنبل ) واهل الحنبل الفرو . والعلاقة هي نعومة هذه البسط . وشبهها بالفرو الذي هو الحنبل ... »

### 777 — الموسيقـــى والعــروض

وجدت في ترجمة الشاعر الاندلسي محمد بن احمد ابن الحداد الوادي ءاشي المتوفى سنة 480 . انه كتب كتابا في العروض . يقول عنه ابن الخطيب في كتابه ( الاحاطة ) ج 2 ص 334 . ط. عنان :

وله في العروض تصنيف مزج فيه بين الانحاء الموسيقية والآراء الخليلية (*) ... »

### 778 — شهـــرزوري :

وجدت في مخطوطة ( جهد المقـل القاصر ) لمؤلفه الامام ابي عبد الله محمد بن احمد المسناوي الدلائي نقلا عن اختصار « اقتباس الانوار » .

شهرزوري : نحو من بلاد اذربيجان . ثم قال : وانشدنا الفقيه الحافظ أبو علي الصدفي . قال : انشدنا الفقيه ابو محمد السراج لنفسه :

---

(*) في المطبـوع الجليلة بالجيـم ... !!

وعدت بأن تزوري كل شهـــر
فزوري قد تقضى الشهر زوري

وشقة بيننا نهر المعلـــــى
الى البلد المسمى شهرزوري

وشهر صدودك المحتوم صدق
ولكن شهر وصلك شهر زور

**779 — السقــاطـــــــة ... !**

ووجدت فى مخطوطة « جهد المقل القاصر » لابي عبد الله المسناوي الدلائي :

« أحمد بن محمد بن يوسف المقدسي الشهير بالقشاشي . بضم القاف وتخفيف الشين المعجمة . نسبة الى القشاشة . وهي سقط المتاع من الاشياء التي تسترخص ولا يشتريها غالبا الا الفقـــراء ... ويقال لها فى عرفنا بفاس « السقاطـــة » .

**780 — واجلسهـــا فى القبـــة ... !**

وجدت فى كتاب « أحكام السوق » لمؤلفـــه يحيى بن عمر الاندلسي الاصل الافريقي الموطـــن المتوفى سنة 289 هـ رواية ابي جعفـــر احمـــد القصري القيرواني . تحقيق المرحوم حسن حسني عبد الوهاب . طبعة تونس سنة 1975 م ص 134 .

« وسمعت حمديس القطان يقول : أمر سحنون بالمرأة التي يقال لها « حكيمة » وكانت تجمع بيـــن الرجال والنساء .. !! واستفاض عليها الخبر .. ! فأمر بها سحنون فنحيت من دارها وطبن باب دارها بالطين والطوب . وكانت خلاسية طوالة . وأمـــر ان تجعل بين قوم صالحين . فنقلت الى ذلك الموضع . وقد كان ضربها بالسوط ... واجلسها فى القبة .. !»

**781 — معـــزة ولو طـــارت .. !**

وجدت فى نوازل الامام المسنـــاوي ص 21 ط حجرية بفاس . فى خاتمة اجابته عن بعض الاسئلة .

« فليكتب عليه ما ظهر من تخطئة او تصويب ولا يأنف من التخطئة . حتى يصدر منـــه ما يـــدل على خبث الطوية فقد خطاني قبله الاماثل . فضلا عمـــن هو فى الحضيض السافل

اطرق كرا . اطرق كـــرا
ان النعـــام فى القـــرى

* * *

ومن ظن ممن يلاقي الحروب
بأن لا يضام فقد ظن عجـــزا

والرجوع الى الحق فريضة . وان كان يشق على اهل الدعاوي العريضة . والقلوب المريضة . كما ان الانصاف . انما هو من شيم الاشراف . وان للصبر عليه مسلكا ليس يرقى فيه الا من ومن ... اما غيرهم فيصر على دعواه ولو جارت ... ويقول لمذاكره :

— معزة ... ! ولو طارت ... ! »

**فـــاس : عبد القادر زمامة**



# المغرب درع الإسلام

**● نشرت مجلة « المصور » القاهرية فى عددهـا السنـوي ( نحن العرب ) تحقيقا مطولا عن المغرب . ومما جاء فيه بخصوص دور المغـرب فى الدفـاع عن الاسـلام :**

( فى لقاء مع الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية حدثنا عن ارتباط الاسلام بالمغرب فقال ان الاسلام فى المغرب يمتـاز بميزات خاصة تؤكد ان المغرب هو الوارث لتاريخ طويل وعميق فقد قام المغرب وحده بصد العدوان الصليبي لعدة قرون خلت لا سيما بعد سقوط الاندلس فى آخر القرن الخامس عشر ، اذ بسقوط الانـدلس ونـزوح المسلمين الى المغرب وشمال افريقيا نشأ الحلف المقدس بين المسيحية فى غرب اوربا والذي باركه البابا والكنيسة واخذت اسبانيا والبرتغـال تخططان للانقضاض على المغرب لتفادي اى غزو اسلامي محتمل من قبل المغرب على بلادهم فقامت جيوشهم بعدة غارات على ثغور المغرب فكانوا تارة يحتلونها وتارة اخرى يحررها المغرب الى ان وقعت معركـة وادي المخازن الحاسمة فىسنة 1578 ميلادية والتي مات فيها ملك البرتغال على ارض المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير ويعتبر المؤرخون هذه المعركة أشبه بمعركة بدر لانه بفضلها قضى على البرتغال كقوة سياسية وعسكرية فى العالم وتنفس المسلمون الصعداء وبخاصة فى عمان ومسقط وعدن حيث كانت اطماع البرتغال تمتد الى هذه المنطقة الاستراتيجية . وشهدت شواطىء المغرب عبر تاريخها الطويل مدى استعدادها للدفاع عن نفسها ضد الغزاةاذ تزخر شواطئها بالقلاع والحصون والمدافع ولذلك فان العثمانيين بالرغم من انهم مسلمون فانهم لم يستطيعوا غزو المغـرب ، ويعتبر الاستعمار الفرنسي الذي بدأ سنة 1912 هو الحدث الوحيد فى تاريخ المغرب الذي فقد فيه استقلاله لمدة 40 عاما .. وللمغرب معالـم

مميزة فى الوحدة الجغرافية والبشرية قل أن تجد لها مثيلا فى بلاد أخرى فالمغاربة كلهم سنيون وكلهم على المذهب المالكي ، وقد حافظ ملـوك المغرب على هذه الوحدة ، ويحمل ملك المغرب لقب اميـر المومنيـن وتتجسد فيه الوحدة السياسية والدينية والجغرافية ، وقد حرص ملوك المغرب على صيانة الاوقاف التي كانت ولا تزال تشرف على الجانب الروحي فكانت تعني ببناء المساجد واحياء الشعائر الدينية ، ومن اطرف ما كانت ترصده الاوقاف تخصيص اماكن لاستقبال طائر البجع وعلاجـه وذلك لانه كان رمزا للضيافة ومثلا للوداعة فكان المغرب يستضيفه لبضعة اشهر فى طريقه من افريقيا الى أوربا مارا بالمغرب ، وكان هناك أوقاف لسداد الديون المستحقة على الخدم مقابل كسر الاواني التي فى عهدتهم ، وللاوقاف ممتلكات خاصة تضم مباني ومزارع ومحلات تجارية يصرف دخلها على رسالة الاوقاف ، وتصدر الوزارة مجلة دينية « دعوة الحق » ومجلـة « الارشاد » وهي موجهة الى النشء ، كما تقوم الوزارة بتوثيق التعاون الاسلامي مع الدول الاسلامية الاخرى وخاصة مصر فى مجال تبـادل المحاضرين وانشاء المعاهد الدينية ، وسوف يتم انشاء معهد ديني فى المغرب لتجويد القرءان الكريم بناء على رغبة جلالة الملك الحسن الثاني . كما أن فى المغرب خمسة آلاف مسجـد ● )

# دعوة الحق

## والسنة الدولية للطفل

● فتحت « دعوة الحق » ملفا لعدد خاص بالسنة الدولية للطفل ، ولم يتقرر بعد موعد صدور هذا العدد ، لان ذلك مرهون بتوفر المـواد الكافيـة .

وترجو المجلة من السادة الكتاب والباحثين وأساتـذة الجامعـة والمفكرين ورجال التربية والتعليم أن يشاركوا بانتاجهم فى هذا العدد ، الذي نود أن يكون مساهمة باسم المغرب فى السنة الدولية للطفل ●

# شهريات الفكر والثقافة

**المغـــــــــرب :**

● اصدرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية البلاغ التالي حول مباراة ادبية بمناسبة المولد النبـــوي :

تنفيذا لتعليمات سيدنا المنصور بالله رائد البعث الاسلامي ومجدد امجادنا التاريخية والحضارية امير المؤمنين جلالة الملك مولانا الحسن الثاني حفظه الله ، وتمجيدا وتكريما لحلول مولـــد الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم ، واشادة بهذه المناسبة الغالية ، جريا على السنة المتبعة فى احياء هـــذه الذكرى وتعظيمها ، وتعبيرا عما تكنه الامة لصاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه من اجلال واكبار . رعيا لكل ذلك فان وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، تنظم مباراة ادبية لانتقاء اروع انتاج شعري تجود به قرائح الشعراء بهذه المناسبة العظيمة .

وتبعا لما جرى به عملها حســب توجيهات وارشادات سيدنا المنصور بالله ، فقد رصدت لذلك ثلاث جوائز نقدية على النحو التالي :

— جائزة اولى قدرها : ثلاثة آلاف درهم

— جائزة ثانية قدرهـــا : الفا درهـــم

— جائزة ثالثة قدرها : الف درهـــم

وان هذه الوزارة لتهيب بالشعراء ذوي القرائح الوقادة من فرسان القريض وائمة البيان ، ان يهبـوا للاحتفاء بهذه الذكرى واستقبالها بكل ما يتناسب وجلالها وان يصوغوا من قوافيهم قلائد وعقود يحلون بها جيدها العطر .

وتنبه الوزارة السادة المشاركين الى ضرورة مراعاة الاجراءات التالية :

1 ) ان تطبـــع انتاجهـــم الاصالـــة .

2 ) ان يكون فى مستوى المناسبة جودة وابداعا .

3 ) ان لا يكتفي الشاعر فى تناوله سيرة الرسول وامجاده الخالدة بعرض الوقائع التاريخيـــة وسردها دون ان يضفي عليها من اشراقة الادب والتحليل العلمي والاستنتاجات والعبر مـــا يجليها فى حلة الجدة والابتكار .

4 ) ان يتراوح حجم القصيدة ما بين 50 و 70 بيتا.

5 ) ان يقدم الانتاج فى ثلاثة نظائر الى العنــوان التالي : وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الكتابة العامة ، المشور السعيد ـ الرباط ـ وذلك قبل 25 من صفر 1399 مع اثبات اسم صاحب الانتاج وجنسيته ، وعنوانه الكامل .

هذا وستجتمع لجنة برئاسة السيد الكاتب العام بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية للنظر فى الانتاج الادبي وتقييمه نظما ، مراعية فى ذلك الجوانب المشار اليهـــا آنفـــا .

حفظ الله مولانا امير المومنين وابقاه ذخرا للبلاد والعباد ، واعز به الاسلام والمسلمين ، واقر عينــه بولي عهده الامير سيدي محمد ، وصنوه الامير المولى الرشيد وبباقي أفراد الاسرة الملكيـــة الكريمـــة . انــــه سميـــع مجيـــب .

● « من الوصاية الى التعايش » كتاب فى الحجم الكبير صدر مؤخرا فى الرباط يتضمــن نصــوص المحاضرات التي القيت فى المناظرة الوطنية حول الجماعات المحلية المنعقدة فى السنة الماضيـــة بمــــراكش .

● زار المغرب مؤخرا الشاعر العراقي الكبيـــر الاستاذ عبد الوهاب البياتي . وقد استقبله السيد امحمد با حنيني وزير الدولة المكلـــف بالشـــؤون الثقافيـــــة .

● انعقد بالرباط يوم السبت 13 ينايـــر 1979 مؤتمر اتحاد كتاب المغرب . وقد جدد المؤتمـــر انتخاب الدكتور محمد برادة رئيسا للاتحاد .

● « مختصر هدي الخليل فى العقائد وعبـــادة الجليل » كتاب قيم للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

صدرت الطبعة الثالثة منه عن مطبعة ديسبريس بتطوان في حوالي 100 صفحة من القطع الكبير .

● « الاسلام اهدى » آخر ما صدر للاستاذ عبد الله كنون عن احدى مطابع الدار البيضاء . وهو كتاب الساعة لما يتضمنه من دراسات اسلامية معمقة في موضوعات متنوعة تبرز عظمة الاسلام وريادته واحقيته لقيادة البشرية .

وفي الكتاب جهد علمي غزير ، ونظرة ثاقبة الى واقع المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، وهو يقدم البديل الاسلامي ، لا للمسلمين فحسب ، بل للعالم كلــه .

ويمكن ان يوضع كتاب « الاسلام اهدى » الى جانب كتاب سابق للمؤلف بعنوان « اسلام رائد » ، فكلاهما يبحثان موضوعات حيوية تتصل بالحياة العامة للمسلمين .

والمؤلف الاستاذ عبد الله كنون يبدو في هذا الكتاب – كما هو الشأن في مؤلفاته جميعا – مفكرا ذا نفس طويل ، وعمق ، ومقدرة كبيرة على التحليل والمقارنة والاستنتاج وتقديم الصورة الكاملة للنظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والفكري في الاســلام .

● « امواج » مجموعة قصص قصيرة صدرت للكاتب مصطفى اجماهري .

● « المغرب والخطر الاشتراكي » من تاليف عبد الصمد محيي الدين . كتاب في نحو 100 صفحة من القطع المتوسط ، يتضمن دراسات عقائدية وسياسية مقارنة تنتهي الى نقد الفكر الماركسي .

● الاستاذان عبد الرحمن الكتاني ومحمد الكتاني اصدرا كتابا جديدا لوالدهما المرحوم محمد الباقر الكتاني بعنوان : « يواقيت التاج الوهاج في قصة الاسراء والمعراج » في 112 صفحة من القطع الكبير عن مطبعة الامنية بالربـاط .

ويتضمن الكتاب في ختامه عرضا عن « كفاح علماء المغرب في سبيل الاستقلال وعودة الملك الشرعي الى عرشه » . وهو عرض قيم يبرز دور العلماء المغاربة وقادة الفكر الاسلامي في الذود عن المقدسات والانتصار للمشروعية .

كما يحتوي الكتاب على ثبت باهم ما نشر باللغة العربية عن قصة الاسراء والمعراج .

● نظمت بالرباط مؤخرا الندوة الاقليمية للتكوين المهني في مجال تدبير النشر على أساس الطريقة المعياريـة .

● صدرت للدكتور عبد الله بن الصديق مؤخرا الكتب التالية بمدينة الاسكندرية بمصر :

— « التحقيق الباهر في معني الايمان بالله واليوم الآخر » . وهو رد على شيخ الازهر الاسبق المرحوم محمود شلتوت .

— « الاعلام بأن التصوف من شريعة الاسلام »

— « تنوير البصيرة ببيان علامة الكبيرة » .

ويوجد للمؤلف المغربي تحت الطبع في القاهرة والاسكندرية الكتب التالية :

1 – « الادلة الراجحة على فريضة قراءة الفاتحة » .

2 – « المهدي المنتظر » .

3 – « الفتاوي » . وهي فتاوي المؤلف في مسائل متعددة .

4 – « قرة العين بأدلة أرسال النبي الى الثقلين » . وهو رد على الدكتور محمد البهي صاحب كتاب « الفكر الاسلامي المعاصر وصلته بالاستعمار الغربـي » .

**موريطانيــا :**

● « مفهوم الملك في المغرب » . كتاب لمؤلفه

محمد ولد دادة من موريطانيا يدرس مفهوم الملك في المغرب من منتصف القرن الاول الى منتصف القرن السابع الهجري . وهو دراسة موسعة في التاريخ السياسي لبلادنا .

مصر :

● قررت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اصدار موسوعة حضارية عن الفن العربي الاسلامي في خمسة مجلدات تتناول معطيات الفن العربي في كل عصوره .

● انتهت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية من ترجمة معاجم من اللغة العربية الى اللغات الاسبانية والهوسا والنوبية.

والمعروف ان لغتي الهوسا والنوبية من أوسع اللغات انتشارا في غرب افريقيا .

وتعتزم المنظمة ترجمة معاجم اخرى من العربية الى عدد من اللغات الاسيوية الكبرى .

المملكة العربية السعودية :

● نشر الباحثان السعوديان الاستاذان الشيخ محمد سعيد العامودي والشيخ احمد علي كتاب « المختصر من كتاب نشر النور والزهد في تراجم افاضل مكة من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر» لمؤلفه الشيخ عبد الله مرداد ابو الخير في جزاين . وهو من مطبوعات نادي الطائف الادبي .

وقد استوفى المؤلف الجليل اخبار اكثر من عاشوا في ام القرى خلال القرون الخمسة الاخيرة من علماء اجلاء شغلوا في أزمانهم مناصب القضاء والتدريس والامامة والخطابة والفوا عشرات الرسائل والكتب . ومن بينهم ادباء وشعراء أورد المؤلف الكثير من منظومهم وغير قليل من أخبارهم وطرائفهم.

يقع الكتاب بجزايه في اكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، وطبع طباعة فاخرة .

سوريا :

● صدر كتاب جديد للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بعنوان : « نقض أوهام المادية الجدلية الديالكتيكية » . وهو بحث علمي موضوعي يتوخى منه كشف القيمة العلمية للمادية الجدلية ، كتبه المؤلف بأسلوب روعي فيه القدر الممكن من التيسير والتبسيط .

صدر الكتاب عن دار الفكر بدمشق في 290 صفحة من القطع الكبير .

أوغندا :

● قررت الحكومة الاوغندية تدريس اللغة العربية في مدارسها .

ومن جهة اخرى انتهت الحكومة الاوغندية من اعداد مخططات الجامعة الاسلامية التي ستقام في شمال غرب البلاد .

وسيشارك صندوق التضامن الاسلامي في انشاء هذه الجامعة الاسلامية .

امريكا :

● انعقد في نيويورك مؤخرا مؤتمر رابطة اللغات الحديثة .

وتركزت ابحاث المؤتمر حول مختلف حقول الاداب الانجليزي واداب اللغات الحديثة ، كما تخللته ندوات في اللغة .

وشارك في المؤتمر حوالي خمسة آلاف عضو من مختلف جامعات الولايات المتحدة والعالم .

اقرأ في العدد القادم
الخاص بعيد العرش

- **الأصالة سمة العرش المغربي**
- تاريخ الأقاليم المغربية في العصر الحديث
- **عيد العرش** بمفهومنا الديني والوطني
- الإشتراكية المغربية من خلال الخطب الملكية
- مصادر **التاريخ المغربي** في المكتبات
- **التشريع** الإسلامي **والحضارة** المغربية
- دور **العرش والأمة** في استكمال الوحدة الوطنية

مطبعة فضالة — المحمدية ( المغرب )